

أربعون آية

في الإمامة والولاية

الشيخ ناصر الحارثي

دار السلام

دار العلوم



مكتبة
الجوادين العامة
الشيخ الكاظمي الشريف

أربعون آية

في الإمامة والولاية

مكتبة الحقوق محفوظة مسجلة

الطبعة الأولى

١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م



المكتب : الرويس - بناية عروس الرويس - تلفاكس : 01/545182 - 03/473919

ص.ب : 140 / 24 - المستودع : بئر العبد - مقابل البنك اللبناني الفرنسي - هاتف : 01/541650

www.daralouloum.com

E-mail: info@daralouloum.com

أربعون رسالة

في الإمامة والولاية

(بحوث استدلالية في نصوص الخلافة الإلهية)

الشيخ ناصر الحارثي



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
مَا لِكَ يَوْمَ الدِّينِ أَيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ
نَسْتَعِينُ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ
صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ
الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ

الإهداء

إلى الحبيب المصطفى، إلى سيد الأئمة و الشرفاء، إلى الذي جعل الله
أجر رسالته المودّة في القربى، إلى حبيب إله العالمين، سيّد الأوّلين والآخريين.
أهديك سيّدي هذه البضاعة المزجاة، راجياً شفاعتك يا مولاي يوم لا
ينفعني مال ولا بنون.

الغارق في ذنوبه

ناصر

عيد الغدير الأغرّ ذوالحجّة الحرام

٢٠١١ م / ١٤٣٢ هـ . ق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة :

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وصلى الله على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد وعلى آله الهداة المهديين، لاسيما بضعته الطاهرة سيّدة نساء العالمين، وإمامنا المهدي المنتظر عجل الله فرجه الشريف، ولعنة الله على أعدائهم أجمعين إلى يوم الدين.

وبعد:

إنّ من أهمّ ما ينبغي للإنسان أن يعرفه هو معتقده ومدرسته التي ينتمي إليها، وأن يكون انتمائه عبر دليل وقناعة تُريح ضميره ووجدانه بين نفسه وخالقه.

وإنّ من أهمّ معتقدات الإنسان المسلم هو موضوع الإمامة والخلافة، فإنه موضوع يمسّ الفرد المسلم ويخصّه الآن وفي هذه اللحظة، لأن المسلم هو من آمن بالله تعالى وبرسوله ﷺ الذي قال: (من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية) - أي مات كما مات الجاهليون قبل الإسلام على غير دين الإسلام - وستقف على هذا الحديث في ضمن فصول الكتاب إن شاء الله تعالى.

فيا ترى هل يُمكن للمسلم أن يكون متماهلاً في مثل هكذا موضوع

مهمّ و لا يراجع نفسه فيه ولا يعرف واقع وحقيقة معتقده؟؟!

من هنا تبدو أهمية هذا الموضوع ولاسيّما، وهو يُبحث ويُناقش من خلال الكتاب الأوّل للمسلمين، أعني كتاب الله تعالى ومعجزة نبيّه ﷺ ألا وهو القرآن الكريم.

ولقد بحثنا هذا الموضوع الهامّ جداً في طي صفحات هذا الكتاب، بعيداً عن السجلات الحادّة، فإذا يكتب الكتاب ويخطب الخطباء حول موضوع مهمّ وخطير - كموضوع الإمامة- ينبغي أن لا يغيب عن الأذهان أن الهدف من وراء ذلك هو أن يدلّو المؤمن بدلوه في الدور المفترض عليه - وعلى كلّ مؤمن رسالي في الحياة - ويؤدّي شيئاً من المسؤوليّة الملقاة على عاتقه، أعني أن يبادر فيما يقدر عليه من تبيان الحقائق ونشرها ليتبيّن الحقّ من الباطل وليكون تمّن يهدي إلى الحقّ و يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر بطريق علمي نزيه و بعيد عن السباب والشتائم والتهم، ممّا لا يقع في طريق الهداية للآخرين بل يزيدهم عناداً وتضليلاً، بل يفترض أن تكون الانطلاقة في مثل هكذا سجلات انطلاقة صادقة هادفة باحثة عن الحق والحقيقة.

ومن المؤسف أن يكون حديثنا حديثاً عن خلاف أتى بالويلات على شعوبنا، فإن كلّ أمة تسعى إلى إبراز النقاط الإيجابية في تاريخها دائماً، كما تبذل ما تستطيع من جهد لإخفاء سلبياته والنقاط المظلمة فيه، ولاشك أننا أيضاً نفخر بالصفحات البيضاء والكثيرة في تاريخ المسلمين، إلا أن المواضيع العلمية والفكرية والعقائدية لا بدّ من مناقشتها ليزداد الحقّ إيماناً ورسوخاً وتباتاً في مبدئه ومعتقده ولينتبه المبطل إلى زلّته وانحرافه، وفي نفس الوقت تُنبّه إلى أنه لا ينبغي أن تكون هذه البحوث مدعاة إلى العداوة والبغضاء بين

المسلمين ولا إلى التفرقة والشقاء، فان تبيان الحق شيء وإثارة البغضاء والفتن شيء آخر، فلما يكون الهدف مجرد كشف الحقائق للآخرين فلا يستدعي ذلك السباب والتكفير لهم، فلقد كان الإنسان منذ أن خلقه الله تعالى حراً في عقيدته، يقول الله تعالى لنبيه ﷺ ﴿فَذَكَرْهُ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكَّرٌ﴾ * لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ^(١) و لم يُكره النبي ﷺ أحداً على العقيدة، ولم يتخذ الإمام علي عليه السلام أسلوب القوة والقمع لإجبار احد على قبول إمامته وولايته أو على بيعته، فلا يُراد من أمثال هذه البحوث والمواضيع شحن القلوب وإثارتها بالأحقاد والضغائن، فان المؤمن العاقل يدع العقائد لأصحابها ولا يزيد على أداء مهمته من تبليغ رسالته، وفي نفس الوقت يكون على بصيرة من أمره.

ومن الطبيعي أيضاً أن القلب الذي يخلص حباً لله ورسوله لا يحوي مجالاً لحب أعداء الله ورسوله، ففي الوقت الذي يتحاور المسلمون فيما بينهم في المسائل العقائدية ينبغي أن لا ينسوا العواقب الوخيمة للفتن والسباب والشتائم والتكفير وشحن القلوب والصدور على الآخرين، لاسيما وأن العدو كان ولا يزال يتربص بالمسلمين الدوائر، بعد أن فرقهم جغرافياً وهويةً، ناهيك عما هم فيه من ظلم ولاتهم على ممر الدهور.

فمن ثم اتخذت في هذا البحث العقدي (موضوع الإمامة) نهج الاستدلال بالآيات القرآنية والأحاديث عند الطرف الآخر في النقاش، وكانت الدلالة في أكثر تلك الآيات هي بضميمة نص من النبي ﷺ في تفسير تلك

الآية أو بضميمة مسألة عقلية مسلم بها مما يستلزم القول بإمامة أمير المؤمنين عليه السلام.

وربما لا يقتنع بعض القراء بصحة بعض الأحاديث أو لا تحمله نفسه على الوثوق بها إلا أن الذي يلحظ المجموع بما هو مجموع وينظر إلى الكم المتراكم من الروايات - سواء قويتها أم ضعيفها - وما جرى وحدث من مواقف وأحداث في تاريخ الرسالة المحمدية وما جاء من تصاريح وإشارات من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة - من متواترها ومستفيضها - في حق أمير المؤمنين علي عليه السلام فإن من يلحظ هذه الأمور مجتمعة لا يتردد بان هذه الأمور كلها أمارات لإمامة أمير المؤمنين وولايته جلية وواضحة وضح الشمس في رابعة النهار..

وفي الواقع يبقى الإنسان وحقيقة نفسه وكما يقول القرآن الكريم: ﴿بَلِ

الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ * وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ﴾^(١)

ولقد شاهدتُ بعضهم في بعض الفضائيات يتحدثون مدرسة أهل البيت وأتباعها أن يأتوا بآية واحدة صريحة من القرآن الكريم تتحدث عن فضيلة للإمام علي عليه السلام!! فان مثل هذا اللون من الناس لا يُحاجج بل يُترك لتدفن معه أحقاده ويُلهى عنه ونفسه.

فلقد تضمّن القرآن الكريم المئات من الآيات المباركة في فضائل ومناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، ومنها ما تحدّثت عن الإمامة والخلافة والتي جعلها الله تعالى فيه وفي ولده بعد رسول الله صلى الله عليه وآله.

وفي هذه الوريقات المتواضعات استدلتُ ببعض تلك الآيات على ولاية أمير المؤمنين عليه السلام. وذلك بعد أن طلب مني بعض الإخوة الأحبة إعداد ذلك، لكي تكون سلسلة حلقات تُعرض على شاشة بعض القنوات الفضائية، فشرعتُ بتهيئتها وعُرض بعضها من خلال عشرين حلقة، والحمد لله، ولكي تكون الفائدة أعمّ وأشمل قمت بتدوينها هنا.

ومّا رجوته في هذا الإعداد والتأليف أن أبحث في أكثر عدد من الآيات القرآنية فيما يُهمُّ موضوع إمامة أهل البيت عليهم السلام في ضمن مُجلّد واحد، مع توضيح يتناسب مع حجم هذا الكتاب، ليسهل على من يريد الوقوف على تلك الآيات دون إطناب طويل ودون إهمال لما ينبغي الإشارة إليه.

وقد بُحث هذا الموضوع ليس قليلاً، ولكن بعضهم فصله كثيراً بحيث جعله في مجلّدات وأجزاء كثيرة، وآخر أشار الى بعض تلك الآيات واختصر شرحها حتى جعله في كتيّب صغير، وثالث خلط بين آيات الخلافة والإمامة وبين آيات المناقب والفضائل لأهل البيت عليهم السلام، وشكر الله سعيهم جميعاً.

ولكنني أردتُ هنا أن آتي على أربعين آية مستندلاً بها على الخلافة لأهل البيت عليهم السلام، بغضّ النظر عن آيات الفضائل والمناقب لهم، وأن يكون كلُّ ذلك في مجلّد واحد، فبحثت أكثر من عشرين آية في فصول متعددة بقدر من التفصيل، وعلقتُ على عشرين آية أخرى سردها العلامة الحلي في كتابه: (نهج الحقّ وكشف الصدق) راجياً أن تقع هذه الصفحات بين يدي طلاب الحقيقة من مثقفي هذه الأمة، وقبل ذلك سائلاً الله تعالى القبول، وشاكراً له فضله وامتنانه عليّ، وشاكراً للقارئ الكريم تصفّحه له وصفحه

١٢..... أربعون آية

عني وراجياً منه عفوه وإنصافه.

اللَّهُمَّ أَرِنَا الْحَقَّ حَقًّا فَتَتَّبِعُهُ وَالْبَاطِلَ بَاطِلًا فَتَجْتَنِبَهُ. بِحَقِّكَ وَبِحَقِّ أَنْبِيَائِكَ
وَرَسَلِكَ وَأَصْفِيائِكَ صَلَوَاتِكَ وَسَلَامِكَ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ يَا مَنْ أَرْجُو تَفَضُّلَكَ عَلَيَّ بِالْقَبُولِ أَمْنًا عَلَيَّ وَتَقَبُّلِ مَنِيَّ وَابْعَثْ
ثَوَابَ هَذَا إِلَى رُوحِ وَالِدِي اللَّذِينَ هُمَا فِي دَارِ رَحْمَتِكَ، وَسَدِّدْ لِي لَبْرَهُمَا مَا
دَمْتُ حَيًّا.. آمِينَ.

والحمد لله ربّ العلمين

ناصر

كربلاء المقدسة

٢٠١١ م / ١٤٣٢ هـ. ق.

الفصل الأول

آية الابتلاء

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ
لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾^(١).

تُعدّ هذه الآية المباركة من أكثر الآيات دلالة على موضوع الإمامة بصورة عامّة، وتدل أيضاً على إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

كيفية الاستدلال بالآية

يتمّ الاستدلال بهذه الآية المباركة من جهتين ومقطعين في الآية.

الأولى: قوله تعالى: ﴿إني جاعلك للناس إماماً﴾.

الثانية: قوله سبحانه: ﴿لا ينال عهدي الظالمين﴾ وإليك بعض التفصيل.

الجهة الأولى: قوله تعالى: ﴿إني جاعلك للناس إماماً﴾.

يكون الاستدلال بهذه الجهة أيضاً بلحاظين:

اللاحاظ الأول: هو ملاحظة ما بينته الآية من كون الإمامة تتمُّ بجعل من الله تعالى، إذ قال سبحانه لإبراهيم عليه السلام: ﴿إني جاعلك للناس إماماً﴾، فقد أضاف الله سبحانه إلى إبراهيم منصب الإمامة إضافة إلى كونه نبياً وذلك باعتبار أن الأنبياء يتفاوتون بالدرجات والمناصب والمهام، فقد ورد في كتاب الكافي: عن الإمام الصادق عليه السلام: الأنبياء والمرسلون على أربع طبقات: فنبى مُنبأً في نفسه لا يعدو غيرها، ونبي يرى في النوم ويسمع الصوت ولا يعاينه في اليقظة، ولم يبعث إلى أحد وعليه إمام مثل ما كان إبراهيم على لوط ونبي يرى في منامه ويسمع الصوت ويعاين الملك، وقد أرسل إلى طائفة قتلوا أو كثروا، كيونس قال الله: ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِثَّةِ آلِفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾^(١) قال: يزيدون: ثلاثين ألفاً وعليه إمام، والذي يرى في نومه ويسمع الصوت ويعاين في اليقظة وهو إمام مثل أولي العزم وقد كان إبراهيم عليه السلام نبياً وليس بإمام حتى قال الله: ﴿إني جاعلك للناس إماماً قال: ومن ذريتي﴾ فقال الله: ﴿لا ينال عهدي الظالمين﴾ من عبد صنماً أو وثناً لا يكون إماماً^(٢).

الإمامة والجعل الإلهي

فقد دلّت الرواية على أن هذا الجعل كان بخصوص الإمامة بغضّ النظر عن النبوة، لأن إبراهيم عليه السلام كان نبياً قبل ذلك، وهذا ما نريد قوله من أن الله تعالى جعل الإمامة لإبراهيم عليه السلام كما جعل له النبوة من قبل، وكما لا يمكن لنبي أن يدعى النبوة دون جعل من الله تعالى كذلك لا يمكن ادعاء

١ - أضافات / ١٤٧.

٢ - الكافي للشيخ الكليني، ج ١، ص ١٧٤ - ١٧٥.

الإمامة الشرعية إلا أن تكون بجعل من الله تعالى، سواء كان هذا الجعل للإمامة مباشرة منه سبحانه كما في هذه الآية أم تكون عن نص من نبي لمن يأمره الله تعالى بذلك، كما قال الله تعالى حكاية عن نبيه موسى لأخيه النبي هارون عليه السلام حينما خرج للميقات: ﴿وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾^(١) فكان هارون عليه السلام نبياً وخليفة لنبي على قومه بتعيين من النبي موسى عليه السلام

وتمما يوثق ويؤكد هذا المعنى - من كون الإمامة تكون بجعل من الله تعالى - هو أن مفردة الخلافة أو الإمامة بل حتى الوزارة جاءت دائماً في القرآن الكريم بعد مادة الجعل الإلهي وبأمر من الله تعالى، كما هو الملاحظ في الآيات التالية.

قال تعالى: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾^(٢).

وقال سبحانه: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(٣).

وقال (عز وجل): ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾^(٤).
وكذا قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ

١ - الأعراف / ١٤٢.

٢ - ص / ٢٦.

٣ - البقرة / ٣٠.

٤ - النور / ٥٥.

هَارُونَ وَزَيْرًا ﴿١﴾ .

وأيضاً قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ إِلَهَ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ (٢).

وكذلك قوله سبحانه: ﴿وَتُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ (٣).

وقال تعالى أيضاً: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أئِمَّةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ (٤).

فترى في هذه الآيات أن الخلافة والإمامة والوزارة للنبي - كما جاء التعبير بهذه المفردات في الآيات - كلها جاءت بجعل من الله تعالى، وهذا يعضد القول بأن قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ يفيد أن الإمامة تكون بجعل من الله تعالى.

هذا هو اللحاظ الأول في هذه الجهة الأولى.

انسجام القول بالنص مع النهج القرآني

اللحاظ الثاني: هو ملاحظة الواقع الخارجي في الحياة العامة، فإن تحقق الإمامة ووجود الخليفة على الأرض أمر لا محالة منه، ففي كل زمان لأبد للأمة من إمام، ولأبد للشعب من قائد.

١ - الفرقان / ٣٥.

٢ - النمل / ٦٢.

٣ - القصص / ٥.

٤ - السجدة / ٢٤.

وإذا لاحظنا حقيقة إمامة أمير المؤمنين عليه السلام نجدها منطبقة ومتوافقة مع الواقع القرآني في لابدية النصّ على الإمام، وهو الوحيد من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله الذي إدعى الإمامة بالنصّ والوصية من النبي صلى الله عليه وآله وبآيات من القرآن الكريم كما وادّعاها له آله وأولاده من الأئمة عليهم السلام وأتباعه من القائلين بلزوم النصّ على الإمام والخليفة للنبي صلى الله عليه وآله، فلا بد أن يكون هو الإمام المنصوص عليه، لأن هذا الرأي هو الأقرب للواقع الذي شاهدناه في آيات القرآن الكريم والذي لم يزل يقرن الخلافة والإمامة والوزارة بجعل من الله ونصّ من النبي، فضلاً عن مصداقية أمير المؤمنين علي عليه السلام وثبوت صدقه في دعواه.

بالإضافة إلى ما استدللّ واحتجّ به من آيات ونصوص من النبي صلى الله عليه وآله - بما ذكر بعضها ويأتي بعضها الآخر - من أمثال آية الولاية: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾^(١).

وآية إكمال الدين: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^(٢).

ومن أمثال نصّ النبي صلى الله عليه وآله على الإمام علي عليه السلام مثل قوله: (الله أكبر على إكمال الدين وإتمام النعمة ورضى الربّ برسالتى وولاية علي بن أبي طالب من بعدى)^(٣). وغير ذلك من الآيات والأحاديث النبوية والتي نحن

١ - المائة / ٥٥.

٢ - المائة / ٣٣.

٣ - شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني ج ١ ص ١٥٧.

بصدّد التحدّث عنها في هذا الكتاب.

والسؤال الذي يُطرح هنا هو عن إمامة الذين تصدّوا للخلافة بعد وفاة النبي ﷺ فهل كانت محاكية للجو القرآني الذي رأيناه؟ وهل كانت تجعل من الله تعالى أم بتنصيب من النبي ﷺ؟

بالطبع لم يدع أحد ممن تصدّر الرئاسة والخلافة حينها أنه استحقّها بنصّ من النبي ﷺ أو بإشارة من القرآن الكريم ولم يزعمها احد من أتباعهم لهم ذلك.

فنستنتج من هذا اللحاظ الثاني اقربية القول بالنصّ بالإمامة وموافقه واقع إمامة الإمام علي عليه السلام للقرآن الكريم، وسرى في المقطع الثاني من الآية المباركة والجهة الثانية من الاستدلال لابدئية القول بالنصّ على الإمام. وفي الحقيقة إن أصل الدليل في الآية على إمامة أمير المؤمنين علي عليه السلام هو المقطع الآخر من الآية وهذه الجهة الأولى هي بمثابة المقدمة للمقطع الآتي:

إستفسار:

وقبل الخوض في المقطع الآخر من الآية ربما يسأل سائل ويقول: إن الآيات وان دلّت على أنّ الإمامة والخلافة قرنت بمادة الجعل من الله تعالى ولكنّ هذا لا يدلّ على أن لا تكون بغير جعل منه سبحانه، فالآيات ساكتة عن هذا الجانب الآخر، فقد تكون الإمامة بالجعل والتّص وقد تكون أيضاً بالبيعة أو الشورى أو الوراثة وما شابه، وكما يقال إثبات الشيء لا ينفي ما عداه.

والجواب على ذلك أمران:

الأول: إن بعض التعبيرات تتضمن بنفسها دلالة على المحصر ونفي الحالة المغايرة لفادها مثل الجملة المشتملة على كلمة (إنما) وهي موجودة في آية الولاية - كما يأتي في محله - وغير ذلك من التعبيرات الواضحة في المحصر، والأمر هنا واضح، فإذا قيل: إن الرئيس هو من يعين الوزراء.. أليس معنى هذا إن تعيين الوزراء هو من إختصاصات الرئيس؟.

الثاني: إن المقطع الآخر من الآية المباركة ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ يدل على - كما سنوضح - على أن الإمامة لا تكون إلاّ بالجعل والنص، لأن مفاد هذا المقطع من الآية هو لزوم عصمة الإمام، وهذا الأمر لا يتأتى إلاّ عن طريق النص فتكون الآية نافية بمجموعها عن إمكانية الإمامة والخلافة لغير المعصوم، و سيتدّح هذا الأمر بشكل أكثر في الجهة الثانية من الاستدلال بالآية.

الجهة الثانية من الاستدلال بالآية:

قوله تعالى: ﴿قَالَ وَمَنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾.
 لما جعل الله تعالى إبراهيم عليه السلام إماماً، طلب النبي إبراهيم عليه السلام منه أن يجعلها أيضاً في بعض ذريّته، حيث قال: (ومن ذريّتي) أي لبعضهم، لأن (من) هنا للتبعيض وهي معطوفة على الكاف في قوله تعالى (جاعلك) والعطف في مثل هذه الحال يكون للمتلقين، كما يقال (وزيداً) في جواب من يقول (سأكرمك) أي أكرم زيداً معي أيضاً، وبما أن النبي إبراهيم عليه السلام كان يعلم أن الإمامة لا تُجعل للعاصي من الناس لهذا طلبها لبعض ذريّته لا لجميعهم.

وأجابه الله تعالى بأن الإمامة عهد من الله تعالى وهذا العهد لا يُعطى للظالمين، فهي كذلك تكون لبعض ذرية النبي إبراهيم عليه السلام أي لأولئك الذين لا ينطبق عليهم وصف الظلم أصلاً وأبداً، حتى ظلمهم لأنفسهم، أي أولئك الذين عُصموا من الذنب، لأن الذنب ومعصية الله تعالى هو ظلم أيضاً، فتكون الإمامة في الأشخاص المعصومين من ذرية النبي إبراهيم عليه السلام.

أيها القارئ الكريم : بهذا الاستدلال نتوصل إلى ضرورة عصمة الإمام ثم لابدئية تعيينه وجعله من السماء فلائد - إذا - من النصّ.

توضيح الاستدلال

وللتوضيح نقول: إن الاستدلال بهذا المقطع من الآية يكون عبر نقاط..
النقطة الأولى: إن العهد الإلهي (الإمامة) لا يُعطى لأحد من الظالمين، ومن الواضح أن المراد من العهد هي الإمامة، وذلك ليتوافق جوابه سبحانه مع طلب إبراهيم عليه السلام ومع كلامه سبحانه المسبق عن الإمامة حيث قال سبحانه: ﴿إني جاعلك للناس إماماً﴾ فطلبها إبراهيم لبعض ذريته فجاء الجواب منه تعالى: ﴿لا ينال عهدي الظالمين﴾ أي: إن الإمامة لا تكون للظالمين.

النقطة الثانية: ما هو الظلم ومن هو الظالم ؟

ذكروا أن الظلم هو وضع الشيء في غير موضعه^(١). وأن الظالم قد

١ - ذكر كثير من المفسرين في مثل قوله تعالى: (إنّ الشرك لظلم عظيم) أن الظلم هو وضع الشيء في غير موضعه أو غير محلّه، مجمع البيان للشيخ الطبرسي، التمهيد لابن عبد البر، تفسير السمرقني، وغيرهم .

يكون ظالماً لغيره كما هو واضح وقد يكون ظالماً لنفسه، ومن الظلم للنفس هي المعصية والتعدّي على حدود الله تعالى والشرع، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾^(١). وقال سبحانه ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا﴾^(٢)، فالظالم ظالم وان كان يظلم نفسه بارتكابه المعاصي بينه وبين الله تعالى.

النقطة الثالثة: إن الظالم قد يكون ظالماً الآن وبالفعل كأن يمارس الظلم على الآخرين أو على نفسه بارتكاب المعاصي، وقد يكون ظالماً باعتبار ما اقترفه من ظلم ولو في يوم ما، وبما أنه قد انطبق عليه وصف الظلم فلا يناله العهد الإلهي ولا يكون إماماً وخليفة لله تعالى على الأرض.

وقد ذكر العلماء أن الوصف والمشتق أي (إسم الفاعل وإسم المفعول والصفة المشبهة) ينطبق على المتلبس بالوصف حالاً وفعلاً كالذي يمارس الوصف حالاً - كالظالم الآن فيقال له ظالم فينطبق عليه هذا الوصف والعنوان - كما إنه ينطبق على من تلبس بالوصف يوماً ما - كمن ظلم في حين ما - فيصدق عليه الوصف وينطبق عليه عنوان الظلم ويقال عنه أيضاً أنه ظالم.

وإليك مثلاً آخر: القتل، فمن قتل إنساناً - مثلاً - يوماً ما يبقى وصف القاتل منطبقاً، عليه فيقال عنه أنه القاتل، سواء كان إطلاق هذا العنوان عليه حقيقة أم مجازاً.

١ - الطلاق / ١.

٢ - الكهف / ٢٥.

فإن قال قائل: هناك بعض الأوصاف التي لا تبقى ملازمة لفاعلها ويرتفع ذلك العنوان عمّن اتّصف بها يوماً ما، فمثلاً: من كان عادلاً وملتزماً بالأحكام الشرعيّة ثم بعد ذلك أصبح عاصياً ومقترفاً للمعاصي، ينتفى عنه عنوان العدالة فلا يقال عنه عادل بل يقال انه فاسق، فلا يبقى الوصف منطبقاً عليه.

فالجواب: هناك بعض الأوصاف تبقى ملازمة لأصحابها حتى بعد مفارقتهم لها كالقتل والظلم فيقال قاتل أو ظالم لمن قتل أو ظلم يوماً ما. وقد وضّح العلماء الفرق بين هذه المشتقات والأوصاف وقالوا: إن المبدأ (أي الحالة التي تلبّس بها الإنسان ووُصف بها) إذا كان من قبيل الصفات - كالعالم والجاهل والقائم والقاعد - فإن الأوصاف (المشتق) حينئذ لا تصدق إلاّ على من هو متلبّس بها بالفعل وفي الحال فإذا قيل: عليّ قائم أو قاعد فإنه يراد منه حالته الفعلية فقط، أي هو قائم الآن وقاعد الآن، ولا يقال لشخص هو الآن قاعد: قائم، لأنه كان قائماً قبل ذلك.

أمّا لو كان المبدأ من قبيل الأفعال - كالضارب والظالم والقاتل والوالد وما أشبه - فيصدق المشتق منها على المتلبس به بمجرد حدوث ذلك الفعل وصدوره من فاعله ولا يلزم تلبّسه بذلك الفعل دائماً، فمن قتل يقال عنه: قاتل، ولو بعد حين، ومن أولد يقال له: والد، ولو بعد حين، وكذلك (ظالم). والذي نريد أن نوّكد عليه - في هذه النقطة - أن كلمة (الظالمين) في الآية المباركة يمكن أن تشمل من ظلم ولو يوماً ما.

النقطة الرابعة: إن الآية المباركة اشتملت على مفردة: (الظالمين) وهي من المشتقات التي يصدق انطباقها على من يمارس الظلم بالفعل ومن مارسه

يوماً ما حتى وان تخلى عنه بعد حين، وقد جاءت هذه المفردة (الظالمين) مطلقة فلا يليق بالإمامة والعهد الإلهي من اقترف ظلماً بصورة مطلقة سواء كان الآن أم قبل ذلك وسواء كان ظلماً للآخرين أم ظلماً للنفس. وهذا المعنى يبدو جلياً أكثر لمن يتأمل الآية ويتأمل ما أراده النبي إبراهيم عليه السلام حينما قال: ﴿ومن ذريتي﴾، وما جاء في جواب الله (عز وجل) في قوله: ﴿لا ينال عهدي الظالمين﴾ ولزيد التوضيح نقول :

أربع فرضيات في الآية:

هناك أربع فرضيات وصور في الآية لا غير، وهي:

١- أن يكون الإنسان ظالماً دائماً وأبداً.

٢- أن لا يكون ظالماً دائماً وأبداً.

٣- أن يكون ظالماً من قبل ثم يصبح صالحاً حين الإمامة.

٤- أن يكون صالحاً من قبل ثم يصبح ظالماً حين الإمامة.

والآن.. لتتناول هذه الفرضيات بالبحث والدراسة لتعرف الفرضية

الصحيحة من غيرها:

أولاً: من المؤكد أن النبي إبراهيم عليه السلام لم يكن ليطلب الإمامة لمن

يمارس الظلم دائماً وأبداً، وهذا واضح فهو عليه السلام أجل من أن يطلب من ربه

سبحانه مثل هذا المنصب القيادي والخطير لإنسان يمارس الظلم دائماً !!

فهذا أمر لا يتصوره عاقل، وبهذا ينتفي الفرض الأول.

ثانياً: كما لا يمكن لإبراهيم عليه السلام أن يطلب الإمامة لمن كان عادلاً

٢٦.....أربعون آية

ومتقياً قبل تصديّه للأمامة ثم أصبح فاسقاً وظالماً بعد تصديّه لها لأن هذا من المؤكّد أنه لا يصلح للإمامة .

إذن: هذه الصورة أيضاً لا يمكن أن يريدها ويطلبها النبي إبراهيم عليه السلام لأحد من ذريته، وبهذا ينتفي الفرض الرابع.

وحينئذ لا يكون قوله تعالى: ﴿لا ينال عهدي الظالمين﴾ جواباً على أحد هذين الفرضين،

بقي الفرض الثاني والثالث، حيث يمكن أن تكون الآية جواباً عليهما أو على أحدهما وهو أن نفرض إمكانية الإمامة لمن كان عاصياً ثم اهتدى وصلاح فجاء الجواب على ردّ هذا الفرض بقوله تعالى: ﴿لا ينال عهدي الظالمين﴾ فكلّ من إقترف ظلماً - بشكل مطلق - لا يصلح للإمامة.

يبقى الفرض الأخير - الثالث في التقسيم - وهو أهلية الإمامة لمن كان صالحاً دائماً في الماضي والحال والمستقبل بأن لا تصدر منه المعصية والظلم ابداً، فكان الجواب في الآية: انه يا إبراهيم إن الإمامة في المعصومين من ذريتك وحسب لا فيمن اقترف ظلماً حتى لو تاب.

أيها القارئ الكريم: لقد ظهر لك بكلّ وضوح أن المراد من (الظالمين) في الآية هو من ظلم يوماً ما ولو تاب بعد حين، ولا يقع قوله تعالى جواباً على غير هذا الأمر.

فهل يمكن أن يكون جواباً على سؤال هو: هل تكون الإمامة لإنسان ظالم يباشر الظلم حين الإمامة فقط أو من يباشر الظلم دائماً ؟

لا يمكن أن يكون هذا هو السؤال لأن هذا لا يتوقع - كما قلنا - ولا

يُتصوّر من النبي إبراهيم عليه السلام أن يطلب من ربّه هكذا طلب حتى تكون الآية جواباً على ذلك.

كما إن إبراهيم عليه السلام يعلم أنّه قد نصبه الله إماماً فهو يعلم أن المعصوم مؤهل للإمامة وكما هو أمر لا يشكك العقل بصلاحيّة المعصوم للإمامة.

فتبقى الآية: ﴿لا ينال عهدي الظالمين﴾ جواباً على أمر واحد قد يُسأل عنه وهو بالنسبة لمن كان فاسقاً وظالماً ثم تاب وأصبح صالحاً فهل يمكن لهذا أن يُصبح إماماً مجعولاً من قبل الله تعالى؟ فجاء الجواب (لا)، ومن المؤكّد أن إبراهيم عليه السلام كان يعلم ذلك ولذلك طلب الإمامة لبعض ذريته ممن هم مؤهلون لها، وهم المعصومون من الذنب والظلم بصورة مطلقة وجاء الجواب موضحاً أنه بالفعل لا يكون عهد الله للظالمين سواء من ذرية إبراهيم عليه السلام أم من غيرهم، وإنما هي للمعصومين فقط.

النقطة الخامسة: إنّ في قوله تعالى: ﴿لا ينال عهدي الظالمين﴾ دلالة على أنّ الإمامة ليست بالترشيح من الأفراد لنيل هذا المنصب، ولا بانتخاب من الناس - كما هو الحال في الأنظمة الديمقراطيّة - بل الإمامة عهد إلهيّ ينال من يختاره الله تعالى لذلك، ويجعله في هذا المنصب المهمّ والخطير.

ويؤكّد هذا المعنى إضافة كلمة العهد إلى بقاء المتكلم في قوله تعالى: ﴿عهدي﴾، فالإمامة عهد الله تعالى وهو منصب إلهيّ كالنبوءة، وهو الله (عزّ وجل) الذي يُنصّب الشخص الكفوء لتلك المهمّة ويختاره لأداء ذلك الدور، وليست القضية بإختيار من الناس.

ولابد من الإنتباه إلى أننا لانقصد من الإمامة مجرد القيادة السياسيّة للأمة، بل الأمر أكبر وأعظم من ذلك بكثير، فالإمام هو حجّة الله تعالى على

الخلق والمحافظة للدين من التحريف، وهو الوارث لعلم الأنبياء، وسنختم الكتاب بحديث الإمام الرضا عليه السلام - إن شاء الله - في ذلك .

النقطة السادسة: إننا بعد ملاحظة تلك النقاط نخرج بنتيجة واضحة وهي أن الإمامة خاصة بمن عصمهم الله تعالى من الظلم والذنب مطلقاً سواء الظلم للنفس أم للآخرين وسواء الظلم السابق أم الحالي أم اللاحق أم في آن ما من الآتات، وتقول: إن ذلك يصدق وينطبق على الإمام علي عليه السلام دون الآخرين ممن حكموا وتصدوا للحكم بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسنلاحظ ذلك ..

تطبيق الآية على ولاية أمير المؤمنين عليه السلام

بعد أن تبين أن الآية أرادت الإمامة للمعصوم من الذنب فنرى أن المصداق لذلك هو الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وذلك لأنه:

١ - لم تنسب إليه معصية ولا صفة ظلم، لا لنفسه ولا لغيره، لا قبل الإسلام ولا بعد ذلك، وقد اشتهر التعبير بعد ذكر اسمه بقولهم: كرم الله وجهه، حيث انه عليه السلام كرسول الله صلى الله عليه وآله لم يسجداً لصنم قط، بينما قد سجد الآخرون للأصنام وسجّلت عليهم الذنوب والفواحش التي كانت تقترف أيام الجاهلية.

٢ - وقد جاءت الدلائل والنصوص على طهارته عليه السلام من كل رجس وظلم وذنوب، فقد نزهه القرآن في آية التطهير عن مطلق الرجس، كما رويت الأحاديث في ذلك بما لا يُبقي مجالاً للشك، منها:

عن جعفر الطيّار (رضوان الله عليه) قال: لما نظر رسول الله إلى الرحمة هابطة قال: (أدعوا لي ادعوا لي) فقالت صفيّة: من يا رسول الله؟ قال: (أهل

بيتي علياً وفاطمة والحسن والحسين) فجيء بهم فألقى عليهم النبي كساءه ثم رفع يديه ثم قال: (اللهم هؤلاء آلي، فصلّ على محمد وعلى آل محمد وأنزل الله (عزّ وجل): ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾، وقال الحاكم: وقد صحّت الرواية على شرط الشيخين^(١).

وقد عصمه النبي ﷺ لما قرنه بالقرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل وقال: (علي مع القرآن والقرآن مع علي وإيهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض)^(٢) ومن معاني عدم الإفتراق عن القرآن الكريم أنه لا يشوبه الباطل أبداً وهذا يعني عصمته ﷺ.

٣ - وقد وردت الروايات بأن دعوة إبراهيم عليه السلام انتهت إلى النبي ﷺ وإلى الإمام علي عليه السلام كما في الحديث عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: أنا دعوة أبي إبراهيم، قلنا: يا رسول الله وكيف صرت دعوة أبيك إبراهيم؟ قال: أوحى الله (عزّ وجل) إلى إبراهيم: ﴿إني جاعلك للناس إماماً﴾. فاستخف إبراهيم عليه السلام الفرخ (أي شمله الفرخ) قال: يا ربّ ومن ذريّتي أئمة مثلي؟ فأوحى الله تعالى إليه: أن يا إبراهيم إني لا أعطيك عهداً لا أفي لك به. قال: يا رب ما العهد الذي لا تف لي به؟ قال: لا أعطيك للظالم من ذريتك عهداً. قال إبراهيم عندها: ﴿وَأَجْنِبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ * رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلُّنَ

١ - المستدرك للحاكم المسكاني ج ٣ / ١٤٨.

٢ - المستدرك للحاكم في صفحة ١٢٤ من الجزء ٣ والذهبي في تلك الصفحة من تلخيصه، مصرّحين بصحته، وهو من الأحاديث المستفيضة.

٣٠..... أربعون آية

كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي ﴿١﴾ . قال النبي ﷺ: فاتته الدعوة إلي وإلى علي، لم يسجد أحد مّا لصنم قطّ فاتّخذني نبياً واتّخذ علياً وصياً^(٢). ونختم هذا الفصل بهذه الرواية المباركة عن الإمام الصادق عليه السلام والتي تبين عظيم منزلة الإمامة.

عن زيد الشحام قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إن الله تبارك وتعالى اتّخذ إبراهيم عبداً قبل أن يتّخذهُ نبياً وإن الله اتّخذهُ نبياً قبل أن يتّخذهُ رسولاً وإن الله اتّخذهُ رسولاً قبل أن يتّخذهُ خليلاً وإن الله اتّخذهُ خليلاً قبل أن يجعله إماماً، فلما جَمَع له الأشياء قال: ﴿إني جاعلك للناس إماماً﴾ قال: فمن عظمها في عين إبراهيم قال: ﴿ومن ذريتي، قال: لا ينال عهدي الظالمين﴾ قال: لا يكون السفية إمام التقى^(٣).

الخلاصة :

خلاصة هذا البحث في هذه الآية المباركة هي أنها دلّت على أن الإمامة عهد من الله تعالى وهي لا تؤتى إلاّ لمعصوم من الذنب، وكان الإمام عليّ عليه السلام هو المصداق الأول بعد رسول الله ﷺ لهذه الآية فكان هو الإمام وكانت هذه الآية من آيات الإمامة له عليه السلام. والحمد لله رب العالمين.

١ - سورة إبراهيم ٣٥ - ٣٦.

٢ - المناقب لأبن المغازلي الشافعي / ٢٧٦ وخصائص الوحي المبين - للحافظ ابن الطريق - ص ١٣٦.

٣ - الكافي - للشيخ الكليني - ج ١ - ص ١٧٥.

الفصل الثاني

آية المباهلة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ
أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ
لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾^(١).

تدل الآية دلالة التزامية على لزوم خلافة الإمام علي عليه السلام بعد النبي صلى الله عليه وآله مباشرة، وذلك لأن الآية بيّنت - كما ستعرف - أن الإمام علياً عليه السلام هو نفس النبي صلى الله عليه وآله من حيث المنزلة باستثناء النبوة وما خرج بالدليل، فيكون هو أفضل البشر بعد النبي صلى الله عليه وآله.

ولما كانت للنبي منزلة القيادة للأمة فتكون هذه المنزلة لمن هو نفس النبي، وتثبت له جميع صفاته وصلاحياته صلى الله عليه وآله فيكون هو الإمام والخليفة. وننقل هنا باختصار قصة نزول الآية، ثم نبين أن المراد من (أنفسنا) هو الإمام علي عليه السلام فهو نفس النبي صلى الله عليه وآله وعندئذ نخرج بنتيجة أنه يتمتع بمنزلة النبي صلى الله عليه وآله ومؤهلاته ومنها: الخلافة والقيادة، فيجب أن يكون هو الإمام

مباشرة بعد النبي لأنه الأفضل بل هو نفس النبي ﷺ.
 وحينذاك ينبغي لمن يستدل بقوله تعالى: ﴿إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ﴾^(١) من أن أبا بكر صاحب النبي ﷺ وبذلك يستحق الخلافة، عليه أن لا ينسى أن النفس مقدمة على الصاحب، فكيف أعرض عن نفس النبي وتمسك بصاحبه؟!

قصة الآية وشأن النزول

لقد ذكر المفسرون أنها نزلت في وفد نصارى نجران (العاقب والسيد ومن معهما) حيث حاججهم النبي ﷺ في شأن النبي عيسى عليه السلام من انه عبد من عباد الله تعالى فقالوا لرسول الله: هل رأيت ولدًا من غير أب؟! فنزلت: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(٢).. الآيات، فقرأها عليهم، فرفضوا قبول الحق وظلوا يجادلون في الباطل فنزلت آية المباهلة، وهي بمعنى الملاعنة والسؤال من الله تعالى أن ينزل العذاب على الطرف المعاند والكاذب في ادعائه، فلما دعاهم رسول الله إلى المباهلة استنظروه إلى صبيحة غد من يومهم ذلك.

فلما رجعوا إلى رجالهم قال لهم الأسقف: انظروا محمدًا في غد فإن غدًا بوّده وأهله فاحذروا مباهلته، وإن غدًا بأصحابه فباهلوه فإنه على غير شيء.

١ - التوبة / ٤٠ .

٢ - آل عمران / ٥٩ .

ولما كان الغد جاء النبي ﷺ آخذاً بيد الإمام علي عليه السلام، والحسن عليه السلام والحسين عليه السلام بين يديه يمسيان وفاطمة عليها السلام تمشي خلفه، وفي بعض التفاسير أن النبي جاء محتضناً حسيناً وآخذاً بيد الحسن، وتمشي خلفه ابنته فاطمة وخلفها يمشي علي (عليهم جميعاً صلوات الله) وقال لهم: إذا أنا دعوتُ فأمنوا، وخرج النصارى يتقدمهم أسقفهم. فلما رأى النبي ﷺ قد أقبل بمن معه سأل عنهم فقيل له: هذا ابن عمه وزوج ابنته وأحب الخلق إليه، وهذان ابنا بنته من علي، وهذه الجارية بنته فاطمة أعزُّ الناس عليه وأقربهم إلى قلبه.

ولما تقدم رسول الله ﷺ وجنا على ركبتيه، قال أبو حارثة الأسقف: جنا والله كما جنا الأنبياء للمباهلة. فرجع ولم يقدم على المباهلة، فقال السيد: أذن يا أبا حارثة للمباهلة!

فقال: لا. إني لأرى رجلاً جريئاً على المباهلة وأنا أخاف أن يكون صادقاً ولئن كان صادقاً لم يحلّ والله علينا حولٌ وفي الدنيا نصراني يُطعم الماء. وقال أسقف نجران: يا معشر النصارى! إني لأرى وجوهاً لو شاء الله أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله بها، فلا تباهلوا فتهلكوا.

فقال الأسقف: يا أبا القاسم إنا لا نباهلك ولكن نصالحك، فصالحهم على أمور يعطوها^(١).

وبالفعل.. لقد نجح النصارى من هلاك محمّد، لأن الله سبحانه ما كان ليردّ دعاء النبي وأهل بيته (صلواته وسلامه عليهم).

١ - تفسير الرازي / ج ٨ ص ٨٥ ، تفسير النسفي / ج ١ ص ١٥٧ ، تفسير جامع الجوامع للشيخ الطبرسي / ج ١ ص ٢٩٤ ، تفسير الميزان للطباطبائي / ج ٣ ص ٢٢٢ .

وبعد انصرفهم عن الملاعنة والمباهلة قال رسول الله ﷺ: (والذي نفسي بيده، إن الهلاك قد تدلىّ على أهل نجران، ولو لاعتوا لمُسَخُوا قردة و خنازير، ولاضطرم عليهم الوادي ناراً، ولاستأصل الله نجران وأهله حتى الطيور على رؤوس الشجر، ولما حال الحول على النصارى حتى يهلكوا)^(١).
أيها القارئ الكريم: إن هذه القضية تثبت صحة وصدق ما جاء به النبي ﷺ للأمة ولل البشرية، وكذلك تبيّن عظيم المنزلة الإيمانية الراسخة عند هؤلاء الخمسة الأطهار، ولقد نُقل عن احد العلماء^(٢) قوله: (إن مباهلة وملاعنة أهل الكساء و الخمسة النجباء - صلوات الله عليهم أجمعين - مع نصارى نجران لا تخلو عن أربعة وجوه في العقل والتصور:

الأول: أن تستجاب مباهلة كل واحد من الطرفين، فتكون هذه سبباً لاستيصالهما وهلاك كل واحد منهما.

الثاني: أن لا تستجاب مباهلة كل من الخصمين كليهما، فيكون هذا سبباً لسقوطهما عن أعين الناس، لاسيماً إذا كان المباهلون من ولاة الأمر والدعاة إلى الدين، كما فيما نحن فيه.

الثالث: أن تستجاب مباهلة أهل نجران فتكون سبباً لوقوع العذاب على مخالفيهم.

الرابع: أن تستجاب مباهلة وملاعنة أهل البيت - صلوات الله عليهم أجمعين - فتكون سبباً لهلاك خصمهم.

١ - لاحظ أيضاً تفسير أبي السعود، ج ٢: ص ٤٧ .

٢ - نُقل ذلك عن العلامة محمد تقي الفلسفي كما في كتاب الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام - لأحمد الرحماني الهداني - ص ٢٦٤ .

ولقوة هذه الاحتمالات يمتنع كل واحد من الخصمين عن الإقدام على المباهلة لأن فيه مظنة الهلكة والاستيصال والعذاب. فإذا اتضح هذا يُعلم منه أن الخمسة الطيبة كانوا في أعلى درجات اليقين والاطمينان، فلو كان في نفوسهم الشريفة - العياذ بالله - شيء من القلق أم الاضطراب أم التردد في الإجابة وعدمها لم يقدموا أبداً على المباهلة، لأن في الإقدام احتمال الهلكة والنقمة والعذاب أو سقوط منزلتهم وهيبتهم عن أعين الناس. ولكن إيمانهم العظيم بما هم عليه جعل النبي ﷺ يخرج بنفسه مع أحب الخلق إليه وهم أهل بيته عليه السلام.

ونظم الأدباء في هذه القضية، ومنهم السيد علي خان المدني قال في ضمن قصيدة طويلة :

واذكر مباهلة النبي به	وبزوجه وابنيه للنفر
واقراً وأنفسنا وأنفسكم	فكفى بها فخراً مدى الدهر
هذي المفاخر والمكارم لا	قعبان من لبن ولا خمر ^(١)

الاستدلال بالآية على إمامة أمير المؤمنين عليه السلام

بعد أن عرفنا شأن نزول الآية نرى أن دعوة النبي ﷺ كانت لثلاثة أصناف (أبناءنا، نساءنا، أنفسنا) وذلك كما قالت الآية: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾ وكان هو ﷺ صاحب الدعوة لأن الآية أمرته أن يدعو أولئك الأصناف الثلاثة فكان

الحسن والحسين عليهما السلام يمثلان (أبناءنا) وكانت ابنته الزهراء عليها السلام تمثل (نساءنا) ولم يبق إلا علي عليه السلام أن يحل محل نفسه ﷺ فكان هو يمثل (أنفسنا) ولم يكن المراد من (أنفسنا) شخص النبي ﷺ، لأنه هو صاحب الدعوة، والإنسان لا يدعو نفسه وإنما يدعو غيره، ولكنه ﷺ لما احضر علياً عليه السلام معه بين أن منزلته منزلة نفسه، بل بين الله تعالى ذلك حيث انزل الذكر بهذا التعبير، وكان يمكن التعبير بـ (رجالنا) بدل (أنفسنا) في قبال (نساءنا)، ولكن المراد تبين هذه الحقيقة في ضمن هذه القصة، وهناك الأحاديث الكثيرة المروية عن النبي ﷺ والتي تشير إلى هذه الحقيقة ليس في هذه الآية وحسب بل في موارد كثيرة ^(١).

وبعد ذلك نقول: إذا كان الإمام علي عليه السلام هو نفس رسول الله ﷺ من حيث المنزلة والمكانة لزم أن يكون اشرف الخلق بعد النبي ﷺ وذلك لأن النبي ﷺ هو اشرف الخلق دون أي شك، فقد ثبت أن رسول الله ﷺ أفضل من كافة البشر بدلائل يسلمها الجميع، وقد قال ﷺ: (أنا سيد البشر) ^(٢) وقال: (أنا سيد ولد آدم ولا فخر) ^(٣) فعلي كذلك مثله وله منزلته ومنها قيادته ﷺ وإمامته وأولويته على الناس من أنفسهم، لأنه نفسه بصريح الآية، نعم ولاشك

١ - من ذلك قول الرسول الأكرم ﷺ متوعداً أهل الطائف مرةً وقريشاً أخرى: (لتسلمن أو لأبعثن رجلاً مني - وفي رواية: مثل نفسي - فليضرن أعناقكم..). الاستيعاب للحافظ ابن عبد البر ٣: ٤٦، أسد الغابة لابن أثير ٤: ٢٦، شرح الأخبار للقاضي النعمان المغربي ١: ١١١ / ٣٢ و ٣٣، الصواعق المحرقة لابن حجر: ١٢٦.

٢ - صحيح البخاري ٦: ٢٢٣.

٣ - صحيح مسلم ٤: ٢٢٧٨.

انه ليس بنبي، ولكنه عليه السلام هو الأفضل والأشرف بعد النبي صلى الله عليه وآله وهو الإمام لمكانة النبي صلى الله عليه وآله من الإمامة والقيادة للأمة، فمن الطبيعي أن يكون هو الإمام الذي ينبغي أن يحمل محله بعده في إدارة البلاد وإمامة العباد.

ونستخلص من هذا كله:

إن الإمام علياً عليه السلام هو نفس النبي صلى الله عليه وآله بصريح آية المباهلة وله مكانته ومنزلته وعلمه و قيادته وإمامته وله منازل صلى الله عليه وآله كلها إلا النبوة - لأنها خارجة بالدليل - وتبقى له الإمامة من ضمن منازلها فيستحقها بعده.

استفسار:

قد يسأل البعض ويقول: إذا كان الإمام علي عليه السلام هو نفس النبي صلى الله عليه وآله فكيف زوجته ابنته ؟
الجواب على ذلك:

لا شك ولا ريب أنه ليس المقصود من انه نفس النبي صلى الله عليه وآله يعني كلاهما شخص واحد وروح واحدة وجسد واحد ! فهما اثنان احدهما محمد صلى الله عليه وآله والآخر علي عليه السلام احدهما وُلد قبل الآخر ومات قبل الآخر إلا أن المراد هي المنزلة والمكانة المعنوية.

قال العلامة الشيخ المظفر في كتابه السقيفة رداً على ذلك: (إن هذا لا يتوهمه عاقل ولا يتوقف عليه الاستدلال، فإن محمداً محمد وعلياً علي هما شخصان اثنان أحدهما ابن عم الآخر وأحدهما وُلد قبل الآخر ومات قبله، ولكل منهما مميزات الشخصية التي تختلف عن مميزات شخصية الآخر، بل المقصود

أنه نفسه تنزيلاً أي أنه كنفسه وذلك مبالغة في تقاربهما واتحادهما في كثير من الأحكام المنزلة. وذلك يشبه قول الشاعر في مبالغته عن اتحاده مع حبيبه:

أنا مَنْ أهوى وَمَنْ أهوى أنا نحن روحان حللنا بدنا
فإذا أبصرتني أبصرته وإذا أبصرته أبصرتنا^(١)

استفسار آخر..

قد يقول قائل: هناك أحاديث تذكر أن غير علي عليه السلام أيضاً كانت له منزلة قريبة من النبي صلى الله عليه وآله مثل ما روي عنه انه قال: (خير أمتي أبو بكر ثم عمر)، ومن الواضح أن خير الأمة هو أولى بالإمامة؟

الجواب:

أولاً: هذا الحديث هو واحد من عشرات الأحاديث الموضوعية المنسوبة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله كذباً وزوراً، وقد تعرض العلماء الى تضعيفه وتفنيده، قال العلامة السيد علي الميلاني في كتابه:

(قوله صلى الله عليه وآله): (خير أمتي أبو بكر وعمر) هذا الحديث بهذا المقدار ذكره القاضي الآيجي وشارحه وغيرهما أيضاً. لكن الحديث ليس هكذا، للحديث ذيل، وهم أسقطوا هذا الذيل لئتم لهم الاستدلال، فاسمعوا إلى الحديث كاملاً: عن عائشة، قلت: يا رسول الله، من خير الناس بعدك؟ قال: أبو بكر، قلت: ثم من؟ قال: عمر. [هذا المقدار الذي استدل به هؤلاء] وكانت السيدة فاطمة (سلام الله عليها) في المجلس، فقالت فاطمة: يا رسول الله، لم تقل في علي شيئاً! قال: يا فاطمة، علي نفسي، فمن رأيتيه يقول في نفسه شيئاً؟)

فيستدلون بصدر الحديث بقدر ما يتعلّق بالشيخين، ويجعلونه دليلاً على إمامة الشيخين، ويُسقطون ذيله، وكأنّهم لا يعلمون بأن هناك من يرجع إلى الحديث ويقرأه بلفظه الكامل، ويعثر عليه في المصادر، لكن الحديث - مع ذلك - ضعيف سنداً^(١) فراجعوا كتاب تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأحاديث الشنيعة الموضوعة^(٢).

ثانياً: لقد عبّر القرآن الكريم عن الإمام علي عليه السلام بنفس النبي ﷺ مع أن أبا بكر عبّر عنه بصاحبه، ولا تكون منزلة الصحاب كمنزلة النفس وقد أمرنا أن نعرض الحديث على كتاب الله تعالى لنختبر مدى صحّته، فهل يُعبّر عن خير الأُمَّة بالصاحب ويُعبّر عن غيره بالنفس؟! .

وللعلم أن كلمة (الصاحب) تُطلق حتى على مَنْ يُخالف صاحبه في الفكر والعقيدة، كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا﴾^(٣)، فهذا المؤمن بالله له صاحب كافر، حيث يخاطبه بالكفر ويقول له: (أكفرت)! مع أنه صاحبه!!، فليست الصحبة بنفسها دليلاً على علو الشأن وعظيم المنزلة .

هذا .. و الحديث عن آية المباهلة واسع وله فروع كثيرة، ولكنني أكتفي بهذا المقدار مراعاةً لأسلوب الكتاب .
والحمد لله رب العالمين.

١ - إبطال ما استدلّ به لإمامة أبي بكر للسيد علي الميلاني - ص ٣٩ .

٢ - تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأحاديث الشنيعة الموضوعة لعلي بن محمد بن عراق ١ / ٣٦٧ .

٣ - الكهف/٣٧ .

الفصل الثالث

آية الطاعة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ
مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ
بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾^(١).

تُسمَّى هذه الآية بآية الطاعة، وهي من الآيات التي يُستدلُّ بها على
الإمامة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وأئمة أهل البيت عليهم السلام.

كيفية الاستدلال بالآية

يتمُّ الاستدلال بهذه الآية من جهتين: من جهة الآية نفسها وما فيها
من تأملات وملاحظات، بغضِّ النظر عن الأحاديث التي جاءت في
تفسيرها، والجهة الأخرى: هي من حيث الأحاديث المروية حولها.

الجهة الأولى: الاستدلال بالآية، مع ملاحظات خمس
 يتم الاستدلال من جهة الآية نفسها بعد بيان عدّة أمور وملاحظات:

الملاحظة الأولى: لزوم الطاعة المطلقة للرسول

لقد أوجبت الآية على المسلمين الطاعة المطلقة لله تعالى وللرسول حيث قالت: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾، ومن الواضح أنّ هذه الطاعة مطلقة وغير مقيدة بشرط ولا بحيثية من زمان أم مكان أم غير ذلك، وهذا بنفسه دليل على لزوم الطاعة المطلقة من المؤمنين للنبي ﷺ، فان في طاعته طاعة لله تعالى كما قال تعالى: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾^(١)، وهذا أمر واضح بالضرورة.

وتكررت هنا كلمة (أطيعوا) ولعلها للتأكيد على طاعة النبي أو للتبيين بان طاعة الله تعالى ذاتية، لأنه تعالى هو الخالق لنا و أمّا طاعة الرسول ﷺ فهي عرضية، أي إنّما وجبت طاعته لأنه هو المبعوث من قبل الله تعالى ولأن الله تعالى قد أمر بطاعته مطلقاً فلزمت طاعته علينا مطلقاً أيضاً، و يدلّ وجوب هذه الطاعة المطلقة الدائمة للنبي على عصمته ﷺ.

الملاحظة الثانية: طاعة ولي الأمر من طاعة الرسول

إن من يتأمل الآية يلاحظ أنه قد عطفت كلمة: (أولي الأمر) على (الرسول) والعطف بنفسه يفيد التكرار ولكن لم تُكرّر مفردة (أطيعوا) مرة ثالثة، وذلك للتأكيد على أن طاعة هؤلاء (أولي الأمر) هي من نفس طبيعة

وسنخ طاعة الرسول، فطاعتهم وطاعة الرسول على حد سواء وبشكل واحد ومستوى واحد، لأن كلمة (أطيعوا) جاءت مؤحّدة للزوم طاعة الرسول وأولي الأمر، وبعبارة أخرى: جاء الأمر بلزوم طاعتهم على نفس الحدّ والشكل والطريقة من لزوم طاعة النبي ﷺ، وهذا يدلّ على فرض طاعتهم المطلقة والدائمة وبدون أيّ قيد و شرط كما هي طاعة الرسول كذلك، وهذا المعنى يلزم العصمة لهم ويعني أنهم معصومون من الخطأ والزلل والاشتباه والنسيان، لأنه لو لم يكونوا كذلك لزم التنبيه على أن طاعتهم ليست مطلقة ودائمة وليست كطاعة الرسول، لأنهم قد يخطأون فلا يلزم طاعتهم بل لا تجوز حينها، ولكن الآية لم تقيّد ذلك، فتلزم طاعتهم بصورة مطلقة وهو أمر يدلّ على عصمتهم.

الملاحظة الثالثة: الطاعة المطلقة والعصمة

إن الآية أمرت بطاعة أولي الأمر ولم تذكر المتعلّق في طاعتهم، وقد ذكروا أن حذف مفعول الطاعة يدلّ على التعميم، يعني الطاعة في كلّ شيء، فتارةً يقال أطع الحاكم في الخروج للجهاد أو في توزيع بيت المال أو ما شابه، فهذا يقيّد الطاعة في شيء خاص ولا يوجب الطاعة له في كلّ الأشياء، ولكن لو قيل: أطع الحاكم وامتثل له، دون أن يذكر متعلّق الإطاعة، أي دون أن يحدّد الطاعة في أي شيء تكون، فهذا يعني أطعه بصورة مطلقة وفي كل شيء، فكيف إذا كان الله تعالى هو الأمر القائل أطع رسولي ووليّ الأمر؟! حيث قرن بين الرسول ووليّ الأمر في وجوب الطاعة لهما دون أن يقيّد ذلك بشيء ما. وهذا يدلّ - و في غاية الوضوح - بأنها طاعة مطلقة وفي كلّ شيء،

وإذا كانت كذلك لزم أن يكون أولوا الأمر معصومين.

الملاحظة الرابعة: طاعة الولي من طاعة الله تعالى

لقد أوجبت الآية المباركة طاعة الله تعالى وبعد ذلك أوجبت طاعة ولي الأمر طاعة مطلقة ودائمة ولو لم يكن هذا الولي معصوماً لكان هذا أمراً بما لا يطاق، وهذا شيء يخالف عدل الله وحكمته سبحانه وتعالى عن ذلك، لأن الله تعالى لا يمكن أن يأمر بطاعة شخص ويأمر بمعصيته في نفس الوقت، فهذا يوقع المكلف بأمر محال وهو الجمع بين المتضادين، فمثلاً: أمر الله تعالى بالعدل والإحسان إلى الناس، فلو أمر ولي الأمر بالظلم لهم ثم أوجب الله طاعته أيضاً لزم على العبد أن يعدل ويظلم في نفس الآن وهو أمر محال، وهذا الأمر شبيه بما إذا أمر المقاول والمشرف على العمل واحداً من العمّال بصنع الجدار بلون ابيض، وأمره في نفس الوقت بطاعة صاحب العمل أيضاً، ثم أمره صاحب العمل بصنع نفس الجدار بلون اسود، فحينئذ لا يمكن للعامل أن يمتثل للمقاول ولرب العمل في هذا الأمر في نفس الوقت، وذلك لان اللون الأبيض واللون الأسود ضدّان ولا يجتمعان، فلا يمكن امتثال ذلك بأي حال، وكذلك الأمر في هذا المجال، فحينما يأمر الله بطاعته تعالى ثم يأمر بطاعة الرسول وولي الأمر بشكل مطلق، يدل ذلك على أن الرسول وولي الأمر سوف لا يأمران أبداً بما يخالف طاعة الله تعالى، وهذا يعني عصمتهم دائماً.

الملاحظة الخامسة: تعيين الولي بيد الله العليّ

بعد أن ثبت لنا لزوم أن يكون أولوا الأمر معصومين لزم أن يكون

المراد منهم هم أئمة أهل البيت عليهم السلام لأنه لا يمكن للناس أن يعرفوا من هو المعصوم من الخلق حتى يجعلوه ولياً للأمر عليهم، لأن الناس لا يعلمون سرائر وخفايا الآخرين ولا طريق لهم إلى معرفة عصمتهم وعدم وقوعهم في المعصية دائماً وأبداً إلا أن يدلّ الله تعالى عليهم ويرشد الخلق إليهم، وقد أرشد الله تعالى إليهم في آيات متعددة، منها: آية التطهير وبما جاء على لسان نبيّه صلى الله عليه وآله من أحاديث كثيرة كحديث الثقلين، فتكون الآية المباركة قد أوجبت طاعتهم عليهم السلام على المؤمنين بعد أن اعتبرتهم أولياء للأمر بعد النبي صلى الله عليه وآله حينما قالت: ﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾.

وخلاصة القول: لقد دلّت الآية بنفسها على عصمة أولي الأمر بعد النبيّ ممّا لزم أن يكونوا مجعولين للإمامة وولاية الأمر. وهناك أحاديث نبويّة تصرّح بأن أولي الأمر هم عليّ وأولاده المعصومون عليهم السلام.

استفساران:

١. هل يمكن أن تكون الطاعة لوليّ الأمر مقيدة؟

قد يقول قائل: إن الآية وإن ألزمت طاعة أولي الأمر بظاهر مطلق إلاّ أنه من المعلوم أن الله تعالى لا يأمر بطاعتهم في المعصية، وهذا أمر واضح حيث لا طاعة لمخلوق في سخط الخالق، وعلى هذا فلا يلزم من أمره سبحانه بطاعة أولياء الأمر القول بعصمتهم وأنهم أناس مُمَيِّزُونَ ومعصومون ومجعولون للإمامة من قبل الله تعالى أو من نبيّه صلى الله عليه وآله.

الجواب:

أولاً: من الواضح أن الله تعالى لا يوجب طاعة من يأمر بمعصية الله أو

ينهى عن طاعة الله، لأن من الثابت أن كل أمر في واجب يلزم قبوله وكل أمر في حرام يلزم عصيانه، وهذا الموضوع ليس خاصاً بطاعة ولي الأمر و عصيانه، بل هو أمر عام في القضايا كلها وعند جميع الناس، وليست القضية هذه كالتى نلاحظها في الآية حيث فيها من بيان التعظيم والتبجيل لأولى الأمر بحيث تكون طاعتهم كطاعة الرسول ﷺ وهذا الأمر ينسجم مع القول بلزوم طاعتهم طاعة شاملة ومطلقة مما يلزم القول بعصمتهم.

هذا بالإضافة إلى أن ظاهر الآية هو الإطلاق في لزوم الطاعة لهم، وهذا الظاهر حجة ويلزم الأخذ به عقلاً.

ثانياً: ذكرنا في الملاحظة الأولى أن طاعة النبي ﷺ مطلقة وشاملة وغير مقيدة بشيء بل هي طاعة لله تعالى بنص القرآن حيث قال سبحانه ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾^(١) وذكرنا في الملاحظة الثانية أن الآية قرنت بين طاعة أولى الأمر وطاعة الرسول بأمر واحد مما دل على أنها طاعة من سنخ واحد، فطاعتهم كطاعة الرسول مطلقة وغير مقيدة بشيء مما يلزم القول بعصمتهم كما لزم القول بعصمة النبي ﷺ.

ثالثاً: لو كانت طاعة أولى الأمر كطاعة سائر الأفراد الآخرين - من أنها لازمة ومقيدة في حال خاص - كان ينبغي توضيح ذلك وتبيينه لاسيما والأمر بهذه الطاعة جاء في مقام تعظيمهم، فمثلاً: نلاحظ الآيات التي قضت بلزوم احترام الوالدين احتراماً بالغاً حيث قرن ذلك بالقضاء بعبادته تعالى صرحت بعد ذلك أن تلك الطاعة محدودة فيما إذا لم يأمر بالمعصية فقد قال

الله تعالى - في بيان مكانتهما واحترامهما البالغ -: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفٌّ وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا * وَاخْفَضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾^(١).

أنظروا إلى هذا التعظيم البالغ للوالدين، فقد حكم الله تعالى بلزوم عبادته، ولزوم الإحسان إليهما ولكنه سبحانه في آية أخرى نهى وبلغ صريح عن طاعتها فيما لو أمرا بمعصيته حيث قال سبحانه وتعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(٢).

فلو أريد من طاعة أولى الأمر الطاعة المقيدة وغير المطلقة والشاملة لزم بيان ذلك أيضاً ولو في آية أخرى، فلا مناص من القول بان في الآية دلالة على عصمة أولى الأمر المقصودين في الآية المباركة.

ومن هنا أذعن الإمام الرازي في تفسيره من لزوم القول بعصمتهم، إلا أنه يرى أن (أولى الأمر) هم أهل الحل والعقد، وهو يعني حجّة إجماع الأمة، - وسناقش ذلك إن شاء الله - فيقول في تفسيره: (اعلم أن قوله: ﴿وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ يدلّ عندنا على أن إجماع الأمة حجّة، والدليل على ذلك أن الله تعالى أمر بطاعة أولى الأمر على سبيل الجزم في هذه الآية، ومن أمر الله بطاعته على سبيل الجزم والقطع لا بدّ وأن يكون معصوماً عن الخطأ، إذ لو لم

١ - الإسراء / ٢٤، ٢٥.

٢ - العنكبوت / ٨.

يكن معصوماً عن الخطأ كان بتقدير إقدامه على الخطأ يكون قد أمر الله بتابعته، فيكون ذلك أمراً بفعل ذلك الخطأ، والخطأ - لكونه خطأ - منهي عنه، فهذا يُفضي إلى اجتماع الأمر والنهي في الفعل الواحد بالاعتبار الواحد، وانه محال، فثبت أن الله تعالى أمر بطاعة أولي الأمر على سبيل الجزم، وثبت أن كل من أمر الله بطاعته على سبيل الجزم وجب أن يكون معصوماً عن الخطأ، فثبت قطعاً أن أولي الأمر المذكور في هذه الآية لا يبد وأن يكون معصوماً، ثم نقول: ذلك المعصوم إما مجموع الأمة أو بعض الأمة، لا جائز أن يكون بعض الأمة؛ لأننا بيننا أن الله تعالى أوجب طاعة أولي الأمر في هذه الآية قطعاً، وإيجاب طاعتهم قطعاً مشروط بكوننا عارفين بهم قادرين على الوصول إليهم والاستفادة منهم، ونحن نعلم بالضرورة أننا في زماننا هذا عاجزون عن معرفة الإمام المعصوم، عاجزون عن الوصول إليهم، عاجزون عن استفادة الدين والعلم منهم، وإذا كان الأمر كذلك علمنا أن المعصوم الذي أمر الله المؤمنين بطاعته ليس بعضاً من أبعاض الأمة، ولا طائفة من طوائفهم. ولما بطل هذا وجب أن يكون ذلك المعصوم - الذي هو المراد بقوله: وأولي الأمر - أهل الحل والعقد من الأمة، وذلك يوجب القطع بأن إجماع الأمة حجة^(١).

وقال في موضع آخر: (إن طاعة الله وطاعة رسوله واجبة قطعاً، وعندنا أن طاعة أهل الاجماع واجبة قطعاً، وأما طاعة الأمراء والسلاطين فغير واجبة قطعاً، بل الأكثر أنها تكون محرمة لأنهم لا يأمرون إلا بالظلم، وفي الأقل تكون واجبة بحسب الظن الضعيف، فكان حمل الآية على الاجماع

أولى، لأنه أدخل الرسول وأولي الأمر في لفظ واحد وهو قوله: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ﴾ فكان حمل أولى الأمر - الذي هو مقرون بالرسول - على المعصوم أولى من حمله على الفاجر الفاسق^(١).

فكلامه هذا يؤيد ما نريد اثباته في هذه المرحلة من أن أولى الأمر هنا لابد أن يكون معصوماً وسيُتضح أنه لابد من القول أيضاً أن المقصود هم أهل بيت النبي (صلوات الله عليهم أجمعين).

٢. لماذا لم تشر الآية إلى الرجوع إلى أولي الأمر؟

سؤال آخر وهو: لماذا أمرت الآية بالرجوع إلى الله والرسول حين التنازع ولم تذكر الرجوع إلى أولي الأمر؟ أليس في ذلك إشارة إلى أنهم غير ملحقين بالرسول ﷺ؟

الجواب:

هنا فرضيات ثلاثة:

الفرض الأول: أن يقع النزاع بين أولي الأمر أنفسهم، وهذا الفرض غير وارد لأنه لا شك أنه ليس المقصود من النزاع المذكور هو النزاع بين أولي الأمر أنفسهم، لأننا أمرنا بالطاعة لهم بشكل مطلق تماماً يبيّن توافقهم في تعاليمهم وأوامرهم ونواهيهم لنا.

بالإضافة إلى أنهم يتوالون على الخلافة والإمامة واحداً بعد واحد، ولكلّ زمان إمام واحد ووليّ للأمر واحد، فلا يتصور وقوع التنازع بين أولي

الأمر أنفسهم.

الفرض الثاني: أن يكون الخطاب في: (وان تنازعتم في شيء) هو للمؤمنين - الذين أمروا بطاعة الله ورسوله - وأولي الأمر، وهذا الأمر غير وارد أيضاً لأننا أمرنا بطاعتهم مطلقاً فلا يحق الاعتراض عليهم حتى نتنازع معهم.

الفرض الثالث: أن يراد من التنازع المذكور هو ما يقع بين المؤمنين أنفسهم - المخاطبين بالآية والذين أمروا بطاعة الله ورسوله وأولي الأمر - وهذا الفرض هو الوارد في هذا المجال، ولاشك أن المؤمنين أيضاً مأمورون بالرجوع إلى أولي الأمر، وهذا الأمر مستفاد من نفس الآية التي أمرت بطاعتهم وفي هذا إشارة إلى أن الرجوع إليهم هو نفس الرجوع إلى الله والرسول.

والآن جاء دور الإجابة على السؤال المطروح وهو: لماذا أمرت الآية بالرجوع الى الله والرسول ولم تذكر أولي الأمر؟

فنقول في الجواب: إن الآية لم تحصر الرجوع الى الله والرسول فقط حتى يكون فيها نهي عن الرجوع إلى أولي الأمر حين التنازع، فان (إثبات الشيء لا ينفي ما عداه).

هذا... بالإضافة إلى أن الأمر بالرجوع إليهم مذكور في آية أخرى وهي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أَوْلِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا

فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَا تَبْعَتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا^(١).

ففي الآية توبيخ للمناققين لعدم رجوعهم إلى الرسول وإلى أولي الأمر،
 بما يعني هو حثّ على الرجوع إلى أولي الأمر كالرجوع إلى الرسول ﷺ.
 وأولوا الأمر هنا هم الأئمة من أهل البيت ﷺ أيضاً كما ورد في
 الأحاديث الصحيحة^(٢).

وفي الواقع أن هذه الآية إذا ضُمَّت إلى الآية التي نحن بصدددها لم يبق
 مجال لأصل السؤال لأن القرآن يُفسر بعضه بعضاً وقد دعا القرآن إلى الرجوع
 إلى أولي الأمر كما دعا إلى الرجوع إلى الله ورسوله ﷺ.

أيها القارئ الكريم: وهناك جواب آخر ذكره بعض المفسرين بقوله:
 (لا شك أن المراد من الاختلاف والتنازع في العبارة الحاضرة هو الاختلاف
 والتنازع في الأحكام، لا في المسائل المتعلقة بمجزيئات الحكومة والقيادة
 الإسلامية، لأنه في هذه المسائل تجب طاعة أولي الأمر. وعلى هذا فالمراد من

١ - النساء/٨٣.

٢ - عن أبي عبد الله عليه السلام - في حديث طويل - قال: قال الله عز وجل: (فستلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) قال: الكتاب: الذكر، وأهله: آل محمد، أمر الله بسؤالهم ولم يؤمروا بسؤال الجهال، وسمى الله القرآن ذكراً فقال تبارك: (وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تُسئلون) وقال: (وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم) وقال: (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) وقال عز وجل: (ولو ردّوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم) فردة الأمر - أمر اللس - إلى أولي الأمر منهم، الذين أمر الله بطاعتهم والرد إليهم. نلاحظ كيف يفسر الإمام الآيات ويبين الارتباط بينها وكيف يفسر بعضها بعضاً (وسائل الشيعة - طبعة مؤسسة آل البيت - الحر العاملي ج - ٢٧ - ص ٦٦).

الاختلاف هو الاختلاف في الأحكام والقوانين الكلية الإسلامية التي يعود أمر تشريعها إلى الله سبحانه ونبيه ﷺ، لأننا نعلم أن الإمام مجرد منفذ للأحكام الإلهية وليس مُشرعاً، ولا ناسخاً لشيء من تلك الأحكام، وإنما عليه فقط أن يطبق الأحكام والأوامر الإلهية والسنة النبوية في حياة الأمة، ولهذا جاء في أحاديث أهل البيت عليهم السلام إنهم قالوا: (إذا بلغكم عنّا ما يخالف كتاب الله وسنة نبيه فاضربوه عرض الحائط ولا تقبلوه) أي استحليل أن نقول ما يخالف كتاب الله وسنة نبيه ﷺ. وعلى هذا فإن أول مرجع يرجع إليه المسلمون لحلّ خلافاتهم في الأحكام الإسلامية هو الله سبحانه والنبى الأكرم ﷺ الذي يوحى إليه، وإذا ما بين الأئمة المعصومون أحكاماً، فإن تلك الأحكام ليست سوى اقتباس من كتاب الله، أو هي من العلوم التي وصلت إليهم من النبى الأكرم ﷺ، وبهذا تتضح علّة عدم ذكر أولى الأمر إلى جانب المرجع في حلّ الاختلاف في الأحكام المذكورة في هذا الجزء من الآية^(١). انتهى كلامه.

ولكن يمكن القول: إنه يكفي في الاستدلال بالآية هو الأمر بطاعة أولى الأمر مقروناً بطاعة الرسول، والتي هي طاعة مطلقة وهي تتضمن إمامة الرسول وقيادته للأمة ولزوم الانقياد لها، وهذا الاقتران بنفسه لخير دليل على أن المراد من أولى الأمر هم قادة الأمة الذين هم بمنزلة الرسول ﷺ من حيث لزوم الطاعة لهم، وهذا الأمر لا ينفك عن القول بعصمتهم، وهذا

الاستنتاج لا ينسجم إلا مع القول بإمامة أئمة أهل البيت عليهم السلام و الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

اقوال اخرى في الآية

لقد ذكرت بعض الآراء الأخرى في بيان معنى أولي الأمر ممّا لا يمكن قبولها، فأضع هنا بعضها على طاولة الحوار والنقاش، فمنها مثلاً:
١ - إن المراد من أولي الأمر هم كلُّ من يحكم من المسلمين ومن يتولّى الحكم منهم^(١)،

ولاشك أن هذا الرأي لا يوافق عليه عقل ولا دين، فإن سيرة أهل العقل والإنصاف والدين قائمة على تحظّنة الحكام وعدم الطاعة لهم مطلقاً، ولذلك ثار كثير من المسلمين على كثير من حكامهم وخرجوا عليهم ولم يلزموا أنفسهم بالطاعة التامّة والمطلقة في كل الظروف لهم، كما إن كثيراً من الحكام تظاهر بالفسق والفجور، ممّا لا يشك مسلم منصف أن هؤلاء الحكام ليسوا من أولي الأمر الذين أمرنا بطاعتهم هذه الطاعة المقرّونة بطاعة الرسول صلى الله عليه وآله.

٢ - إن المراد منهم هم أهل السرايا وقيادات الجيوش.

وهذا القول باطل أيضاً لأن كثيراً من القادة ليسوا من أهل العلم والفضيلة والفقّه، والمفروض بأولي الأمر أن يكونوا كذلك إضافة إلى كونهم أئمّة وأولياء لأُمور المسلمين، وذلك لما ذكر في الآية من العلم المفترض عند أولي الأمر كما في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ

١ - الدر المنثور لجلال الدين السيوطي - ج ٢ - ص ١٧٦. ذكر عن ابن جرير عن ابن زيد في قوله ((أولي الأمر منكم)) قال: قال أبي: هم السلاطين.

مَنْهُمْ لَعَلَّمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ»^(١) حيث حثت الآية على الرجوع إليهم في أمور الدين أيضاً، مما يدل أن (أولي الأمر) لهم إحاطة واسعة بأمر الدين أيضاً، فلا يمكن أن يراد منهم أمراء الجيوش والسرايا، بالإضافة إلى أننا قد أثبتنا لزوم عصمتهم لإطلاق الطاعة لهم، وليس أمراء السرايا وقيادات الجيوش بأناس معصومين.

نعم.. إذا أرادوا من (أمراء السرايا): الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام - لأنه هو أول أمراء السرايا - أو أرادوا أهل الفقه والعلم والدين^(٢)، فالإمام علي عليه السلام هو أعلمهم بعد النبي صلى الله عليه وآله، أو أرادوا ما ذكر بان الآية نزلت في علي عليه السلام حيث استخلفه النبي صلى الله عليه وآله على المدينة - كما سيأتي - فلا خلاف حينئذ لأنه مسلم العصمة لدى الإمامية كما هو الخليفة بعد النبي صلى الله عليه وآله، ولكن لا يمكن إرادة جميع أمراء السرايا، لما ذكرنا.

٣ - ومن الأقوال في ذلك أنهم هم أهل الحلّ والعقد، أي أنهم كبار أقوامهم أو من يمثل الأمة، بحيث إذا اجتمعوا على شيء يقال أجمعت الأمة على ذلك، واستنتج الرازي في تفسيره لزوم عصمة إجماع الأمة بإجماع هؤلاء الجماعة حين إجماعهم على الرأي، ولكن لو أنصفنا وحكّمنا العقل والواقع لم نصل إلى عصمة هؤلاء ولا إلى عصمة الأمة فيما إذا اختلف واحد منهم وتفرق عنها، فأين العصمة عند احد من سائر الناس؟! وأين العصمة

١ - النساء/٨٣.

٢ - عن ابن عباس في قوله تعالى: ((وأولي الأمر منكم)) يعني أهل الفقه والدين وأهل طاعة الله الذين يعلمون الناس معاني دينهم ويأمرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر فأوجب الله طاعتهم (الدر

المنثور - جلال الدين السيوطي - ج ٢ - ص ١٧٦) .

عند كل فردٍ فردٍ من الناس؟!

وهل إذا اجتمع غير المعصومين على رأيٍ دلّ على عصمتهم في ذلك الرأي؟!

وهل إذا اجتمعوا على رأيٍ عُصموا عن الخطأ مجرد اجتماعهم؟!

إنّ الإنسان إذا تأمّل هذا الواقع الخارجي والذي وقع على الأرض لم يقل أبداً بعصمة أهل الحل والعقد، فلم تدلّ الولايات التي وقعت على الشعوب المسلمة طيلة فترة التاريخ على عصمة تلك الاجتماعات المفترضة لأهل الحلّ والعقد، هذا إذا قلنا انه بالفعل كانت هناك اجتماعات لأهل الحلّ والعقد أم أنهم بالفعل اتفقوا على شيء ولم يختلفوا فيه! لكنّ واقع المسلمين - من يومهم إلى هذا اليوم - لم يشهد حصول مثل هذه الاتفاقات المجمع عليها حتى نعتبرهم أهلاً للحلّ والعقد أو يكونوا بالفعل هم من يمثلون هذه الأمة، فلم نجد في سيرة المسلمين وتأريخهم أيّ لجان شكّلوها لأنّ يمثلوهم في اجتماعات لأجل معالجة المشاكل ووضع الحلول لها حتى نؤمر بالرجوع إليهم وإطاعتهم بشكل مطلق، فأين هم أهل الحلّ والعقد؟ وأين هو إجماع الأمة المعصوم من الخطأ؟

نعم إن أريد من هذا الإجماع حضور واحد ممن عصمهم الله تعالى من نبي أم إمام معصوم في ضمن تلك الجماعة ثم إجماعهم على أمر واحد فذلك إجماع معصوم وذلك لوجود الشخص المعصوم في ضمن ذلك الاجتماع وليس مجرد الاجتماع والإجماع،

وقد يتوهم البعض ويقول: إن الآية قالت: ﴿وأولي الأمر منكم﴾ وكلمة

(منكم) تدلّ على أنهم بالفعل من سائر الناس (أي منكم انتم) وأهل الحلّ والعقد هم من الناس.

٦٠.....أربعون آية

ولكن هذا التوهّم باطل لأن (منكم) هنا مثل (منهم) في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ..﴾ الآية^(١) أي انه من البشر ومن الناس الذين تعرفونه وقد ميّزه الله تعالى عن سائر الناس حتى أصبح نبياً، كذلك ولي الأمر فهو من الناس إلا أن فيه مزية عليهم من العلم والعصمة وغير ذلك مما يُوجب طاعة الناس له بعد النبي ﷺ .
وعلى أي حال.. هذه بعض الأقوال الأخرى في الآية مما لا تنسجم مع الأمر بالطاعة المطلقة الموجبة للعصمة ولا مع العقل والواقع ولا تتفق مع الأحاديث النسبوية التي سنذكر بعضها هنا وهي تعتبر الدليل الآخر في حمل الآية على إرادة الأئمة المعصومين عليهم السلام.

الجهة الثانية: الاستدلال بالأحاديث

في هذه الجهة نستدلّ بالنصوص التي وردت عن النبي ﷺ في تفسيره للآية المباركة. فإن من يلاحظ الأحاديث التي وردت في كتب الفريقين يراها هي الحقيقة وهي الواقع الذي ينبغي القول به والذهاب إليه من أن الآية تشير إلى أئمة وأولياء للأمر جعلهم الله تعالى خلفاء على الأمة معصومين ومطهّرين، كما هو معتقد الإمامية، وتجب طاعتهم والقول بإمامتهم، وإليك بعض هذه الأحاديث.

أولاً: من مصادر المسلمين غير الشيعة

١ - ذكر الحاكم الحسكاني في تفسيره عن مجاهد قال (في قوله تعالى):

﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ يعني الذين صدقوا بالتوحيد ﴿أطيعوا الله﴾ يعني في فرائضه ﴿وأطيعوا الرسول﴾ يعني في سنته ﴿وأولي الأمر منكم﴾ قال: زلت في أمير المؤمنين حين خلفه رسول الله بالمدينة فقال: أتخلفني على النساء والصبيان؟ فقال: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى حين قال له: اخلفني في قومي وأصلح؟! فقال الله: ﴿وأولي الأمر منكم﴾ قال: علي بن أبي طالب ولآه الله الأمر بعد محمد في حياته حين خلفه رسول الله بالمدينة، فأمر الله العباد بطاعته وترك خلافه^(١).

٢ - ذكر القندوزي الحنفي في ينابيع المودة بسنده إلى سليم بن قيس قال: سمعت علياً (صلوات الله عليه) يقول - وقد أتاه رجل فقال: أرني أدنى ما يكون به العبد مؤمناً، وأدنى ما يكون به العبد كافراً، وأدنى ما يكون به العبد ضالاً؟

فقال عليه السلام له: قد سألت فافهم الجواب، أما أدنى ما يكون به العبد مؤمناً، أن يُعرفه الله - تبارك وتعالى - نفسه فيقرّ له بالطاعة، ويُعرفه نبيه ﷺ فيقرّ له بالطاعة، ويُعرفه إمامه وحجته في أرضه وشاهده على خلقه فيقرّ له

١ - شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني - ج ١ - ص ١٩٠) وذكر المهرشي في الهامش قال: ومثله رواه عن تفسير مجاهد الحافظ ابن شهر آشوب في الآية الثالثة التي أوردها في عنوان: (باب النصوص على إمامته عليه السلام) من كتاب مناقب آل أبي طالب: ج ٢ ص ٢١٩ ط الغري، ثم ذكر أبيات الحميري ومنها:

وقال الله في القرآن قولاً	يردُّ عليكم ما تدَّعونَا
أطيعوا الله رب الناس رباً	وأحمد والأولى المتأمرينا
فذلكم أبو حسن علمي	وسبطاه الولاية الفاضلونا

بالطاعة.

قلت: يا أمير المؤمنين وإن جهل جميع الأشياء إلا ما وصفت؟
قال: نعم إذا أمر أطاع وإذا نهى انتهى، وأدنى ما يكون العبد به كافراً،
من زعم أن شيئاً نهى الله عنه أن الله أمره به ونصّب ديناً يتولى عليه ويزعم
أنه يعبد الله أمره به، وما يعبد إلا الشيطان. وأمّا أدنى ما يكون العبد به ضالاً
أن لا يعرف حجّة الله - تبارك وتعالى - وشاهده على عباده الذي أمر الله
(عزّ وجل) عباده بطاعته وفرض ولايته.

قلت: يا أمير المؤمنين صفهم لي.

قال: الذين قرّنههم الله تعالى بنفسه وبنبيّه فقال: ﴿يا أيها الذين آمنوا
أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾.

فقلت له: جعلني الله فداك أوضح لي.

فقال: الذين قال رسول الله ﷺ في مواضع وفي آخر خطبة يوم قبضه
الله (عزّ وجل) إليه: (إني تركت فيكم أمرين لن تضلّوا بعدي إن تمسكتم بهما:
كتاب الله (عزّ وجل)، وعترتي أهل بيتي فان اللطيف الخبير قد عهد إليّ أنهما
لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض كهاتين - وجمع مسبّحتيه - ولا أقوال
كهاتين - وجمع مسبّحته والوسطى - فتمسكوا بهما ولا تقدموهم ففضلوا^(١).

٣ - ذكر القندوزي عن الحموي في حديث المناشدة في مسجد المدينة
وبالإسناد عن سليم بن قيس الهلالي قال: رأيت علياً في مسجد المدينة في
خلافة عثمان أن جماعة المهاجرين والأنصار يتذكرون فضائلهم وعلي

سأكت. فقالوا: يا أبا الحسن، تكلم.

فقال: يا معشر قريش والأنصار، أسألكم: بمن أعطاكم الله هذا الفضل بأنفسكم أو بغيركم؟

قالوا: أعطانا الله ومنّ علينا بمحمد ﷺ.

قال: أستم تعلمون أن رسول الله ﷺ قال: إني وأهل بيتي كتنا نوراً نسعى بين يدي الله تعالى، قبل أن يخلق الله (عزّ وجل) آدم بأربعة عشر ألف سنة، فلما خلق الله آدم ﷺ وضع ذلك النور في صلبه وأهبطه إلى الأرض، ثم حمّله في السفينة في صلب نوح ﷺ، ثم قذف به في النار في صلب إبراهيم ﷺ. فلم يزل الله ينقلنا من الأصلاب الكريمة إلى الأرحام الطاهرة من الآباء والأمهات، لم يكن واحد منا على سفاح قط؟

فقال أهل السابقة وأهل بدر وأحد: نعم. قد سمعناه.

ثم قال: أنشدكم الله، أتعلمون أن الله (عزّ وجل) فضّل في كتابه السابق على المسبوق في غير آية، ولم يسبقني أحد من الأمة في الإسلام؟ قالوا: نعم.

قال: فأنشدكم الله، أتعلمون حيث نزلت: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾. سئل عنها رسول الله ﷺ فقال: أنزلها الله (عزّ وجل) في الأنبياء وأوصيائهم، فانا أفضل أنبياء الله ورسله، وعليّ وصيّ أفضل الأوصياء؟ قالوا: نعم.

قال: أنشدكم الله أتعلمون حيث نزلت: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ وحيث نزلت: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ

ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ﴿
 وحيث نزلت: ﴿ولم يتَّخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة﴾
 وأمر الله (عزَّ وجل) فيه أن يُعلمهم ولاية أمرهم، وأن يُفسِّر لهم من الولاية
 كما فسَّر لهم من صلاتهم وزكاتهم وحجَّهم، فنصَّني للناس بغدير خم، فقال:
 أيها الناس، إن الله جل جلاله أرسلني برسالة ضاق بها صدري، وظننت أن
 الناس مكذِّبِي، فأوعدني ربي. ثم قال: أتعلمون أن الله (عزَّ وجل) مولاي
 وأنا مولى المؤمنين، وأنا أولى بهم من أنفسهم؟ قالوا: بلى يا رسول الله. فقال
 آخذاً بيدي: من كنت مولاه فعلي مولاه. اللهم وال من والاه وعاد من عاداه.
 فقام سلمان وقال: يا رسول الله: ولاء علي ماذا؟ قال: ولاؤه كولايتي، من
 كنت أولى به من نفسه فعلي أولى به من نفسه. فنزلت: ﴿اليوم أكملتُ لكم
 دينكم وأتممتُ عليكم نعمتي ورضيتُ لكم الإسلام ديناً﴾. فقال ﷺ: الله أكبر
 بإكمال الدين وإتمام النعمة ورضا ربي برسالتي وولاية علي بعدي. قالوا: يا
 رسول الله، هذه الآيات في علي خاصة؟ قال: بلى، فيه وفي أوصيائي إلى
 يوم القيامة. قال: بيَّنهم لنا. قال: علي أخي ووارثي ووصيِّي ووليُّ كل مؤمن
 بعدي. ثم ابني الحسن ثم الحسين ثم التسعة من ولد الحسين، القرآن معهم
 وهم مع القرآن، لا يفارقونه ولا يفارقهم، حتى يردوا علي المحوض.

قال بعضهم: قد سمعنا ذلك وشهدنا. وقال بعضهم: قد حفظنا جُلَّ ما
 قلتَ ولم نحفظ كلَّه، وهؤلاء الذين حفظوا أختيارنا وأفاضلنا.

ثم قال: أتعلمون أن الله أنزل: ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس
 أهل البيت ويطهِّركم تطهيراً﴾. فجَمَعَنِي وفاطمة وابنيَّ حسناً وحسيناً، ثم

ألقى علينا كساء وقال: اللهم هؤلاء أهل بيتي، لحمهم لحمي، يؤلمني ما يؤلمهم، ويجرحني ما يجرحهم، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً. فقالت أم سلمة: وأنا يا رسول الله؟! فقال: أنتِ إلى خير.

قالوا: نشهد، أن أم سلمة حدثتنا بذلك.

ثم قال: أنشدكم الله، أتعلمون أن الله أنزل: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾. فقال سلمان: يا رسول الله هذه عامّة أم خاصّة؟ قال: أمّا المأمورون فعامّة المؤمنين. وأمّا الصادقون فخاصّة، أخي علي وأوصيائي من بعده إلى يوم القيامة.

قالوا: نعم.

فقال: أنشدكم الله أتعلمون أني قلتُ لرسول الله ﷺ في غزوة تبوك - : خلفتني على النساء والصبيان. فقال: إن المدينة لا تصلح إلا بي أو بك. وأنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي؟

قالوا: نعم.

قال: أنشدكم الله أتعلمون أن الله أنزل في سورة الحج: ﴿يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير﴾ إلى آخر السورة. فقام سلمان فقال: يا رسول الله، من هؤلاء الذين أنت عليهم شهيد وهم شهداء على الناس، الذين اجتباهم الله ولم يجعل عليهم في الدين من حرج ملّة إبراهيم؟ فقال: عنى بذلك ثلاثة عشر رجلاً. قال سلمان: بينهم لنا يا رسول الله. قال: أنا وأخي وأحد عشر من ولدي؟

قالوا: نعم.

قال: أنشدكم الله أتعلمون أن رسول الله ﷺ قال في خطبته في مواضع

متعددة، وفي آخر خطبة لم يخضب بعدها: (أيها الناس إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي فتمسكوا بهما لن تضلّوا، فإن اللطيف الخبير أخبرني وعهد إليّ أنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض؟) فقال كلّهم: نشهد أن رسول الله ﷺ قال ذلك. (١)

أيها القارئ الكريم: هذا بعض ما في مصادر المسلمين من غير الشيعة.

ثانياً: بعض ما جاء في مصادر أهل البيت

١ - في كتاب كمال الدين وتمام النعمة بإسناده إلى سليم بن قيس الهلالي قال: سمعت علياً عليه السلام يقول: قال لي رسول الله ﷺ: وقد أخبرني ربي جلّ جلاله أنه قد استجاب لي فيك وفي شركائك الذين يكونون من بعدك، فقلت: يا رسول الله ومن شركائي من بعدي؟ قال: الذين قرّنتهم الله (عزّ وجل) بنفسه وبني فقال: ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم﴾ الآية. فقلت: يا رسول الله ومن هم؟ قال: الأوصياء من آلِي يردون عليّ الحوض كلّهم هادين مهديّين، لا يضرّهم من خذّهم، هم مع القرآن والقرآن معهم لا يفارقهم، ولا يفارقونه، بهم تُنصر أمّتي وبهم يُمطرون وبهم يُدفع عنهم البلاء وبهم يُستجاب دعاؤهم، قلت: يا رسول الله سمّهم لي، قال: ابني هذا - ووضع يده على رأس الحسن - ثم ابني هذا - ووضع يده على رأس الحسين - ثم ابن له يقال له علي سيولد في حياتك فاقرأه مني السلام، ثم تكلمه اثني عشر إماماً، فقلت: يا رسول الله ﷺ سمّهم لي رجلاً رجلاً،

١ - ينابيع المودة للتندوزي ١ / ٣٤١ عن فرائد السمطين ١ / ٣١٢ للشيخ الحموي، وهو من مشايخ الحافظ الذهبي، كما في (تذكرة الحفاظ) و (المعجم المخص).

فقال: فيهم والله يا أخا بني هلال مهدي هذه الأمة^(١).

٢ - عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: لما أنزل الله (عزَّ وجل) على نبيِّه محمد ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ قلت: يا رسول الله عرفنا الله ورسوله فمن أولوا الأمر الذين قرن الله طاعتهم بطاعتك؟ فقال ﷺ: هم خلفائي يا جابر وأئمة المسلمين من بعدي، أولهم علي بن أبي طالب ثم الحسن، ثم الحسين، ثم علي بن الحسين ثم محمد بن علي - المعروف في التوراة بالباقر وستدركه يا جابر فإذا لقيته فاقرأه مني السلام - ثم الصادق جعفر بن محمد ثم موسى بن جعفر، ثم علي بن موسى، ثم محمد بن علي، ثم علي بن محمد، ثم الحسن بن علي، ثم سمِّي وكنِّي حجَّة الله في أرضه وبقيته في عباده ابن الحسن بن علي، ذاك الذي يفتح الله (تعالى ذكره) على يديه مشارق الأرض ومغاربها، ذاك الذي يغيب عن شيعته وأوليائه غيبة لا يثبت فيها على القول بإمامته إلا من امتحن الله قلبه للإيمان، قال جابر: فقلت له: يا رسول الله فهل ينتفع الشيعة به في غيبته فقال ﷺ: أي والذي بعثني بالنبوة أنهم ينتفعون به ويستضيئون بنور ولايته في غيبته كانتفاع الناس بالشمس وان تجلَّأها السحاب، يا جابر هذا من مكنون سرِّ الله ومخزون علمه فاكتمه إلا عن أهله^(٢).

٣ - عن أبي بصير قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله (عزَّ وجل): ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ فقال: نزلت في

١ - كمال الدين وإتمام النعمة للشيخ الصدوق ص ٢٨٤.

٢ - تفسير نور الثقلين للشيخ الحويزي - ج ١ - ص ٤٩٩.

علي بن أبي طالب والحسن والحسين عليهم السلام .. إلخ^(١).

أيها القارئ الكريم: هذه ثلاثة أحاديث من بين الأحاديث الكثيرة المروية حول معنى الآية والمقصود من (أولي الأمر).

لماذا لم يُذكر اسم الإمام في القرآن^(٢)

وإتماماً للفائدة انقل - لك أيها القارئ الكريم - تمام هذا الحديث و فيه إجابة على سؤال يطرحه البعض بين حين وآخر - وربما يتجاهل البعض هذا الجواب ويستمر بهذا السؤال - وهو: لماذا لم يصرح القرآن الكريم باسم الإمام علي عليه السلام و انه خليفة لرسول الله صلى الله عليه وآله؟، هذا السؤال طرحه أبو بصير على الإمام الصادق عليه السلام بقوله: إن الناس يقولون: فما له لم يُسمَّ علياً وأهل بيته عليهم السلام في كتاب الله عز و جل ؟

قال: فقال: عليه السلام (قولوا لهم: إن رسول الله صلى الله عليه وآله نزلت عليه الصلاة ولم يُسمَّ الله لهم ثلاثاً ولا أربعاً، حتى كان رسول الله صلى الله عليه وآله هو الذي فسَّر ذلك لهم، ونزلت عليه الزكاة ولم يُسمَّ لهم من كل أربعين درهما درهم، حتى كان رسول الله صلى الله عليه وآله هو الذي فسَّر ذلك لهم، ونزل الحج فلم يقل لهم: طوفوا أسبوعاً حتى كان رسول الله صلى الله عليه وآله هو الذي فسَّر ذلك لهم، ونزلت: ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾ - ونزلت في علي والحسن والحسين - فقال رسول الله صلى الله عليه وآله في علي: (من كنت مولاه، فعلي مولاه)،

١ - الكافي للشيخ الكليني ج ١ ص ٢٨٧.

٢ - سيأتي الكلام حول اسم الإمام عليه السلام في القرآن الكريم خلال الحديث عن قوله تعالى (لسان صدق علياً).

وقال ﷺ: (أوصيكم بكتاب الله وأهل بيتي، فإني سألت الله (عزَّ وجل) أن لا يُفَرِّقَ بينهما حتى يوردهما عليَّ الحوض، فأعطاني ذلك) وقال: (لا تعلموهم فهم أعلم منكم) وقال: (إنهم لن يُخرجوكم من باب هدى، ولن يدخلوكم في باب ضلالة) فلو سكت رسول الله ﷺ فلم يُبين من أهل بيته، لادَّعاهَا آل فلان وآل فلان، لكنَّ الله (عزَّ وجل) أنزله في كتابه تصديقاً لنبِيِّهِ ﷺ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ فكان علي والحسن والحسين وفاطمة عليهم السلام، فأدخلهم رسول الله ﷺ تحت الكساء في بيت أم سلمة، ثم قال: (اللهم إنَّ لكلَّ نبيٍّ أهلاً وتقللاً وهؤلاء أهل بيتي وثقلي) فقالت أم سلمة: ألسنت من أهلك ؟ فقال: إنك إلى خير ولكن هؤلاء أهلي وثقلي.

فلَمَّا قبض رسول الله ﷺ كان عليُّ أولى الناس بالناس، لكثرة ما بَلَغَ فيه رسول الله ﷺ وإقامته للناس وأخذه بيده، فلَمَّا مضى عليُّ لم يكن يستطيع عليُّ - ولم يكن ليفعل - أن يُدخل محمد بن علي ولا العباس بن علي ولا واحداً من ولده، إذا لُقِيَ الحسن والحسين: إن الله تبارك وتعالى أنزل فينا كما أنزل فيك فأمر بطاعتنا كما أمر بطاعتك وبَلَغَ فينا رسول الله ﷺ كما بَلَغَ فيك وأذهب عنا الرِّجْسَ كما أذهب عنك، فلَمَّا مضى علي عليه السلام كان الحسن عليه السلام أولى بها لكِبَرِهِ، فلَمَّا تُوِّفِيَ لم يستطع أن يُدخل ولده ولم يكن ليفعل ذلك والله (عزَّ وجل) يقول: ﴿وَأَوْلُوا الْأَرْحَامَ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ فيجعلها في ولده إذا لُقِيَ الحسين: أمر الله بطاعتي كما أمر بطاعتك و طاعة أبيك وبَلَغَ في رسول الله ﷺ كما بَلَغَ فيك وفي أبيك وأذهب الله عني الرِّجْسَ كما أذهب عنك وعن أبيك، فلَمَّا صارت إلى

٧٠.....أربعون آية

الحسين عليه السلام لم يكن أحد من أهل بيته يستطيع أن يدّعي عليه كما كان هو يدّعي على أخيه وعلى أبيه، لو أرادا أن يصرفا الأمر عنه ولم يكونا ليفعلا، ثم صارت حين أفضت إلى الحسين عليه السلام فجرى تأويل هذه الآية: ﴿ وَأَوْلُوا الْأَرْحَامَ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴾ ثم صارت من بعد الحسين لعلي بن الحسين، ثم صارت من بعد علي بن الحسين إلى محمد بن علي عليه السلام. وقال عليه السلام: الرجس هو الشك، والله لا نشك في ربنا أبداً^(١).

الخلاصة:

ويتلخص الكلام في دلالة الآية على إمامة الإمام علي عليه السلام فيما يلي:

١ - لما قرنت الآية بين لزوم طاعة أولي الأمر ولزوم طاعة النبي بشكل مطلق دل ذلك على عصمة أولي الأمر

٢ - ولما لزم عصمتهم لزم أن يكونوا مجعولين من قبل الله تعالى لأن الناس لا يمكنهم معرفة المعصوم إلا بتعريف الله تعالى لهم.

٣ - ولقد جاءت الأحاديث الصريحة - عند الشيعة وأهل السنة - بان المراد من أولي الأمر في الآية هم الإمام علي وأولاده المعصومون عليهم السلام.

و بذلك تكون هذه الآية من الآيات التي دلت على إمامة الإمام علي أمير المؤمنين عليه السلام.

والحمد لله رب العالمين.

الفصل الرابع

آية التبليغ

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا
بَلَغْتَ رَسُولَتَهُ وَاللَّهُ يَعَصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
الْكَافِرِينَ﴾^(١).

هذه الآية المباركة من أوضح آيات القرآن الكريم دلالة على ولاية
الإمام علي أمير المؤمنين عليه السلام فقد جاء الاستدلال بها على ذلك واضحاً
وجلياً ومُحكماً بعد أن وردت الأحاديث الكثيرة من الطرفين لتؤكد على
هذه الحقيقة، حيث صرّحت تلك الروايات عن لسان النبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام
بالخلافة والولاية له على المسلمين، وسنذكر بعض هذه الروايات بعد قليل.

شأن نزول الآية

وقبل الخوض في تفصيل الكلام نقف عند قصة الآية وشأن نزولها.
ذكر المؤرّخون أن النبي صلى الله عليه وآله حجّ في السنة الأخيرة من حياته وحجّ

معه المسلمون من مختلف بقاع الجزيرة العربية ثم قفل راجعاً بعد أداء المناسك وفي طريقه الى المدينة المنورة وصل الى غدير خم^(١) فنزلت آية التبليغ تأمره أن يبلغ المسلمين بلاغاً مهماً في شأن خلافة الإمام علي عليه السلام فتوقف النبي ﷺ عن المسير وأمر أن يرجع من تقدم ويلحق به من تأخر، وبعد أن اجتمع عشرات الآلاف من الحجاج صلى رسول الله ﷺ بهم الظهر وخطب فيهم خطبة طويلة، وكان مما قال في خطبته: (أما بعد: أيها الناس قد نبأني اللطيف الخبير أنه لم يعمر نبي إلا مثل نصف عمر الذي قبله، وإني أوشك أن أدعى فأجيب، وإني مسؤول وأنتم مسؤولون، فماذا أنتم قائلون؟ قالوا: نشهد أنك قد بلغت ونصحت وجاهدت، فجزاك الله خيراً.

قال: ألسنتم تشهدون أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن جنّته حق، وناره حق، وأن الموت حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور؟!

قالوا: بلى نشهد بذلك.

قال: اللهم اشهد.

ثم قال: أيها الناس ألا تسمعون!

قالوا: نعم.

قال: فإني فرط على الحوض^(٢)، وأنتم واردون عليّ الحوض، وأن

١ - غدير خم: حُصَّ وادٍ بين مكة والمدينة عند الجحفة به غدير، عنده خطب رسول الله ﷺ (معجم

البلدان: ٢/٢٨٩) وقد يكون مشتقاً من الخم وهو الكس.

٢ - أنا فرطكم على الحوض: أي محتفمكم إليه (النهاية).

عرضه ما بين صنعاء وبُصرى^(١)، فيه أقداح عدد النجوم من فضة، فانظروا كيف تخلفوني في الثقلين!!

فنادى مناد: وما الثقلان يا رسول الله؟

قال: الثقل الأكبر: كتاب الله، طرف بيد الله عزوجلّ، وطرف بأيديكم، فتمسكوا به لا تفلتوا. والآخر الأصغر: عترتي. وإن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض، فسألت ذلك لهما ربّي، فلا تقدّموهما؛ فتهلكوا، ولا تقصّروا عنهما؛ فتهلكوا.

ثم أخذ بيد عليّ فرفعها - حتى رؤي بياض آباطهما وعرفه القوم أجمعون - فقال: (أيها الناس، من أولى الناس بالمؤمنين من أنفسهم)؟ قالوا: الله ورسوله أعلم! قال: (إنّ الله مولاي، وأنا مولى المؤمنين، وأنا أولى بهم من أنفسهم؛ فمن كنت مولاة فعليّ مولاة). يقولها ثلاث مرّات، وفي لفظ أحمد إمام الحنابلة: أربع مرّات - ثمّ قال: (اللهمّ وال من والاه، وعاد من عاداه، وأحبّ من أحبّه، وأبغض من أبغضه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، وأدر الحقّ معه حيث دار. ألا فليبلغ الشاهد الغائب))^(٢).

١ - صنعاء: عاصمة اليمن، وتقع جنوبيّ الحجاز، وشمال مدينة عدن. وكانت من أهمّ مدن اليمن والحجاز آنذاك - بصرى: مدينة تبعد عن دمشق تسعين كيلومتراً من الجنوب الشرقي.

٢ - من المصادر: الغدير للأميني ج ٣ ص ١١ - صحيح الترمذي ج ٥ ص ٢٩٧ ح ٢٧٩٧ - سنن ابن ماجة ج ١ ص ٤٥ ح ١٢١ - مجمع الزوائد للحافظ الهيثمي ج ٩ ص ١٠٣ و ١٠٥ - خصائص أمير المؤمنين للمنسائي ٩٤ و ٩٥ - المستدرک علی الصحیحین للحاکم النیسابوری ج ٣ ص ١١٠ - حلية الأولياء لأبي نعيم ج ٥ ص ٢٦ - أسد الغابة لابن أثير ج ١ ص ٣٦٩ - المناقب للخوارزمي ص ٧٩ و ٩٤ و ٩٥ - الدر المنثور للسيوطي ج ٥ ص ١٨٢. مستد أحمد ج ١ ص ٨٨ - ينابيع المودة للقندوزي ص ٣١ و ٣٣ و ٣٦ و ٣٧.

اشتهار قصة حديث الغدير

هذا مجمل الواقعة والروايات متفقة اجمالاً على رفع يد علي عليه السلام والقول فيه (من كنت مولاه فهذا علي مولاه) وقد ذكر العلامة الأميني في كتابه موسوعة الغدير أسماء مائة وعشرين من الصحابة واربعة وثمانين من التابعين وثلاثمائة وستين من كبار ومشاهير العلماء والمؤرخين ممن نقلوا هذا الحديث وأسندوه إلى النبي صلى الله عليه وآله.

فمن الصحابة: عبد الله بن العباس وجابر بن عبد الله الانصاري وعبد الله بن مسعود وأبو هريرة وزيد بن أرقم وغيرهم.

قال ابن حجر العسقلاني في شرح صحيح البخاري: وَأَمَّا حَدِيثُ (مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلَيْهِ مَوْلَاهُ) فَقَدْ أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ، وَهُوَ كَثِيرُ الطَّرِيقِ جِدًّا، وَقَدْ اسْتَوْعَبَهَا ابْنُ عُقْدَةَ فِي كِتَابِ مُفْرَدٍ، وَكَثِيرٌ مِنْ أَسَانِيدِهَا صِحَاحٌ وَحَسَانٌ، وَقَدْ رُوِيَ عَنِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ قَالَ: مَا بَلَّغْنَا عَنْ أَحَدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ مَا بَلَّغْنَا عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ^(١).

وذكر المتقي الهندي في كنزه قال: كنا بالجحفة بغدير خم إذ خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وآله فأخذ بيد علي فقال: من كنت مولاه فعلي مولاه ^(٢).

وفي عمدة القاري: قال أبو جعفر محمد بن علي بن حسين: معناه: بلغ ما أنزل إليك من ربك في فضل علي بن أبي طالب (رضي الله تعالى عنه)

١ - فتح الباري في شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ج ٧ ص ٦١.

٢ - كنز العمال للمتقي الهندي الحديث رقم ٣٦٤٣٠.

فلما نزلت هذه الآية أخذ بيد علي وقال: من كنت مولاه فعلي مولاه^(١).
 وفي معرفة الصحابة: عن زيد بن أرقم، قال: قال رسول الله ﷺ: (من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وآل من وآله، وعاد من عاداه)^(٢).
 وفي السنن الكبرى: (قام رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: ((ألستم تعلمون أني أولى بكل مؤمن من نفسه)) قالوا: بلى نحن نشهد لأنت أولى بكل مؤمن من نفسه قال: ((فإني من كنت مولا فهذا مولاه)) وأخذ بيد علي)^(٣).
 وفي الترمذي: أخبر شعبة عن سلمة بن كهيل قال: سمعت أبا الطفيل يحدث عن أبي سريحة أو زيد بن أرقم - شك شعبة - عن النبي ﷺ قال: (من كنت مولاه فعلي مولاه)^(٤).

ويمكن مراجعة المصادر الكثيرة لمن أراد المزيد من المعرفة^(٥).

الحديث عند الفريقين:

وقبل مناقشة حديث الغدير نذكرُ طريقين عن قصة حديث الغدير أحدهما من مصدر أتباع أهل البيت وآخر من مصادر غيرهم..

- ١ - عمدة القاري في شرح صحيح البخاري لبدر الدين محمود العيني ج ٨ ص ٥٨٤ .
- ٢ - معرفة الصحابة لأبي نعيم الاصبهاني ج ٨ ص ٢٤١ .
- ٣ - السنن الكبرى للنسائي ج ٥ ص ١٣٦ .
- ٤ - صحيح الترمذي ج ٣ ص ٢١٣ .
- ٥ - الرازي في تفسيره (ج ١٢ ص ٥٠ ط مصر) والسيوطي في تفسيره (الدر المنثور للسيوطي ج ٢ ص ٢٩٨) وابن الصباغ المالكي في (الفضول المهمة ص ٢٥ ط الحيدرية) والشهرستاني الشافعي في (الملل والنحل ج ١ ص ١٦٣) والحموي في (فوائد السحطين ج ١ ص ١٥٨) وغير ذلك من المصادر الكثيرة ويمكن مراجعة (تممة المراجعات للشيخ آل راضي ص ١٨٦ - ١٨٨) .

الرواية من طريق الإمامية:

عن الإمام الباقر أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام أنه قال: (حجّ رسول الله صلى الله عليه وآله من المدينة وقد بلغ جميع الشرايع قومه غير الحج والولاية، فأتاه جبرائيل عليه السلام فقال له: يا محمد إن الله (جلّ اسمه) يقرئك السلام ويقول لك: إني لم أقبض نبياً من أنبيائي ولا رسولاً من رسلي إلا بعد إكمال ديني وتأكيدي حجّي، وقد بقي عليك من ذلك فريضتان مما يحتاج أن تبلغها قومك: فريضة الحج وفريضة الولاية والخلافة من بعدك، فإني لم أحلّ أرضي من حجّة، ولن أخليها أبداً، فإن الله (جلّ ثناؤه) يأمرك أن تبلغ قومك الحج، وتحجّ ويحجّ معك كل من استطاع إليه سبيلاً من أهل الحضرة والأطراف والأعراب، وتعلمهم من معالم حجّهم مثل ما علمتهم من صلاتهم وزكاتهم وصيامهم، وتوقفهم من ذلك على مثال الذي أوقفتهم عليه من جميع ما بلغتهم من الشرايع.

فنادى منادي رسول الله صلى الله عليه وآله في الناس: (ألا إن رسول الله صلى الله عليه وآله يريد الحج، وأن يعلمكم من ذلك مثل الذي علمكم من شرايع دينكم، ويوقفكم من ذلك على ما أوقفكم عليه من غيره) فخرج صلى الله عليه وآله وخرج معه الناس وأصغوا إليه لينظروا ما يصنع فيصنعوا مثله، فحجّ بهم وبلغ من حجّ مع رسول الله - من أهل المدينة وأهل الأطراف والأعراب - سبعون ألف إنسان أو يزيدون على عدد أصحاب موسى السبعين الألف الذين أخذ عليهم بيعة هارون فنكثوا واتبعوا العجل والسامري، وكذلك أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله البيعة لعلي عليه السلام بالخلافة على عدد أصحاب موسى فنكثوا البيعة واتبعوا العجل سئة بسئة ومثلاً بمثل، واتصلت التلبية ما بين مكة والمدينة. فلما وقف

بالموقف أتاه جبرائيل عليه السلام عن الله تعالى فقال: يا محمد إن الله (عزَّ وجل) يقرؤك السلام ويقول لك: إنه قد دنا أجلك ومدتك وأنا مستقدمك على ما لا بُدَّ منه ولا عنه محيص، فاعهد عهدك ونفِّذ وصيتك واعمد إلى ما عندك من العلم وميراث علوم الأنبياء من قبلك والسلاح والتابوت وجميع ما عندك من آيات الأنبياء، فسلِّمها إلى وصيك وخليفتك من بعدك، حُجَّتِي البالغة على خلقي: علي بن أبي طالب، فأقمه للناس وجدِّدْ عهده وميثاقه وبيعته، وذكرهم ما أخذتَ عليهم من بيعتي وميثاقي الذي واثقتهم به، وعهدي الذي عهدت إليهم من ولاية ولِّيي ومولاهم ومولى كلِّ مؤمن ومؤمنة: علي بن أبي طالب، فإنِّي لم أقبض نبيًّا من الأنبياء إلاَّ من بعد إكمال ديني وإتمام نعمتي على خلقي بولاية أوليائي ومعاداة أعدائي، وذلك كمال توحيدِي وديني وإتمام نعمتي على خلقي باتِّباع ولِّيي وطاعته، وذلك أنِّي لا أترك أرضي بغير قيِّم ليكون حجَّة لي على خلقي، فالיום أكملتُ لكم دينكم وأتممتُ عليكم نعمتي بولِّيي ومولى كلِّ مؤمن ومؤمنة علي عبدي ووصي نبيِّ والخليفة من بعده، حُجَّتِي البالغة على خلقي، مقرونة بطاعته بطاعة محمد نبيِّ، ومقرون طاعته مع طاعة محمد بطاعتي، من أطاعه فقد أطاعني ومن عصاه فقد عصاني، جعلته علماً بيني وبين خلقي، من عرفه كان مؤمناً، ومن أنكره كان كافراً، ومن أشرك ببيعته كان مشركاً، ومن لقيني بولايته دخل الجنة ومن لقيني بعداوته دخل النار، فأقم يا محمد علياً علماً، وحُذِّ عليهم البيعة، وجدِّدْ عهدي وميثاقي لهم وبالذي واثقتهم عليه، فإنِّي قابضك إليَّ ومستقدمك عليَّ)).

فخشي رسولُ الله ﷺ قومه وأهلَ النفاق والشقاق أن يتفرَّقوا

ويرجعوا جاهليّة، لما عرف من عداوتهم ولما تنطوي عليه أنفسهم لعلي عليه السلام من البغضاء وسأل جبرائيل عليه السلام أن يسأل ربّه العصمة من الناس، وانتظر جبرائيل بالعصمة من الناس من الله (جلّ اسمه)، فأخبر ذلك إلى أن بلغ مسجد الخيف، فأتاه جبرائيل في مسجد الخيف فأمره بأن يعهد عهده ويُقيم علياً علماً للناس، ولم يأت به بالعصمة من الله (جلّ جلاله) بالذي أراد حتى بلغ كراع الغميم بين مكة والمدينة، فأتاه جبرائيل فأمره بالذي أتاه فيه من قبل الله تعالى ولم يأت به بالعصمة، فقال: (يا جبرائيل إني أخشى قومي أن يكذبوني ولا يقبلوا قولي في علي) فرحل فلما بلغ غدیر خم قبل المحففة بثلاثة أميال أتاه جبرائيل على خمس ساعات مضت من النهار بالزجر والانتهاز والعصمة من الناس، فقال: يا محمد إن الله (عزّ وجل) يقرئك السلام ويقول لك: ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك﴾ في علي ﴿وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس﴾ وكان أوائلهم قريباً من المحففة، فأمر بأن يُردّ من تقدّم منهم ويحبس من تأخّر عنهم من ذلك المكان ليقيم علياً للناس. ويبلغهم ما أنزل الله تعالى في علي عليه السلام، وأخبره أن الله (عزّ وجل) قد عصمه من الناس: فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله - عندما جاءته العصمة - منادياً ينادي: الصلاة جامعة، ويردّ من تقدّم منهم ويحبس من تأخّر، وتنحى عن يمين الطريق إلى جنب مسجد الغدير، أمره بذلك جبرائيل عن الله (عزّ وجل) وفي الموضع سلمات^(١) فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله أن يُقمّ ما تحتهنّ وينصب له أحجار كهيئة المنبر ليُشرف على الناس، فتراجع الناس واحتبسوا وأخبرهم

١ - سلم: الواحدة: (سلمة): جنس شجر شائك من فصيلة الطنانيات، ينمو في البلدان الحارة.

في ذلك المكان لا يزالون، فقام رسول الله ﷺ فوق تلك الأحجار فقال: الحمد لله الذي علا في توحّده، ودنا في تفرّده، وجل في سلطانه، وعظم في أركانه،...

إلى ان قال: وأشهد له بالربوبية، وأؤدّي ما أوحى إليّ حذراً من أن لا أفعل فتحلاً بي منه قارعة لا يدفعها عني أحد وإن عظمت حيلته. لا إله إلا هو، لأنه قد أعلمني إن لم أبلّغ ما أنزل إليّ فما بلّغت رسالته، وقد ضمن لي (تبارك وتعالى) العصمة، وهو الله الكافي الكريم فأوحى لي:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾.

معاشر الناس ما قصّرت في تبليغ ما أنزله، وأنا مبين لكم سبب هذه الآية: إن جبرائيل هبط إليّ ثلاثاً يأمرني عن السلام ربي - وهو السلام - أن أقوم في هذا المشهد فأعلم كل أبيض وأسود أن علي بن أبي طالب أخي ووصيي وخليفتي والإمام من بعدي، الذي محلّه مني محلّ هارون من موسى إلا أنه لا نبيّ بعدي، وهو وليكم بعد الله ورسوله، وقد أنزل الله (تبارك وتعالى) عليّ بذلك آية من كتابه: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾. وعلي بن أبي طالب أقام الصلاة وآتى الزكاة وهو راكع يريد الله (عزّاً وجل) في كلّ حال، وسألت جبرائيل أن يستعفي لي عن تبليغ ذلك إليكم - أيها الناس - لعلمي بقلّة المتقين وكثرة المنافقين وإدغال الآثمين وختل المستهزئين بالإسلام الذين وصفهم الله في كتابه بأنهم: ﴿يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم ويحسبونهم

هَيْنَا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴿ وكثرة أذاهم لي غير مرة حتى سَمَوْنِي أُذُنًا، وزعموا أنني كذلك لكثرة ملازمتي إِيَّاي وإِقْبَالِي عَلَيْهِ، حتى أَنْزَلَ اللَّهُ (عَزَّ وَجَلَّ) فِي ذَلِكَ: ﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنٌ﴾ عَلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُ أُذُنٌ (خَيْرٌ لَكُمْ) الْآيَةَ. وَلَوْ شِئْتُ أَنْ أَسْمِيَ بِأَسْمَائِهِمْ لَسَمَّيْتُ وَأَنْ أَوْمِي إِلَيْهِمْ بِأَعْيَانِهِمْ لِأَوْمَاتٍ وَأَنْ أَدُلَّ عَلَيْهِمْ لَدَلَلْتُ، وَلَكِنِّي وَاللَّهُ فِي أُمُورِهِمْ قَدْ تَكْرَمْتُ، وَكُلَّ ذَلِكَ لَا يَرْضَى اللَّهُ مِنِّي إِلَّا أَنْ أَبْلُغَ مَا أَنْزَلَ لِي .

ثم تلا ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ فِي عَلِيٍّ ﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾.

فاعلموا معاشر الناس: إن الله قد نصبه لكم وليًا وإمامًا مفترضًا طاعته على المهاجرين والأنصار وعلى التابعين لهم بإحسان، وعلى البادي والحاضر وعلى العجمي والعربي، والحُرِّ والمملوك، والصغير والكبير، وعلى الأبيض والأسود، وعلى كلِّ موحدٍّ، ماضٍ حكمه، جازٍ قوله، نافذٌ أمره، ملعونٌ من خالفه، مرحومٌ من تبعه، من صدقه فقد غفر الله له ولمن سمع منه وأطاع له.

معاشر الناس: إنه آخر مقام أقومه في هذا المشهد فاسمعوا وأطيعوا وانقادوا لأمر ربكم فإن الله (عزَّ وجلَّ) هو مولاكم وإلهكم، ثم من دونه رسولكم محمد وليكم القائم المخاطب لكم، ثم من بعدي عليٌّ وليكم وإمامكم بأمر الله ربكم، ثم الإمامة في ذريتي من وُلدي إلى يوم تلقون الله (عزَّ وجلَّ) ورسوله، لا حلال إلا ما أحله الله، ولا حرام إلا ما حرَّمه الله، عرَّفني الحلال والحرام، وأنا أفضيتُ بما علَّمني ربي من كتابه وحلاله وحرَّامه إليه.

معاشر الناس: ما من علمٍ إلا وقد أحصاه الله في، وكل علم علمتُ فقد

أحصيته في إمام مبین، وما من علم إلا علمته علياً وهو الإمام المبین. معاشر الناس: لا تزلُّوا عنه ولا تنفروا منه، ولا تستنكفوا من ولايته، فهو الذي يهدي إلى الحق ويعمل به، ويزهق الباطل وينهى عنه، ولا تأخذه في الله لومة لائم، ثم إنه أول من آمن بالله ورسوله، والذي فدى رسول الله ﷺ بنفسه، والذي كان مع رسول الله ولا أحد يعبد مع رسول الله من الرجال غيره.

معاشر الناس: فضّلوه فقد فضّله الله، واقبلوه فقد نصّبه الله معاشر الناس: إنه إمام من الله، ولن يتوب الله على أحد أنكر ولايته ولن يغفر له، حتماً على الله أن يفعل ذلك بمن خالف أمره فيه، وأن يعذّبه عذاباً نُكراً أبد الأبد ودهر الدهور، فاحذروا أن تخالفوه فتصلوا ناراً وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين.

أيها الناس: بي - والله - بشّر الأوّلون من النبيّين والمرسلين، وأنا خاتم الأنبياء والمرسلين، والحجّة على جميع المخلوقين من أهل السماوات والأرضين، فمن شكّ في ذلك فهو كافر كُفراً الجاهليّة الأولى، ومن شكّ في قولي فقد شكّ في الكلّ منه، والشاكُّ في ذلك فله النار.

معاشر الناس: حباني الله بهذه الفضيلة متاً مني عليّ وإحساناً مني إليّ، ولا إله إلا هو، له الحمد مني أبد الأبدين ودهر الداهرين على كل حال.

معاشر الناس: فضّلوا علياً فإنه أفضل الناس بعدي من ذكر وأنتى. بنا أنزل الله الرزق وبقي الخلق، ملعون ملعون مغضوب مغضوب على من ردّ قولي هذا ولم يوافقه، ألا إن جبرائيل خبّرني عن الله تعالى بذلك ويقول: من عادى علياً ولم يتولّه فعليه لعنتي وغضبي فلتنظر نفساً ما قدّمت

لغد واتقوا الله أن تحالفوه فتزلّ قدم بعد ثبوتها، إن الله خير بما تعملون.
 معاشر الناس: إنه جنب الله تعالى في كتابه ﴿يا حسرتى على ما
 فرطتُ في جنب الله﴾.

معاشر الناس: تدبّروا القرآن وافهموا آياته، وانظروا مُحكماته، ولا
 تتبعوا متشابهه، فوالله لن يُبين لكم زواجه ولا يوضّح لكم تفسيره إلا الذي
 أنا آخذُ بيده و سائل بعضه و مُعلمكم أن مَنْ كنتُ مولاه فهذا عليّ مولاه،
 وهو علي بن أبي طالب أخي ووصيّى، ومولاته من الله (عزّ وجل) أنزلها
 عليّ.

معاشر الناس: إن علياً والطيبين من وُلدي هم الثقل الأصغر، والقرآن
 الثقل الأكبر، فكلّ واحد يُنبئ عن صاحبه وموافق له لن يفترقا حتى يردا
 عليّ الحوض، أمناء الله في خلقه وحكماؤه في أرضه.

ألا وقد أدّيت؟! ألا وقد بلغت؟! ألا وقد أسمعتم؟! ألا وقد أوضحت؟!
 ألا وإن الله (عزّ وجل) قال وأنا قلتُ عن الله (عزّ وجل) ألا إنه ليس أمير
 المؤمنين غير أخي هذا، ولا تحلّ إمرة المؤمنين بعدي لأحد غيره.

ثم ضرب بيده إلى عضده فرفعه، (وكان منذ أول ما صعد رسول
 الله ﷺ شال علياً حتى صارت رِجله مع رُكبة رسول الله ﷺ)

ثم قال: معاشر الناس: هذا علي أخي ووصيّى وواعي علمي وخليفتي
 على أمّتي وعلى تفسير كتاب الله (عزّ وجل) والداعي إليه، والعامل بما
 يرضاه، والمحارب لأعدائه، والموالي على طاعته، والناهي عن معصيته،

خليفة رسول الله وأمير المؤمنين والإمام الهادي، وهو قاتل الناكثين

والقاسطين والمارقين بأمر الله،

أقول: ما يبدل القول لديّ بأمر ربي،

أقول: اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، والعن من أنكره وأغضب
علي من جحد حقّه، اللهم إنك أنت أنزلت عليّ في كتابك أن الإمامة لعليّ
وليّك عند تبياني ذلك، ونصبي إياه بما أكملت لعبادك من دينهم وأتممت
عليهم نعمتك ورضيت لهم الإسلام دينا فقلت: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا
فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ اللهم إني أشهدك أني قد
بلّغتُ....)) إلى آخر الخطبة^(١) ..

الرواية من طريق غير الإمامية:

وأما الحديث باسناد أهل السنّة ومصادرهم فقد ذكر الشيخ الاميني
عدّة من المصادر، منها ما ذكره مفصلاً عن الحافظ أبي جعفر محمد بن جرير
الطبري المتوفى ٣١٠ هـ في كتاب (الولاية في طرق حديث الغدير)^(٢).
الآنني أكتفي هنا بمصدرين:

الأول: ذكر السيوطي في تفسيره^(٣).

قال: أخرج أبو الشيخ عن الحسن، أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم)

١ - غاية المرام للسيد هاشم البحراني عن الاحتجاج: ١ / ٦٦ - ٨٤. والبحار: ٢٧ / ٢٠١ - ٢١٩.

٢ - الغدير للشيخ الأميني ج ١ ص ٢٦٧ عن الطبري في كتابه (الولاية في طرق حديث الغدير). ونقل

الأميني عن ثلاثين مصدراً من علماء القوم ممن قالوا إن الآية نزلت في علي عليه السلام فليراجع .

٣ - تفسير الدر المنثور لجلال الدين السيوطي - ج ٢ - ص ٢٩٨.

قال: إن الله بعثني برسالة فضقتُ بها ذرعاً، وعرفت أن الناس مُكذِّبِي، فوعدني: لأبْلَغَنَّ أو لِيُعَذِّبَنِي، فَأَنْزَلَ: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾.

قال: وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن مجاهد، قال: لَمَّا نَزَلَتْ ﴿بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ قال: يا رب إنما أنا واحد كيف أصنع؟ يجتمع على الناس؟! فنزلت: ﴿وَأَنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ﴾.

قال: وأخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه وابن عساكر عن أبي سعيد الخدري قال: نزلت هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) - يوم غدِير حُـمْ - في علي بن أبي طالب. قال: وأخرج ابن مردويه عن ابن مسعود، قال: كنا نقرأ على عهد رسول (الله صلى الله عليه وسلم) ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ أن علياً مولى المؤمنين ﴿وَأَنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾.

الثاني: نقل الآلوسي رواية، وقال عن سندها: قال الذهبي: إنه صحيح، عن زيد بن أرقم،

قال: لما رجع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من حجّة الوداع ونزل غدِير حُـمْ، أمر بدوحات فغصمن.

ثم قال: (- كَأَنِّي قَدْ دُعِيتُ فَأَجَبْتُ - إني قد تركت فيكم الثقلين: كتاب الله تعالى وعترتي أهل بيتي، فانظروا كيف تُخَلِّفُونِي فِيهِمَا؟! فَإِنَّهُمَا لَنْ

يفترقا حتى يَرِدَا عَلِيَّ الحَوْضِ، اللهُ تَعَالَى مَوْلَايَ وَأَنَا وَلِيُّ كُلِّ مُؤْمِنٍ) ثم أخذ بيد عليٍّ كَرَّمَ اللهُ تَعَالَى وَجْهَهُ فقال: (من كنتُ مولاهُ فهذا وليُّه، اللهُمَّ وَالِ مَنْ وَاوَاهُ وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ)، فما كان في الدوحاتِ أحدٌ إلَّا رآه بعينه وسمعه بأذنيه^(١).

وقد صرّحت بعض الروايات أن تبليغ هذه الرسالة (ولاية الإمام علي عليه السلام) على الناس بعد النبي ﷺ كان بدايته يوم التاسع من ذي الحجة (يوم عرفة) إلَّا أن النبي ﷺ كان ينتظر أن يُنزل اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ العِصْمَةَ والحِصَانَةَ الخاصَّةَ له من المناققين ومَن لا يتحمَّلون تعيين الإمام علي عليه السلام للخلافة ومَن يخشى عودتهم العننية إلى الشرك والجاهلية^(٢) فلَمَّا نزل قول اللهُ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ أوقف الناس حينئذ في غدِيرِ خَمٍّ وأبلغهم ما نزل عليه من يوم عرفة وما تلاه من التأكيدات في شأن تبليغ الخلافة إلى يوم الثامن عشر من ذي الحجة.

وبناءً على هذا .. ليس هناك أيُّ تنافٍ بين من قال أن الآيات نزلت في يوم عرفة وبين من اعتبرها نازلة يوم الغدير.

١ - تفسير الآلوسي للآلوسي - ج ٦ - ص ١٩٤ .

٢ - يمكن القول إن النبي ﷺ إنما أحرَّ التبليغ إلى نزول هذه المحافظة الخاصة من الله عليه (والله يعصمك من الناس) ليعلم الناس عموماً وتعلم الأجيال بعد ذلك أن هناك من النفوس المرضي ممن كانت حول الرسول أيضاً ممن كان يريد تبيان إمكانية انقلابهم على الدين وكان هذا التأخير الظاهري هو بوحى من الله تعالى أيضاً وبمخطة إلهية للنبي ﷺ .. كما يمكن القول وكما في بعض الأحاديث أن الله تعالى كان قد فوَّضَ الأمور إلى النبي في ذلك فيكون تصرُّفه ﷺ هو ممَّا يريدُه اللهُ تَعَالَى.

قال العلامة الطباطبائي في الميزان: إن هاهنا أمراً يجب التنبيه له، وهو أن التدبر في الآيتين الكریمتین: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ (الآية) - على ما سيجيء من بيان معناه - وقوله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ (الآية) والأحاديث الواردة من طرق الفريقين فيهما وروايات الغدير المتواترة، وكذا دراسة أوضاع المجتمع الإسلامي الداخلية في أواخر عهد رسول الله ﷺ والبحث العميق فيها يفيد القطع بأن أمر الولاية كان نازلاً قبل يوم الغدير بأيام، وكان النبي ﷺ يتتقى الناس في إظهاره ويخاف أن لا يتلقوه بالقبول أو يُسيئوا القصد إليه فيختل أمر الدعوة، فكان لا يزال يؤخّر تبليغه الناس من يوم إلى غد حتى نزل قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ﴾ (الآية) فلم يمهل في ذلك. وعلى هذا فمن الجائز أن يُنزل الله سبحانه معظم السورة وفيه قوله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ (الآية) ويُنزل معه أمر الولاية كل ذلك يوم عرفة فأخّر النبي ﷺ بيان الولاية إلى غدير خم، وقد كان تلا آيتها يوم عرفة.

وأما اشتغال بعض الروايات على نزولها يوم الغدير فليس من المستبعد أن يكون ذلك لتلاوته ﷺ الآية مقارنة لتبليغ أمر الولاية لكونها في شأنها. وعلى هذا فلا تنافي بين الروايات أعني ما دلّ على نزول الآية في أمر الولاية، وما دلّ على نزولها يوم عرفة^{١١}.

ويؤيد ما ذكره العلامة الطباطبائي في تفسيره ما روي عن الإمام الباقر عليه السلام من أن النبي ﷺ لما وقف الموقف في عرفات أتاه جبرئيل عليه السلام

عن الله سبحانه وتعالى بضرورة تبليغ ولاية الإمام علي عليه السلام بعد النبي صلى الله عليه وآله وبيان مكانته عليه السلام فلقد جاء في رواية الإمام الباقر عليه السلام: (فخشي رسول الله صلى الله عليه وآله قومه وأهل النفاق والشقاق أن يتفرقوا ويرجعوا جاهليّة، لما عرف من عداوتهم وما يبطنون عليه أنفسهم لعلي عليه السلام من البغضاء. سأل جبرئيل عليه السلام أن يسأل ربّه العصمة من الناس، وانتظر أن يأتيه جبرئيل بالعصمة من الناس من الله (عزّ وجل) فأخّر ذلك إلى أن بلغ مسجد الخيف فأتاه جبرئيل عليه السلام في مسجد الخيف فأمره أن يعهد عهده ويقيم علياً للناس، ولم يأته العصمة من الله تعالى بالذي أراد، حتى أتى كراع العميم بين مكة والمدينة فأتاه جبرئيل وأمره بالذي أمر به من قبل، ولم يأته بالعصمة، فقال: يا جبرئيل إني لأخشى قومي أن يكذبوني ولا يقبلوا قولي في علي. فرحل، فلما بلغ غدير خم قبل الجحفة بثلاثة أميال أتاه جبرئيل عليه السلام على خمس ساعات مضت من النهار بالزجر والانتهاز والعصمة من الناس فقال يا محمد إن الله (عزّ وجل) يقرؤك السلام ويقول لك: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾.. الآية.. إلى آخر الحديث^(١).

ما معنى خوف النبي؟

أيها القارئ الكريم: قد تتساءل وتقول: ما معنى خوف النبي صلى الله عليه وآله؟
 الجواب: من الواضح أن النبي صلى الله عليه وآله لم يكن يخاف على نفسه لأن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا

إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ^(١)، ويقول سبحانه وتعالى: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾^(٢)، وإنما

خوفه ﷺ بمعنى الحذر من تمرد القوم ورجوعهم عن الدين وتعرض الدين للخطر من الأساس. وإن الله تعالى قد يكون أخبره بان المكان والزمان المناسب لذلك هو يوم الثامن عشر وفي منطقة الغدير وبعد نزول العصمة له فكان تأخير النبي ﷺ ليس تماهلاً أو تباطؤاً أو تلكئاً في الأمر بل كان حكمة وانتظاراً لآخر مهلة له وانتهائها بنزول العصمة من المنافقين.

ولعل الآية أشارت إلى هذا المعنى بقولها ﴿بَلِّغْ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ﴾ فإنه أمرٌ

قد انزل من قبل والآن يا رسول الله قد حان موعد تبليغه فبلِّغه..

وينبغي أن يقال أيضاً: إن هذا الحذر والخوف بالطبع لم يكن من المشركين والكفار فإنه ﷺ ما خافهم يوم قلة أنصاره وبداية بعثته وما هابهم يوم كسر أصنامهم فهل يخافهم اليوم وقد كسرت شوكتهم وخمدت نيرانهم حتى رضوا به حاكماً عليهم ووافقوا على إعطاء الجزية والضريبة صاغرين؟؟؟

بالتأكيد لم يكن الحذر والخوف منهم وإنما كان تمن ستخييب آماهم بالتنصيص على خليفة لرسول الله ﷺ من غيرهم. فكان الحذر والخوف من المنافقين والذين في قلوبهم مرض، لاسيما أولئك الذين ملأت قلوبهم حقداً وضعفناً وحسداً على أمير المؤمنين ﷺ حيث قتل أبطالهم من جهة، ولما له

١ - آل عمران/ ١٧٥.

٢ - الأحزاب/ ٣٩.

من مكانة عظيمة عند النبي ﷺ من جهة أخرى، وهذا يدلّ ويؤكد على أن النبي ﷺ بالفعل أراد تبليغ موضوع الإمامة لعلي عليه السلام ولم يرد تبليغ موضوع يرتبط بأهل الكتاب أو تبليغ حكم عادي من أحكام الشريعة.

بعض الاستفسارات:

هناك بعض الأسئلة التي قد تُطرح في مجال التحدّث عن هذه الآية.. ونحن نطرحها ونحاول الإجابة عليها بحول الله تعالى:

ما هو المراد من كلمة (مولاه)

السؤال الأول: إن الاستدلال بحديث الغدير على ولاية الإمام علي عليه السلام مبني على أن المراد من قول النبي ﷺ (من كنت مولاه فهذا علي مولاه) هو من كنت أنا وليه وإمامه فهذا علي كذلك وليه. ولكن قد يراد من كلمة (مولاه) غير هذا المعنى، فقد ذكرت هناك معان كثيرة لهذه المفردة منها الصاحب والصديق والناصر والمحب وغير ذلك فكيف يتعيّن كون ما أراده النبي ﷺ من تلك الكلمة هو ما فهم من شأن الخلافة والإمامة؟

الجواب: لقد أجيب هذا السؤال بوجه عديدة، وإليك بعضها موجزاً:

أولاً: صحيح أن لكلمة (مولى) معان عديدة - وقد تجاوزت العشرين معنى كما ذكروا - ولكن اظهر المعاني فيها وأكثرها إرادة في الاستعمال لهذه المفردة هو معنى الأولويّة بالأمر والألويّة بالتصرّف في الأمور، وقد ذكر المفسّرون في قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوَالِي مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَأَتَوْهُمْ نَصِيبَهُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ

شَهِيدًا^(١) ذكروا أن المراد بالموالي مَنْ كان املك بالميراث وأولى بالتصرف به وبجيازته.. كما قالوا في تفسير قوله تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾^(٢) أي هي (النار) أولى بكم. فكلمة (مولى) يأتي استعمالها غالباً بمعنى الأولوية. كذلك أريد منها هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿بَلِ اللّٰهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ﴾^(٣) وفي قوله تعالى أيضاً: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللّٰهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللّٰهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾^(٤) فحينما تُستعمل كلمة (مولى) يراد بها - في الأغلب - معنى أولى، فيكون ما أراده النبي ﷺ هو من كنت أنا مولاه وأولى به وأحقّ به بالولاية والتصرف بأموره فهذا علي عليه السلام مولاه وأولى به كذلك..

ثانياً: إن من يتأمل القرائن المحفوفة بواقعة الغدير وما جرى في ذلك اليوم و ما قبله و بعده وما قاله النبي ﷺ وما فعله وما أجاب به علي استئالة بعض الصحابة.. إن من يراجع هذه القضايا وغيرها لا يشك بكونها قرائن ودلائل واضحة تدلُّ ونشير بشكل جليّ وواضح إلى ما أراده النبي ﷺ من قوله: (من كنت مولاه فعلي مولاه) انه بالفعل إنما أراد من كلمة (مولى) هو معنى الولاية والخلافة والتصرف بالأمور...

١ - النساء/٣٣.

٢ - الحديد/١٥.

٣ - آل عمران/١٥٠.

٤ - التوبة/٥١.

دلالة القرائن المتعددة

والآن نذكر لك - أيها القارئ الكريم - بعض القرائن اللفظية والمقالية و القرائن الحالية التي يدلّ الحال فيها على ذلك:

أولاً: القرائن اللفظية..

فمن ذلك قول النبي ﷺ للناس وفي نفس الخطاب قبل تلك الجملة: (الستُ أولى بالمؤمنين من أنفسهم... فقالوا بلى!)^(١) وقد ذُكر ذلك في مصادر متعددة، ومن الواضح أن من عادة أهل المنطق في خطاباتهم إذا أوردوا كلاماً مسبقاً ثم عطفوا عليه كلاماً يحتمل معانٍ متعددة أن يحمل كلامهم الثاني على ما أرادوه من كلامهم السابق في الخطاب. هذا فضلاً عما ذكر ذلك في أكثر من قضية تدلُّ على نفس المعنى المراد ومنها ما نقله العلامة شرف الدين في المراجعات^(٢) بسند صحيح عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، عن بريدة، قال: غزوت مع علي اليمن فرأيت منه جفوة، فلما قَدِمْتُ على رسول الله ﷺ ذكرتُ علياً فتنقَّصته، فرأيتُ وجه رسول الله يتغيَّر، فقال: يا بريدة ألسْتُ أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قلت: بلى يا رسول الله، قال من كنت مولاه فعلي مولاه.

ومن القرائن اللفظية المشيرة إلى هذا المعنى ما قاله النبي ﷺ بعد إعلانه الخلافة لعلي عليه السلام حيث قال: (هئتوني إن الله خصني بالنبوّة وخصني

١ - السنن الكبرى للمنسائي ج ٥ ص ١٢١ - وفي المراجعات - السيد شرف الدين - ص ٢٢٦.

قال أخرج ابن أبي عاصم عن علي مرفوعاً: (الست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: بلى، قال: من كنت وليه فهو وليه) (نقله المهدي الهندي عن ابن أبي عاصم في ص ٣٩٧ من الجزء ٦ من الكنز).

٢ - المراجعات للسيد شرف الدين - ص ٢٢٨، عن الإمام أحمد في ص ٣٤٧ من ج ٥ من مسنده.

أهل بيتي بالإمامة^(١) فهو دليل واضح على انه ﷺ أراد من كلمة (مولاه) معنى الإمامة والخلافة حيث بها نصب علياً ع^{عليه السلام} للخلافة.

كما إن من القرائن أيضاً ما بينه النبي ﷺ في بداية خطابه من انه يوشك أن يفارق الحياة حيث قال ﷺ: (يوشك أن أدعى فأجيب)، فقد ذكرت المصادر ومنها عن زيد بن أرقم، قال: خطب رسول الله ﷺ، بغدير خم تحت شجرات، فقال: (أيها الناس يوشك أن أدعى فأجيب)^(٢) فهكذا تقديم بالكلام في مثل ذلك الخطاب دليل جلي على أنه يريد تعيين الخليفة

١ - تزيه الشيعة الإثني عشرية عن الشبهات الواهية لأبي طالب التجليل التبريزي - ج ٢ - ص ٣٠١. روى الحافظ أبو سعيد الخردزمي النيسابوري - المتوفى سنة ٤٠٧ - في كتاب شرف المصطفى، على ما في الغدير، بإسناده عن البراء بن عازب، بلفظ أحمد بن حنبل، وبإسناد آخر عن أبي سعيد الخدري. ولفظه: ثم قال النبي ﷺ: هُنْتُوِي هُنْتُوِي، إن الله خصني بالنبوة وخص أهل بيتي بالإمامة، فلقني عمر بن الخطاب أمير المؤمنين ع^{عليه السلام}، فقال: طوبى لك يا أبا الحسن! أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة.

٢ - المراجعات للسيد شرف الدين ٢٥٩ - ٢٦١ قال أخرج الطبراني وغيره بسند مجمع على صحته، عن زيد بن أرقم، قال: خطب رسول الله ﷺ، بغدير خم تحت شجرات، فقال: "أيها الناس يوشك أن أدعى فأجيب، وإني مسئول، وإنكم مسئولون، فماذا أنتم قائلون؟ قالوا: تشهد أنك قد بلغت وجاهدت وصحمت، فجزاك الله خيراً، فقال: أليس تشهدون أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن جنته حق، وأن نارَه حق، وأن الموت حق، وأن البعث حق بعد الموت، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور؟ قالوا: بلى تشهد بذلك، قال: اللهم اشهد، ثم قال: يا أيها الناس إن الله مولاي، وأنا مولى المؤمنين، وأنا أولى بهم من أنفسهم، فمن كنت مولاه فهذا مولاه - يعني علياً - اللهم وال من والاه، وفي هامش المراجعات، صرح بصحة الحديث غير واحد من الأعلام، حتى اعترف بذلك ابن حجر إذ أورده نقلاً عن الطبراني وغيره في أثناء النسبة الحادية عشر من الشبهة التي ذكرها في الفصل الخامس من الباب الأول من الصواعق

من بعده حيث أنه نعى إليهم نفسه الزكية تنبيهاً إلى أن الوقت قد استوجب تبليغ عهده، ولزم الإعلان بتعيين الخليفة من بعده وأنه لا يسعه تأخير ذلك مخافة أن يدعى فيجيب قبل إحكام هذه المهمة التي لا بد له من إحكامها، ولا غنى لأُمَّته عن إتمامها.

ومن القرائن اللَّفْظِيَّةُ أيضاً ما جاء شبيهه ذلك في أحاديث كثيرة مروية عن النبي ﷺ في حق الإمام علي عليه السلام وقد ذُكرت كلمة (الولي) وأراد منها الخلافة والإمامة له بعد النبي ﷺ فمثلاً.

قوله ﷺ: (علي مني وأنا من علي وعلي ولي كل مؤمن بعدي)^(١).
وكذلك ما قاله ﷺ فيه لما جعله في سرية قتال فغنم جارية فامتعض بعض من كان معه فدافع النبي ﷺ وبين أنه عليه السلام وليهم بعده، فقد ذكر في مسند احمد عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال: بعث رسول الله ﷺ بعثين إلى اليمن على أحدهما علي بن أبي طالب وعلى الآخر خالد بن الوليد فقال: إذا التقيتم فعلي على الناس وإن افرقتما فكل واحد منكما على جنده، فلقينا بني زيد من أهل اليمن فاقتلنا فظهر المسلمون على المشركين فقتلنا المقاتلة وسبينا الذرية، فاصطفى علي امرأة من السبي لنفسه، قال بريدة: فكتب معي خالد بن الوليد إلى رسول الله ﷺ يخبره بذلك، فلما أتيت النبي ﷺ دفعت الكتاب فقرأ عليه فرأيت الغضب في وجه رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله هذا مكان العائذ، بعثتني مع رجل وأمرتني أن أطيعه ففعلت ما أرسلت به، فقال رسول الله ﷺ: لا تقع في علي فإنه مني وأنا منه وهو وليكم بعدي وانه

مني وأنا منه وهو وليكم بعدي^(١).

ومن الواضح أن كلمة (بعدي) تدلُّ وبالتأكيد على أن المراد من (وليُّكم) يعني إمامكم وخليفتكم وإلا فلا معنى للبعديَّة هنا.

ثانياً: القرائن الحالية..

فقد جرت أحداث ومواقف في ضمن قضية الغدير تدلُّ بوضوح على أن ما أراه النبي ﷺ من قوله: (فعليُّ مولاه) يعني هو المتولِّي بعد النبي لأُمور المسلمين وهو الإمام ويعني أن (مولى) بمعنى أولى بهم.

الاهتمام البالغ في الأمر

فمن تلك القرائن الحالية انه ﷺ جَمَعَ الناس على كثرتهم وانتظر المتأخِّرين من القوافل حتى وصلوا إلى المنطقة التي هو فيها - وهي منطقة غدير خم - واستوقفهم ثلاثة أيام على تلك الأرض القاحلة الملتهية، فبلَّغهم كلامه ثم أمرهم أن يسلموا على علي عليه السلام بإمرة المؤمنين والولاية فكان كلُّ منهم يدخل عليه ويسلم عليه بذلك وكان ممن دخل عليه عمر بن الخطاب وقال له مهتئناً: يخ بخ لك يا بن أبي طالب أصبحت وأمسيت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة^(٢).

١ - مسند احمد للإمام احمد بن حنبل - ج ٥ - ص ٣٥٦.

٢ - قال في سبيل النجاة في تمة المراجعات - الشيخ حسين آل راضي - ص ١٨٣ : قول عمر بن الخطاب لعلي يوم الغدير: (يخ بخ لك يا ابن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كل مسلم). يوجد في ترجمة الإمام علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق لابن عساكر الشافعي ج ٢ / ٧٥ ح ٥٧٥ و ٥٧٧ و ٥٧٨، مناقب علي بن أبي طالب لابن المغازلي الشافعي ص ١٨ ح ٢٤، المناقب للخوارزمي الحنفي ص ٩٤، تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج ٨ / ٢٩٠، شواهد التنزيل للمحکم

فهذا الفعال وبأمر من النبي ﷺ إنما يدلُّ على أن الخطاب كلُّه كان لأجل إبلاغ خلافة الإمام علي عليه السلام بعد رسول الله ﷺ وهذا من القرائن الواضحة على ذلك^(١).

قرينة فهم الخطاب

ومن القرائن على ذلك : ما فهمه المخاطبون من قول رسول الله ﷺ :
(من كنت مولاه فهذا علي مولاه) فقد فهم الناس أن النبي قد عين عليا خليفة وإماماً يوم الغدير بهذا الإعلان .. وإليك بعض التفصيل:

حسان بن ثابت

فمثلاً: حسان بن ثابت استأذن النبي ﷺ بأبيات انشدها بعد استماعه لذلك الخطاب وقال بالمناسبة في ضمن أبياته:

يناديهم يوم الغدير نبئهم بجمٍّ وأسمع بالرسول مناديا
فقال فمسن مولاكم ونبيكم فقالوا ولم يبدوا هناك التعاميا

الحسكاني الحنفي ج ١ / ١٥٨ ح ٢١٣ .

١ - وأيضاً تكرر من عمر بن الخطاب قوله ذلك في حق علي عليه السلام: فقد قيل له أيام حكومته: إنك تصنع لعلي شيئاً لا تصنعه بأحد من أصحاب النبي. فقال عمر: (إنه مولاي الصواعق المحرقة لابن حجر الهيتمي ص ٢٦ وترجمة علي من تاريخ دمشق لابن عسكراج ٢ ص ٨٢ ح ٥٨١ والرياض النضرة لمحب الدين الطبري ج ٢ ص ٢٢٤ والملحق ص ٢١٢). وكذلك يروى أنه اخصم اعرابيان إلى عمر، فالتمس من علي القضاء بينهما، فقال أحدهما: هذا يقضي بيننا؟ فوثب إليه عمر وأخذ بتلابيبه وقال: ما تدري من هذا؟ هذا مولاك ومولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة، ومن لم يكن مولاه فليس بمؤمن (الصواعق المحرقة ص ١٠٧ وذخائر العقبى للطبري ص ٦٨ والناقب للخوارزمي الحنفي ص ٩٨ والرياض النضرة للطبري ج ٢ ص ٢٢٤ والغدير ج ١ ص ٢٨٢).

إلهك مولانا وأنت نبينا ولم تلق منا في الولاية عاصيا
 فقال له قم يا عليُّ فإني رضيتك من بعدي إماماً وهاديا
 فمن كنتُ مولاه فهذا وليُّه فكونوا له أتباع صدقِ مواليا
 ... إلخ^(١).

وبما أن النبي ﷺ مدحه بقوله: (لا تزال يا حسن مؤيداً بروح القدس، ما نصرتنا بلسانك) ولم ينكر عليه ذلك، فهو دليل واضح على أن ما فهمه حسن هو مراد النبي ﷺ.

قيس بن سعد

كذلك ما فهمه قيس بن سعد بن عبادة، سيد النقباء من الأنصار، حيث قال بمحضر الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في شعره

وعليُّ إمامنا وإمامٌ لسوانا أتى به التنزيل
 يوم قال النبي من كنت مولاه فهذا مولاه خطب جليل^(٢)

وقالوا إن قيساً من فصحاء العرب، لا تغيب عنه المعاني المرادة، وأيضاً سكوت أمير المؤمنين عليه السلام عنه إقرار له وتأييد لفهمه الصحيح من واقعة الغدير.

١ - مقتل الإمام الحسيني للخوارزمي ن ١: ٤٧، والمافظ أبو نعيم كما في النور المشتعل: ٥٧، والحموي في فرائد السمطين من طريقين ١: ٧٣، ٧٤، وابن الجوزي في تذكرة الخواص: ٣٣، والكنجي في كفاية الطالب: ٦٤ روي ذلك مع اختلاف في بعض الألفاظ.

٢ - صفحات الازهار للميلاني ج ٨ عن الاستيعاب ج ٣ / ١٢٨٩ .

وحتى العدو فهم ذلك

وهكذا فهمه حتى العدو والحقود على عليّ عليه السلام وهو النعمان بن الحارث الفهري والذي جاء للنبي صلى الله عليه وآله معترضاً عليه تنصيبه علياً خليفة من بعده، فقد ذكر المسكاني في تفسيره ^(١) حديثاً مسنداً الى اهل البيت عليهم السلام قال: لما نَصَبَ رسول الله صلى الله عليه وآله علياً يوم غدير خم فقال: من كنت مولاه فعلي مولاه. طار ذلك في البلاد، فقدم على رسول الله النعمان بن الحرث الفهري فقال: أمرتنا عن الله أن نشهد أن لا إله إلا الله، وأنت رسول الله، وأمرتنا بالجهاد والحج والصلاة والزكاة والصوم فقبلناها منك، ثم لم ترض حتى نصبت هذا الغلام فقلت: من كنت مولاه فهذا مولاه. فهذا شيء منك أو أمر من عند الله؟ قال: أمر من عند الله. قال: الله الذي لا إله إلا هو إن هذا من الله؟ قال: الله الذي لا إله إلا هو إن هذا من الله. قال: فولى النعمان وهو يقول: (اللهم) إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم فرماه الله بحجر على رأسه فقتله فأنزل الله تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ ^(٢).

وعمر بن العاص

وحتى عمرو بن العاص المناوي للإمام علي عليه السلام صرح بان ما أراه

١ - شواهد التنزيل للحاكم المسكاني - ج ٢ - ح رقم ١٠٣٠ وذكر في الغدير ج ١ ص ٢٣٩ مصادر عديدة لذلك منها الحموي في فرائد السطيين في الباب ١٣ وابن الصباغ المالكي في النصول المهمة ص ٢٦ والسهودي الشافعي في جواهر العقدين وغيرهم بكثرة.

النبي ﷺ من واقعة الغدير ومن قوله (من كنت مولاه فعلي مولاه) هو تنصيبه للخلافة ولإمرة المؤمنين، فقد بين ذلك من خلال القصيدة التي بعث بها إلى معاوية لما اختلف معه في شأن خراج وضرائب مصر والتي تسمى بالقصيدة الجملجية يقول في مطلعها:

معاويةُ الحمال لا تجهلِ وعن سبُل الحق لا تعدلِ

إلى أن يقول:

نصرناك من جهلنا يا بن هند	على النبأ الأعظم الأفضّل
وحيث رفعناك فوق الرؤوس	نزلنا إلى أسفل الأسفل
وكم قد سمعنا من المصطفى	وصايا مخصّصة في علي
وفي يوم خمّ رقى منبراً	يبلغُ والركب لم يرحل
وفي كُفّه كُفّه مُعلناً	ينادي بأمر العزيز العلي
ألسّت بكم منكم في النفوس	بأولى؟ فقالوا: بلى فافعل
فأنحله إمرة المؤمنين	من الله مستخلف المنحل
وقال: فمن كنت مولى له	فهذا له اليوم نعم الولي ^(١)

والقصيدة طويلة ونلاحظ تصريحه أن النبي ﷺ قد أنحل علياً عليه السلام

إمرة المؤمنين مستفيداً ذلك من قوله ﷺ: (فمن كنت مولاه فعلي مولاه).

سؤال: لعلّ قائلًا يقول: إن عمرواً وأمثاله لم يتولّوا علياً عليه السلام وما

١ - الغدير الشيخ الأمين - ج ٢ - ص ١١٤ - ١١٨ وقد ذكر العلامة الاميني عن مصادر وقال رحمه الله، توجد منها نسختان في مجموعتين في المكتبة الحديوية بمصر كما في فهرستها المطبوع سنة ١٣٠٧ ج ٤ ص ٣١٤ وروى جملة منها ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ٢ ص ٥٢٢ وقال: رأيتها بخط أبي زكريا يحيى بن علي الخطيب التبريزي المتوفى ٥٠٢ .

انضوا تحت إمامته فكيف خالفوا ما عرفوا؟

الجواب: فنقول: هؤلاء كما قال الله تعالى:

﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾^(١).

أيها القارئ الكريم: نكتفي بهذا المقدار في مجال التحدث عن القرائن اللفظية والحالية التي دلت على أن المراد من كلمة (من كنت مولاه فعلي مولاه) هو من كان النبي ﷺ وليه وقائده فكذلك الإمام علي عليه السلام بعده .

سياق الآية وأهل الكتاب

الإستفسار الثاني:

إنَّ من المحتمل أن لا تكون للآية علاقة بموضوع الخلافة، وذلك لأننا حينما نرجع إلى آية التبليغ نجدها في سياق آيات تتحدث عن أحكام شرعية تتعلق بأهل الكتاب من اليهود والنصارى، إذ نلاحظ الآية توسطت تلك الآيات، حيث تقول الآيات في سورة المائدة: ﴿وَكُوفُوا أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقُوا لَكَفَرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلأَدْخُلَنَاهُمْ جَنَاتِ النَّعِيمِ، وَكَوُفُوا أَنفُسَهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكْلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمَنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ، يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ، قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ

وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١﴾ وهذا السياق بعيد عن موضوع الخلافة والإمامة بل السياق في هذه الآيات يدلُّ على أن الآية أرادت من النبي أن لا يخشى اليهود ولا النصارى بل يستمر في تبليغ رسالته.

تقول في جواب هذا الاستفسار:

أولاً: الآية المباركة حالها حال الكثير من الآيات القرآنية التي لا علاقة لها بما قبلها أو بما بعدها، فمن الواضح أن آيات القرآن الكريم ما رتبت وفق ترتيب نزولها، كما هو الحال في آية التطهير.

ثانياً: إن نزول هذه الآية كان في أواخر عمر النبي ﷺ يعني في وقت كان ﷺ قد بلغ كلَّ أو جُلَّ الأحكام، وأيضاً لا يتناسب كلُّ هذا التأكيد في الآية على تبليغ حكم فرعي من سائر الأحكام، إضافة إلى أن النبي ﷺ كان قد بيّن في ضمن خطاب الغدير انه ما من شيء إلا وقد بلغه، فقد روي عنه قوله ﷺ في ضمن خطاب الغدير:

(معاشر الناس: ما من شيء يُقربكم إلى الجنة ويباعدكم عن النار إلا وقد أمرتكم به، وما من شيء يُقربكم إلى النار ويباعدكم عن الجنة إلا وقد نهيتكم عنه)^(٢) ويعني هذا أنه قد تمَّ تبليغ كلِّ الرسالة قبل ذلك اليوم.

ثالثاً: إذا كانت للآية علاقة بإبلاغ حكم لليهود والنصارى كان مفادها أن النبي ﷺ قد خشيتهم في تبليغ رسالته مع انه ﷺ ما خشيتهم في

١ - سورة المائدة ٦٥ - ٦٨ .

٢ - المحاسن لأحمد بن محمد البرقي ص ٢٧٨ حديث ٣٩٩ ، كما ورد الحديث بهذا المضمون في حجة الوداع، لاحظ: كتاب المهذب للفاضل ابن البراج ج ١ ص ٣٤٣.

بداية دعوته مع قلة أنصاره وأتباعه فكيف يخشاهم اليوم وقد قويت شوكة المسلمين وتضاعفت أعدادهم حتى جاء فاتحاً لمكة بجيش كبير بعدته وعتاده!؟.

رابعاً: ما هو الشيء والحكم البالغ في الأهمية لدى اليهود والنصارى حتى يكون عدم تبليغه يساوي ترك تبليغ جميع الرسالة؟! بحيث قالت الآية ﴿وان لم تفعل فما بلّغت رسالته﴾ !!

في الحقيقة ليس شيء بأكثر أهمية وخطورة من أن تُترك الأمة سدى دون تعيين إمام و خليفة عليهم بعد رحيل نبيهم.

خامساً: وقبل كلّ ذلك .. كيف تُحمل الآية على وجوه أخرى من التفسير والمعاني بعد تواتر الروايات عند فرق المسلمين ومن طرق عديدة على أنها نزلت في يوم الغدير وفي شان علي عليه السلام ^(١)!!!

١ - لقد ذكر المحققون ان هذه الروايات ذكرها الكثيرون من الصحابة، منهم (زيد بن أرقم) و (أبو سعيد الخدري) و(ابن عباس) و(جابر بن عبد الله الأنصاري) و(أبو هريرة) و(البراء بن عازب) و(حذيفة) و(عامر بن ليلي بن ضمرة) و(ابن مسعود) وقالوا: إنها نزلت في علي عليه السلام وبشأن يوم الغدير. بعض هذه الأحاديث نقل بطريق واحد مثل رواية زيد بن أرقم. وبعضها نقل بأحد عشر طريقاً، مثل رواية أبي سعيد الخدري ورواية ابن عباس. وبعضها نقل بثلاثة طرق، مثل رواية البراء بن عازب، أما العلماء الذين أوردوا هذه الروايات في كتبهم فهم كثيرون، من بينهم: الحافظ أبو نعيم الأصفهاني في كتابه (ما نزل من القرآن في علي) (تقلاً عن (الخصائص) الصفحة ٢٩). وأبو الحسن الواحدي النيسابوري في (أسباب النزول) الصفحة ١٥٠. والحافظ أبو سعيد السجستاني في كتابه (الولاية) (تقلاً عن كتاب (الطرائف)). وابن عساكر الشافعي (انظر (الدر المنثور) المجلد ٣ من الصفحة ٢٩٨). والفخر الرازي في (تفسير الكبير) المجلد ١٣ الصفحة ٦٣٦. وأبو إسحاق الحموي في (فرائد السطيين). وابن الصباغ المالكي في (الفضول المهمة) الصفحة ٢٧. وجلال الدين السيوطي في (الدر المنثور) المجلد ٣ الصفحة ٢٩٨. والقاضي الشوكاني في (فتح القدير) المجلد ٣ الصفحة ٥٧. وشهاب الدين الألوسي الشافعي في (روح المعاني) المجلد ٦ الصفحة ١٧٢. والشيخ

هل للآية سبب نزول آخر؟

الاستفسار الثالث:

تَمَّا ذُكِرَ فِي شَأْنِ نَزْوِلِ الْآيَةِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ قَدْ اسْتَنْظَلَ بِظِلِّ شَجَرَةٍ وَنَامَ تَحْتَهَا وَقَدْ عَلَّقَ سَيْفَهُ عَلَيْهَا، فَجَاءَهُ رَجُلٌ مِنَ الْأَعْدَاءِ فَأَخَذَ سَيْفَهُ ثُمَّ أَيْقَظَ النَّبِيَّ وَقَالَ يَا مُحَمَّدُ مَنْ يَنْقِذُكَ مِنِّي اللَّيْلَةَ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ اللَّهُ. وَفَعَلًا أَنْقَذَهُ اللَّهُ، فَنَزَلَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ يَعِصَمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾. كَمَا إِنَّ هُنَاكَ أَقْوَالَ أُخْرَى فِي الْآيَةِ؟

الجواب: ما ذُكِرَ مِنْ أَقْوَالِ أُخْرَى فِي الْآيَةِ مَعْرُوفَةٌ بِالضَّعْفِ عِنْدَ الْمَفْسِّرِينَ حَتَّى أَنْ مَنْ ذَكَرَهَا نَسَبَهَا إِلَى الْقَوْلِ الضَّعِيفِ فَقَالَ قَيْلٌ كَذَا وَقِيلَ كَذَا وَمِنْهُمْ الرَّازِيُّ وَالطَّبْرِيُّ، وَقَدْ قَالَ الْعَلَامَةُ الْأَمِينِيُّ فِي الْغَدِيرِ مَعْلُقًا عَلَى ذَلِكَ: وَأَمَّا مَا حَسَدَهُ الرَّازِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ مِنَ الْوُجُوهِ الْعَشْرَةِ ^(١) وَجَعَلَ نَصًّا

سليمان القندوزي الحنفي في (يتابع المودة) الصفحة ١٢٠. ويدر الدين الحنفي في (عمدة القارئ في شرح صحيح البخاري) المجلد ٨، الصفحة ٥٨٤. والشيخ محمد عبده المصري في تفسير (المنار) المجلد ١٦ الصفحة ٤٦٣. والحافظ ابن مردويه (المتوفى سنة ٤١٦) (عن السيوطي في الدر المنثور).

- ١ - الرزازي في تفسيره ج ٣ ص ٦٣٥ ذكر وجوها عشرة وهي ١ - نزلت في قصة الرجم والقصاص في قصة اليهود ٢ - نزلت في عيب اليهود واستهزائهم بالدين ٣ - لما نزلت آية التخيير وهي قوله (يا أيها النبي قل لأزواجك الآية) فلم يعرفها عليهن خوفا من اختيارهن الدنيا ٤ - نزلت في أمر زيد وزينب ٥ - نزلت في الجهاد فإنه كان يمسك أحيانا عن حث المناقنين على الجهاد ٦ - لما سكت النبي عن عيب آلهة التثويين فنزلت ٧ - لما قال في حجة الوداع بعد بيان الشرايع والتللك: هل بلغت؟ قالوا: نعم قال: اللهم فاشهد فنزلت الآية ٨ - نزلت في أعرابي أراد قتله وهو نائم تحت شجرة ٩ - كان بهاب قریش واليهود والنصارى فأزال الله عن قلبه تلك الهيبة بالآية ١٠ - نزلت في قصة الغدير هذه ملخص الوجوه التي ذكرها.

الغدِير عاشرها، وقصة الأعرابي المذكور في تفسير الطبري ثامنها، وهيبة قريش مع زيادة اليهود والنصارى تاسعها، وقد عرفت حق القول فيهما، فهي مراسيل مقطوعة عن الإسناد غير معلومة القائل، ولذا عزي جميعها في تفسير نظام الدين النيسابوري إلى القليل، وجعل ما روي في نص الولاية أول الوجوه، وأسنده إلى ابن عباس والبراء ابن عازب وأبي سعيد الخدري ومحمد بن علي عليه السلام. والطبري الذي هو أقدم وأعرف بهذه الشؤون أهلها رأسا، وهو وإن لم يذكر حديث الولاية أيضاً لكنه أفرد له كتابا أخرجه فيه بنيف وسبعين طريقا كما سبق ذكره وذكر من عزاه إليه في هذا الكتاب، وروى هناك نزول الآية عندئذ بإسناده عن زيد بن أرقم ^(١).

هذا .. وقد ذكرت قصة الأعرابي والنبي ﷺ تحت الشجرة في آية أخرى وهي قوله تعالى: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخَذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾ ^(٢) فذكروا أن النبي ﷺ كان في غزوة بني أنمار فهزمهم وسبى ذريتهم فلما رجعوا أصابهم المطر فزلوا وادياً تحت الأشجار فوضع النبي سلاحه وذهب إلى الجانب الآخر من الوادي وحده فجاء السيل فحال بينه وبين أصحابه وكان بعض المشركين على الجبل فرآه حين حال السيل بينه وبين أصحابه فجاءه واحد منهم يقال له : حويرث بن الحارث وقال أنا أقتله فأتاه وقال يا محمد من يمنعك مني ؟ فقال: الله تعالى يمنعني

١ - الغدير للشيخ الأميني - ج ١ - ص ٢٢٥ - ٢٢٦.

٢ - النساء/١٠٢.

منك، فسل سيفه وأراد أن يضربه فدفع النبي ﷺ الكافر في صدره دفعة فسقط السيف من يده فوثب رسول الله ﷺ وأخذ سيفه وقال : من يخلّصك مني؟ فقال : لا أحد، فقال له : إن أسلمت أردُّ عليك سيفك ، فقال : لا أسلم ولكن أعاهد الله تعالى ألا أكون عليك ولا لك أبداً ، فردَّ عليه سيفه ، فقال الرجل : يا محمد أنت خير مني لأنك قدّرت على قتلي فلم تقتلني، فرجع الكافر إلى أصحابه فأخبرهم بالقصة فأمن بعضهم ، ثم انقطع السيل وجاء النبي ﷺ إلى أصحابه وأخبرهم بالقصة^(١).

ولاشك أن المتبصّر في دينه لا يترك الروايات المتواترة ويتمسك بالضعيف منها، لاسيما روايات الغدير والتي لشهرتها وقوتها عاب الألباني في كتابه : (الأحاديث الصحيحة) شيخه ابن تيمية إلا أنه أيضاً لم يتحمّل العمل بالحق فغيّر المعنى عن منحاہ الحقيقي حيث قال بعد أن صحّ الحديث عنده (من كنت مولاه فهذا علي مولاه) قال: إذا عرفت هذا فقد كان الدافع لتحرير الكلام على الحديث وبيان ضحته أنني رأيت شيخ الإسلام ابن تيمية قد ضعّف الشطر الأول من الحديث، وأمّا الشطر الآخر فزعم أنه كذب ! وهذا من مبالغاته الناتجة في تقديري من تسرّعه في تضعيف الأحاديث قبل أن يجمع طرقها، ويُدقّق النظر فيها !! والله المستعان. أمّا ما يذكره الشيعة في هذا الحديث وغيره أن النبي ﷺ قال في علي (رض): إنه خيلفتي من بعدي، فلا يصحّ بوجه من الوجوه، بل هو من أباطيلهم الكثيرة التي دلّ الواقع التاريخي على كذبها، لأنه لو فرض أن النبي قاله لوقع كما قال لأنه (وحي يوحى) والله سبحانه لا يخلف وعده.^{١٣١}

١ - تفسير السمرقندي لأبي الليث السمرقندي - ج ١ - ص ٢٥٩.

٢ - الاحاديث الصحيحة للألباني ج ٥ ص ٣٣ حديث ١٧٥٠.

ونرى الجهل أو التجاهل في الاستدلال بأنه لو كان النبي ﷺ قال بخلافة علي عليه السلام كان لا بد أن يتحقق ذلك لان كلامه من الوحي، والحال أن النبي ﷺ يُبَيِّن حكماً أساسياً في الدين الإسلامي وأصلاً من أصوله التشريعية ولم يُبَيِّن حقيقة غيبية مستقبلية حتى يلزم وقوعها حتماً، فالفرق واضح بين الأمور التشريعية والقضايا الغيبية والتكوينية. فإعلانه ذلك شبيهه بأمره تجهيز جيش أسامة حين مرضه ﷺ وشبيهه بأمره الجنود بالثبات على الجبل يوم أحد، وتخاذل الناس عن نصرته لعلي عليه السلام شبيهه بمعصية البعض للنبي حينما تخلف عن جيش أسامة أو فرّ في قتال مع النبي أو أمثال ذلك، هذا.. والإمامة بفهومها الواسع هي لأمر المؤمنين عليه السلام سواء قام أم قد وحكم أم أصبح جليس الدار.

هل يعقل تغافل المسلمين عن موضوع الغدير؟

الاستفسار الرابع:

مما يستغربه الكثير ويتساءل عنه هو انه كيف يُمكن قبول هذا القول بان يكون النبي ﷺ قد أعلن للملأ وبهذه الصراحة عن استخلافه علياً عليه السلام إماماً من بعده على الأمة وذلك قبل رحيله عنهم بسبعين يوماً تقريباً فكيف يمكن هؤلاء الناس أن يسكتوا ولا يحركوا ساكناً أمام المتقلبين على خليفة النبي ﷺ ويؤخذوا له حقه ويحافظوا على وصية نبيهم صلوات الله عليه وآله ؟

يجاب على هذا الاستفسار من جهات عديدة:

استنكار الصحابة لذلك الانقلاب

أولاً: لقد استنكر الكثير من الصحابة على ما حدث بعد وفاة النبي ﷺ وما وقع من إقصاء أمير المؤمنين علي عليه السلام عن الخلافة، ورفضوا البيعة لأبي بكر واجتمعوا في دار الإمام علي عليه السلام إلى أن حدث ما حدث من قضية الهجوم على بيت علي وفاطمة عليهم السلام حتى أسقطت السيدة الزهراء جنينها المحسن، وقد بينت عليه السلام لנסاء المهاجرين والأنصار إقصاء القوم لبعها وما سيتمخض من ذلك الانحراف وقالت فيما قالت لهم:

(...ويحهم! أنى زعزعوها (أو زحزحوها) عن رواسي الرسالة، وقواعد النبوة والدلالة، ومهبط الروح الأمين، والطبين (أي الخبير) بأمور الدنيا والدين؟! ألا ذلك هو الخسران المبين! وما الذي تقموا من أبي الحسن عليه السلام؟! تقموا والله منه تكبير سيفه، وقلته مبالاته لحفته، وشدة وطأته، ونكال وقعته، وتنمره في ذات الله وتالله لو مالوا عن المحجة اللايحة، وزالوا عن قبول المحجة الواضحة، لردّهم إليها، وحملهم عليها ولسار بهم سيراً سجعاً لا يكلم حشاشه.. إلى أن قالت عليه السلام: (ويحهم!) ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾؟! أما لعمرى لقد لقحت، فنظرة ريشما تنتج، ثم احتلبوا ملاء القعب (أي القدح) دماً عبيطاً وزعافاً مبيداً، هنالك يخسر المبطلون، ويعرف التالون غبّ (أي عاقبة) ما أسس الأوّلون.. إلى آخر خطابها عليه السلام^(١).

١- في شرح النهج لابن أبي الحديد ج - ١٦ - ص ٢١٠ والاحتجاج - الشيخ الطبرسي ج - ١ - ص

كما بين أمير المؤمنين عليه السلام انقلابهم ذلك وتمصصهم للخلافة، وذلك في الخطبة الشقشقية في نهج البلاغة حيث قال عليه السلام: (أما والله لقد تمصصها فلان - أي أبو بكر - وإنه ليعلم أن محلي منها محل القطب من الرحي، ينحدر عني السيل ولا يرقى إلي الطير، فسدت دونها ثوباً، وطويت عنها كشحاً، وطفقت أرتأي بين أن أصول بيد جذاء، أو أصبر على طخية عمياء، يهرم فيها الكبير، ويشيب فيها الصغير، ويكدح فيها مؤمن حتى يلتقى ربه، فرأيت أن الصبر على هاتا أحجى، فصبرت وفي العين قذى، وفي الحلق شجاً، أرى تراثي نهياً، حتى مضى الأول لسبيله، فأدلى بها إلى فلان بعده، ثم تمثّل بقول الأعشى :

شْتَان ما يومي على كورها ويوم حيان أخي جابر

فيا عجباً! بينما هو يستقبلها في حياته، إذ عقدها لآخر بعد وفاته، لشد ما تشطراً ضرعيها^(١)..).

١ - (نهج البلاغة مما جمعه الشريف الرضي عن أمير المؤمنين عليه السلام الخطبة الشقشقية شرح الشيخ محمد عبده وقال في شرح هذا المقطع: (قوله تمصصها فلان: الضمير يرجع إلى الخلافة. وفلان كناية عن الخليفة الأول أبي بكر رضي الله عنه.

ثم قال الشارح:

(١) ينحدر عني السيل.. الخ: تمثيل لسمو قدره كرم الله وجهه وقربه من مهبط الوحي وأن ما يصل إلى غيره من فيض الفضل فإنما يتدفق من حوضه ثم ينحدر عن مقامه العالي فيصيب منه من شله الله وعلى ذلك قوله ولا يرقى الخ غير أن الثانية أبلغ من الأولى في الدلالة على الرفعة.

(٢) فسدت الخ: كناية عن غض نظره عنها. وسدل الثوب أرخاه. وطوى عنها كشحاً مال عنها. وهو مثل لأن من جاع فقد طوى كشحه ومن شبع فقد ملأه فهو قد جاع عن الخلافة أي ما لم يلتقمها.

(٣) وطفقت الخ: بيان لعلّة الإغضاء. والجذاء بالجيم والذال المعجمة والذال المهملة، وبالهاء المهملة

والذي يرجع إلى التاريخ وما فيه من الحقائق التي عثم عليها يجد الكثير من هذه الاستنكارات والاحتجاجات التي كان يُدلى بها هنا وهناك.

مع الذال المعجمة بمعنى المقطوعة ويقولون رحم جزاء أي لم توصل وسن جزاء أي متهمة، والمراد هنا ليس ما يؤيدها كأنه قال تفكرت في الأمر فوجدت الصبر أولى فسدلت دونها ثوبا وطويت عنها كشحا .

(٤) طخية: بظاء فحذاء بعدها ياء ويثنت أولها أي ظلمة، ونسبة العمى إليها مجاز عقلي، وإنما يعنى القائلون فيها إذ لا يهتدون إلى الحق وهو تأكيد لظلام الحال واسودادها.

(٥) يكدح: يسعى سعى المجهود.

(٦) أحجى: ألزم من حجى به كرضي أولع به ولزمه ومنه هو حجى بكذا أي جدير وما أحجاء، وأحج به أي أخلق به، وأصله من الحجا بمعنى العقل فهو أحجى أي أقرب إلى العقل، وهاتا بمعنى هذه أي رأى الصبر على هذه الحالة التي وصفها أولى بالعقل من الصولة بلا نصير.

(٧) الشجا: ما اعترض في الحلق من عظم ونحوه، والتراث الميراث.

(٨) أدلى بها: ألقى بها إليه.

(٩) الكور: بالضم، الرحل أو هو مع أداته، والضمير راجع إلى الناقة المذكورة في الأبيات قبل في قوله.

وقد أسلى الهمم إذ يعتري بحجرة دوسرة عاقر والجسر العظيم من الإبل والدوسرة الناقة الضخمة، وحيان كان سيديا في بني حنيفة مطاعا فيهم وكان ذا حظوة عند ملوك فارس وسله نعمة واسعة ورفاهية وافرة وكان الأعشى ينادمه، والأعشى هذا هو الأعشى الكبير أعشى قيس وهو أبو بصير ميمون ابن قيس بن جندل، وأول القصيدة:

علمم ما أنت إلى عامر الناقض الأوتار والوتر

وجابر أخو حيان أصغر منه

ومعنى البيت أن فرقا بعيدا بين يومه في سفره وهو على كور ناقته وبين يوم حيان في رفاهيته فإن

الأول كثير العناء شديد الشقاء والثاني وافر النعيم وفي الراحة ويتلو هذا البيت أبيات منها:

في مجمدل شبيد بنديانه يزل عنه ظفر الطائر

ما يجعل الجمد الظنون الذي جنب صوب اللجب الماطر

مثل الفراقي إذا ما طما ينفذ بالبوصى والماهر

(الشرح للشيخ محمد عبده)

من استنكارات أمير المؤمنين عليه السلام

ومن ذلك استدلال أمير المؤمنين عليه السلام بواقعة الغدير حينما قدّمه عمر بن الخطاب مع خمسة آخرين في مسرحية الشورى للخلافة من بعده حيث خاطبهم الإمام عليه السلام قائلاً: (.. فأنتدكم بالله هل فيكم احد قال له رسول الله صلى الله عليه وآله من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم والي من والاه وعاد ومن عاداه.. غيري؟ قالوا اللهم لا^(١)).

كما ذكر الإمام عليه السلام ذلك يوم الرحبة في العراق حيث قال: (أنشد الله كلّ امرئ مسلم سمع رسول الله صلى الله عليه وآله يقول يوم غدير خمّ ما سمع لما قام، فقام ثلاثون من الناس منهم اثنا عشر بدرياً ثمن حضروا في معركة بدر وقالوا نشهد أنا سمعنا رسول الله صلى الله عليه وآله يقول يوم غدير خم ألسنتُ أولى بالمؤمنين من أنفسهم فقلنا بلى يا رسول الله قال فمن كنت مولاه فعلي مولاه)^(٢).

كذلك استدللّ الإمام بحديث الغدير في كلامه مع طلحة يوم خروجه عليه في واقعة الجمل كما ذكر ذلك في التاريخ^(٣).

وقد ذكر العلامة الاميني في الغدير في الجزء الأول استدلال الكثير من الصحابة والتابعين بحديث الغدير في محاججاتهم في ولاية أمير المؤمنين عليه السلام.

١ - المناقب للخازمي الحنفي ص ٢١٧ وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٢ ص ٦١.

٢ - مسند الإمام احمد ج ٤ ص ٢٧٠.

٣ - مروج الذهب للمسعودي ج ٢ ص ١١ والحاكم في المستدرک ج ٣ ص ٣٧١.

لا غرابة في الانقلاب

ثانياً: ليس هناك أي استغراب من أن تنقلب جماعة تطمع بالخلافة بعد النبي ﷺ، وكيف يستغرب ذلك والقرآن يقول: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾^(١)، فإن ذلك أمر ممكن ومحتمل الحصول وليس بأمر مستحيل، بل هو أمر متوقع من جماعة طالما تحسّسوا من مواقف النبي ﷺ ذات العناية الخاصة بعلي عليه السلام فقد زوّجه ابنته ولم يزوّجهم، وترك باب حجرته مفتوحاً على المسجد وسدّ أبوابهم، وأعطاه رأيته في الغزوات، وأمره عليهم في السريّات، ولم يؤمّر أحداً منهم عليه، فضلاً عن أنه قد قتل أشاوسهم قبل أن يُسلم هؤلاء، ثم إنهم قد تَمَرّدوا على النبي ﷺ في حياته ورفضوا بعض مواقفه فامتعضوا من صلحه ولم يخرجوا مع جيش أسامة، وقد أمرهم بذلك، ولا سمعوا له ولا أطاعوه لما أمرهم أن يأتوه بدواة وكتف ليكتب لهم كتاباً لا يضلّوا بعده أبداً، فكيف يستبعد أن ينقلبوا بعد حياته؟!.

نعم هؤلاء كبار القوم ووجهائهم، وأمّا سائر الناس ففي الحقيقة أن الأعمّ الأغلب منهم لا علاقة له بأمر الخلافة والقيادة بل غالباً ينتظرون من يتصدّى للحكم من الأشخاص المحيطين بالقائد الراحل، فيسلموا له طمعاً في الرغبات أو خوفاً من السطوات، وهذه شعوبنا اليوم وقبل اليوم نراها على هذا المنوال، فإنما الأمر يُدبّر بليل ومن وراء الستار ويحيكه جماعة خاصة،

وغالب الأحيان هم من أولئك الحواشي الذين كانوا ينتظرون رحيل قائدهم ليحلوا لهم الترتيع على العرش، ويحسن الناس البسطاء الظن - عادةً، أو تمن لا حول لهم ولا قوة - بهؤلاء القادة الجدد، أو إنهم يعرفون الواقع ولكن لهم هوماً أخرى تجعلهم على مسافة وبعزل عما يجري.

وعلى أي حال .. ليس عليهم إلا أن يعلنوا تأييدهم وبياركوا لقادتهم الجدد، أو على الأقل لا يبدوا أي معارضة لذلك، وهذه دولنا وهذه شعوبنا وهذا هو ديدنهم وديدننا في التصفيق وإطلاق الشعارات للحاكم الجديد، فإن كان الأمر ملوكيةً فالأمر واضح، وإن كان - كما يزعم - ديمقراطية واستشارية فتظل بانتخابات صورية، أو تحاط بطروف تأخذ الناخب إلى ما يريده الحاكم أو حزبه، فنجد بعض الحكام إذا ترتع على العرش لا يدعه لغيره أبداً ويبقى متربعاً عليه عشر وعشرين وثلاثين بل بعضهم أربعين سنة وإذا اشرف على الموت مهّد لابنه ولحزبه، ومع كل ذلك نسمي أنفسنا بالشعوب الحرة ونسمي دولنا بالدول الديمقراطية ومع كل هذه الثقافات والجامعات والتطورات التي تحدث نرضى لشعوبنا سكوتها ثم نستغرب من أمة حديثة عهد على الحرية والكرامة وغالبها يجهل الأمور أو يضعف عن المطالبة بالحق بل يعيش سلطنة منهجيتها ومنطقها (الخليفة هذا ومن أبي فهذا أي السيف) نستغرب منها رضاها أو سكوتها عما جرى من إقصاء الإمام من جماعة يفترض أنهم من المقربين من مجلس النبي ﷺ!!! فهذا أمر ممكن..

إضافة إلى أن هناك أيضاً المعترضون ممن دوتهم التاريخ مثل مالك بن نويرة وغيره، ومن يدري فلعل الكثير الكثير ممن قد اعترض على ذلك

الانقلاب لكن التاريخ الذي كتبه السلطة وأبناؤها وأحزابها لم تدون ذلك .
 نعم، لا ينبغي أن نستغرب هذا الذي حدث بعد أن بين النبي ﷺ من
 انه سيجري على هذه الأمة ما جرى على بني إسرائيل من أمة موسى
 وعيسى ﷺ من القتل وتعدد الفرق ^(١)، ونحن نعلم أن أصحاب موسى ﷺ
 لم ينقلبوا على موسى ﷺ وأخيه هارون فحسب بل انقلبوا على ربّ
 موسى وربهم ، فعبدوا العجل لمجرد أن غاب عنهم نبيهم ولم يمّت بعد، فكيف
 يستغرب من هؤلاء الذين حذوا حذو أولئك أن ينقلبوا على خليفة
 نبيهم ^(٢)!!!

١ - مسألتان في النص على علي ﷺ - الشيخ المفيد - ج ٢ - ص ٢٩ - ٣٢ - قال رسول الله ﷺ:
 (لتبعن سنن من كان قبلكم حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة حتى لو أن أحدهم دخل جحر ضب
 لدخلتموه ! قالوا: فاليهود والنصارى يا رسول الله ؟ قال: فمن إذن ؟ !). وقال ﷺ: (- ستفترق
 أمتي ثلاثة وسبعين فرقة، واحدة منها ناجية وثنان وسبعون في النار).

٢ - قال الدكتور التيجاني في ردّ هذا الاستفسار: أولاً - لم يكن يسكن المدينة المنورة كل من حضر
 بيعة الغدير وإنما كان كما هو المفروض وعلى أكبر تقدير ثلاثة أو أربعة آلاف منهم يسكنون
 المدينة، وإذا عرفنا أن هؤلاء فيهم الكثير من الموالى والعبيد والمستضعفين الذين قدموا على رسول
 الله ﷺ من مناطق عديدة وليس لهم في المدينة قبيلة ولا عشيرة أمثال أهل الصفة، فلا يبقى معنا إلا
 نصفهم يعني ألفين فقط وحتى هؤلاء فهم خاضعون لرؤساء القبيلة ونظام العشيرة التي ينتمون إليها،
 وقد أقرهم رسول الله ﷺ على ذلك فكان إذا قدم عليه وفد ولي عليهم زعيمهم وسيدهم،
 ولذلك وجدنا اصطلاحاً على تسميتهم في الإسلام بأهل الحبل والعقد. وإذا ما نظرنا إلى مؤقر
 السقيفة الذي انعقد عند وفاة الرسول مباشرة وجدنا أن الحاضرين الذين اتخذوا قرار اختيار أبي
 بكر خليفة لا يزيد على مائة شخص على أكثر تقدير لأنه لم يحضر من الأنصار وهم أهل المدينة
 إلا أسيادهم وزعمائهم، كما لم يحضر من المهاجرين وهم أهل مكة الذين هاجروا مع الرسول
 ﷺ إلا ثلاثة أو أربعة أشخاص يمثلون قريش ويكفي دليلاً أن ننصّر ما هو حجم السقيفة

فكلنا يعرف ما هي السقيفة التي ما كانت تخلو منها أي دار فليست هي قاعة الحفلات ولا قصر المؤتمرات، فإذا ما قلنا بحضور مائة شخص في سقيفة بني ساعدة فذلك مبالغة منا حتى يفهم الباحث بأن المائة ألف لم يكونوا حاضرين ولا سمعوا حتى ما دار في السقيفة إلا بعد زمن بعيد فلم تكن هناك مواصلات جوية ولا هواتف لا سلكية ولا أقمار صناعية. وبعد اتفاق هؤلاء الزعماء على تعيين أبي بكر ورغم معارضة سيد الأنصار سعد بن عبادَةَ زعيم الخزرج وابنه قيس، إلا أن الأغلبية الساحقة (كما يقال اليوم) أبرمت العقد و تصافقت عليه في حين كان أغلب المسلمين غائبين عن السقيفة وكان بعضهم مشغولاً بتجهيز الرسول ﷺ أو مذهولاً بحجر موته وقد أروعهم عمر بن الخطاب وخوفهم إن قالوا بجوته . أضف إلى ذلك أن أغلب الصحابة عابأهم رسول الله ﷺ في جيش أسامة وأكثرتهم كانوا معسكرين بالجرف ولم يحضروا وفاة النبي ﷺ ولا حضروا مؤتمر السقيفة. فهل يعقل بعد هذا الذي وقع أن يعارض أفراد القبيلة أو العشيرة زعيمهم فيما أبرمه لاسيما وأن في ما أبرمه الفضل العميم والشرف الكبير الذي تسعى إليه كل قبيلة منهم، ومن يدري لعله يلحقهم في يوم من الأيام شرف الرئاسة على كل المسلمين، ما دام صاحبها الشرعي قد أبعده وأصبح الأمر شوري يتداولونه بينهم بالتناوب، فكيف لا يفرحون بذلك وكيف لا يؤيدونه ؟ ثانيا - إذا كان أهل الحل والعقد من سكان المدينة قد أبرموا أمرا فليس المقاصين المبيدين من أطراف الجزيرة أن يعارضوا، وهم لا يدرون ما يدور في غيايهم فوسائل النقل في ذلك العهد كانت بدائية، ثم أنهم يمحورون بأن سكان المدينة يعيشون مع رسول الله فهم أعلم بما يستجد من أحكام قد ينزل بها الوحي في أي ساعة وفي أي يوم. ثم بعد ذلك ما يهم رئيس القبيلة البعيد عن العاصمة من أمر الخلافة شيئا فبالنسبة إليه سواء أكان أبو بكر خليفة أو علي أو أي شخص آخر، فأهل مكة أدرى بشعابها والمهم عنده هو بقاؤها على رئاسة عشيرته ولا يتنازع فيها أحد. ومن يدري لعل البعض منهم تساءل عن الأمر وأراد أن يستطلع الخبر غير أن أجهزة الحكم أسكتته سواء بالترغيب أو بالترهيب، ولعل في قصة مالك بن نويرة الذي امتنع عن دفع الزكاة إلى أبي بكر ما يؤكد حصول ذلك. والمتبع لتلك الأحداث التي وقعت في حرب مانعي الزكاة أيام أبي بكر يجد كثيراً من التناقضات ولا يقتنع بما أورده بعض المؤرخين للمحافظ على كرامة الصحابة ولاسيما الحاكمين منهم. ثالثاً - عنصر المفاجأة في القضية لعب دوراً كبيراً في قبول ما يسمى اليوم " بالأمر الواقع " فلقد عقد مؤتمر السقيفة على حين غفلة من الصحابة الذين شغلوا بالرسول ﷺ ومن هؤلاء الإمام علي و العباس و سائر بني هاشم و المقداد و سلمان و أبي

ثالثاً: لو أراد من أراد أن يحسن الظن بالقوم الذين أقصوا الإمام عن الخلافة واخذوا الأمة إلى منحى آخر فربما قالوا في توجيهه وتبرير ذلك: إن القوم قد اجتهدوا بالأمر وظنوا أن الواجب عليهم أن يطيعوا النبي ﷺ في الأمور العبادية كالصلاة والصيام والحج وما شابهه ، وأمّا الأمور السياسية وقضايا الحياة الأخرى فلهم رأيهم الخاص ولهم اجتهادهم في ذلك، وربما يقال: وكنموذج من ذلك: اعتراضهم على النبي في صلح الحديبية ، وهكذا تحلفهم عن تجهيز جيش أسامة بن زيد وقد أمرهم النبي ﷺ بالالتحاق بجيشه ، ومن ذلك أيضاً أنهم رأوا من الحكمة أن يتركوا علياً عليه السلام ويأتمروا لغيره وإن كان النبي قد أمرهم باتّباعه واتّخاذة إماماً لهم. فهذا منهم اجتهاد يؤجرون عليه إن اخطأوا أم أصابوا!! .

قد يحلو للبعض أن يبرّر ذلك بهذا التبرير وهذا المقال..

ولكن يقال: لاشكّ ولا ريب في أنهم ما كان يجوز لهم أن يجتهدوا بعد

تعيين النبي ﷺ - الذي لا ينطق عن الهوى - الإمام علياً إماماً عليهم ، لأن

ذر وعمار والزبير وغير هؤلاء كثير ولما خرج أصحاب السقيفة يزفون أبا بكر إلى المسجد داعين إلى البيعة العامة والناس يقبلون. على البيعة أفواجا وزرافات طوعا وكرها، لم يكن علي واتباعه قد غرّفوا بعد من واجبه المقتس الذي فرضته عليهم أخلاقهم السامية فلا يمكن لهم أن يتركوا رسول الله ﷺ بدون تغسيل وتكفين وتجهيز ودفن ويتسارعوا إلى السقيفة ليتنازعوا حول الخلافة. وما إن فرغوا من واجبهم حتى استتب الأمر لأبي بكر وبات من يتخلف عن بيعته معدودا من أصحاب الفتنة الذي يشق عصا المسلمين فيجب على المسلمين مقاومته أو حتى قتله إن لزم الأمر. ولذلك نرى عمر قد هدد سعد بن عبادَةَ بالقتل لما امتنع عن بيعته أبي بكر وقال اقتلوه إنّه صاحب فتنة وهدد بعد ذلك المتخلفين في بيت علي بمحرق الدار ومن فيها (لاكون مع الصادقين - الدكتور محمد التيجاني - ص ٨٤).

هذا من باب الاجتهاد في مقابل النص ، وهو حرام قطعاً ، هذا أولاً .
ثانياً: على فرض اجتهادهم غير المتعمد في مخالفة النبي ﷺ فأيضاً لا شك ولا ريب أنهم اخطأوا بهذا الاجتهاد ولم يصيبوا لأنهم تقدموا على من هو اعلم وأقضى وأشجع واعرف منهم ، باعترافهم بذلك، فقد سدوا باب علم النبي عليهم وردوا قضاءه ورفضوا كتاب الله تعالى فيه وجرؤوا على الأمة وأجياها الويلات الويلات إلى هذا اليوم .

وثالثاً : بعدما جرى و جرى ووقع ما وقع .. فلماذا نحن المسلمين - وقد وقفنا اليوم على هذه الحقائق ووصل إلينا ما وصل من الدلائل الواضحة والقرائن الجلية - لازلنا نرفض ولاية أمير المؤمنين عليه السلام وندع إمامته ولا نأخذ مما نقله إلينا من علم النبي ﷺ من أحاديث وسنن وروايات قالها هو أو أولاده أو أولاد رسول الله ﷺ أئمة أهل البيت عليه السلام؟؟
لماذا لا نأخذ ديننا وأحكام صلاتنا وصومنا وحجنا وسائر عبادتنا من رسول الله ﷺ عن طريق أهل بيته الطاهرين!!!

لماذا نرجع إلى الذين انقلبوا على النبي وآله ونجعلهم أئمتنا وطريقنا إلى الإسلام؟! فهل أنصفنا النبي بذلك وهل عملنا بالحق!!!؟

أيها القارئ الكريم: لقد عرفت من مجموع ما سبق أن الإمام أمير المؤمنين علياً عليه السلام هو خليفة رسول الله بالحق، وأن النبي نصَّ عليه بالخلافة، وأقامه مقامه، وأرشد المسلمين إليه. فماذا بعد الحق إلا الضلال؟!
فإياك إياك أن ترفض الحق بدافع العصبية الشيطانية . إياك أن تستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير . إياك .. إياك ..

اللهم أرنا الحق حقاً وفتبعه والباطل باطلاً فنجتنبه..والحمد لله رب العالمين.

الفصل الخامس

آية إكمال الدين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْيَوْمَ يَتَسَّأَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوهُمْ وَاخْشَوْنَ الْيَوْمَ
أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^(١)

هذا المقطع من الآية الثالثة من سورة المائدة أُستدلَّ به على ولاية أمير المؤمنين علي عليه السلام، وعُرفت الآية بآية إكمال الدين بسبب هذا المقطع منها وعلى هذا الأساس تُعدُّ هذه الآية المباركة من آيات الإمامة لأمر المؤمنين عليه السلام.

الاستدلال بالآية

وجاء الاستدلال بها بناءً على أمرين:

الأول: لا بد من إمام معصوم

وهو ما لزم من الآية عقلاً بوجود الإمام المعصوم بعد النبي صلى الله عليه وآله. وذلك لأن مقتضى إكمال الدين وإتمام النعمة هو أن الدين قد أجاب على كل سؤال يُطرح إلى يوم القيامة، لأن لكل قضية حكماً دينياً. فلا بد أن يكون بعد رسول

الله ﷻ إمام عالم بجميع أحكام الدين، ويجب على كل سؤال يُستحدث بعد ذلك، ومما لا شك فيه أن هذا الأمر لا يستطيع أن يؤديه إنسان عادي، بأن يعلم جميع أحكام الشريعة بجزئياتها ودقائقها وكثرتها إلا أن يكون مؤيداً بعلم رباني، وذلك هو الشخص المعصوم. فلو لم يكن المعصوم موجوداً بعد النبي لم يكن قد تمَّ الدين بعد، ويكون القرآن - حاشاه - قد أعلن تمامية الدين جزافاً.

وقد أشار الإمام الصادق عليه السلام إلى هذا المعنى: فقد روي عن حماد بن أبي أسامة قال: كنتُ عند أبي عبد الله عليه السلام - وعنده رجل من المغيرة - فسُئِلَ عن شيء من السنن فقال: ما من شيء يحتاج إليه ولد آدم إلا وقد خرجت فيه السنَّة من الله ومن رسوله، ولولا ذلك ما احتجَّ.

فقال المغيرة: وبما احتج؟ فقال أبو عبد الله عليه السلام: قوله: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي﴾.. حتى فرغ من الآية، فلو لم يكمل سنَّته وفرائضه وما يحتاج إليه الناس ما احتجَّ به^(١).

وكذلك يقال: إن ممَّا لا شك فيه أن الإمامة وقيادة المسلمين هي من الدين فان كان الله تعالى قد سكت عنها فلم يكن قد كمل الدين بعد، ولكن القرآن أخبرنا أنه قد كُملَ فيلزم أن يكون الله تعالى تعرَّض لبيان حكم الإمامة، وجعل الإمام بعد النبي ﷺ.

دلالة شأن نزول الآية

الثاني: هو شأن نزول الآية وما جاء فيها من الروايات الصحيحة من الفريقين من أنها نزلت في يوم الغدير في الثامن عشر من شهر ذي الحجة

١ - جائر الدرجات للشيخ محمد بن حسن الصفار القمي ص ٥٢٨ وينظر: البحار ٢/١٦٩.

عام حجة الوداع في السنة العاشرة من الهجرة قبيل وفاة رسول الله ﷺ باثنين وثمانين يوماً تقريباً، وقد مضى الحديث عن واقعة الغدير التي نصب فيها رسول الله ﷺ علياً عليه السلام إماماً وخليفة من بعده، فذكرت هذه الروايات أنه بعد عملية التنصيب للإمامة نزل قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ يَكْمَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾.

وقبل مناقشة هذا الاستدلال وبيان بعض استفساراته نقف على بعض الروايات في ذلك عند الفريقين:

الروايات عن طريق أهل البيت عليه السلام

١ - عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: (أمر الله عز وجل) رسوله بولاية علي وأنزل عليه: ﴿إِنَّمَا وَلِيكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ وفرض ولاية أولي الأمر، فلم يدروا ما هي، فأمر الله محمداً ﷺ أن يفسر لهم الولاية، كما فسّر لهم الصلاة والزكاة والصوم والحج، فلما أتاه ذلك من الله، ضاق بذلك صدر رسول الله ﷺ وتخوف أن يرتدوا عن دينهم وأن يكذبوه فضاق صدره وراجع ربّه عز وجل فأوحى الله عز وجل إليه: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ فصَدَعَ بأمر الله (تعالى ذكره) فقام بولاية علي عليه السلام يوم غدیر خم، فنَادَى: الصلاة جامعة، وأمر الناس أن يُبلِّغَ الشاهِدَ الغائب...

وقال أبو جعفر عليه السلام: وكانت الفريضة تنزل بعد الفريضة الأخرى وكانت الولاية آخر الفرائض، فأنزل الله (عزَّ وجل): ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي﴾ قال أبو جعفر عليه السلام: يقول الله (عزَّ وجل): لا أنزل عليكم بعد هذه فريضة، قد أكملت لكم الفرائض^(١).

٢ - ذكر العلامة الأميني في الغدير عن كتاب الخصائص بإسناده عن الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام قالوا: نزلت هذه الآية (يعني آية التبليغ) يوم الغدير. وفيه نزلت: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾.

قال: وقال الصادق عليه السلام: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾ أي: بإقامة حافظه، ﴿وأتممت عليكم نعمتي﴾ أي: بولايتنا، ﴿ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾ أي: تسليم النفس لأمرنا^(٢).

وأما ما روي عند الضريق الآخر:

١ - عن أبي سعيد الخدري قال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله لما دعا الناس إلى علي في غدير خم أمر بما كان تحت الشجرة من الشوك فقمَّ - وذلك يوم الخميس - ثم دعا الناس إلى علي فأخذ بضعه حتى نظر الناس إلى بياض إبطي رسول الله صلى الله عليه وآله ثم لم يفترقوا حتى نزلت هذه الآية: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي﴾ الآية، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: الله أكبر على إكمال الدين وإتمام النعمة ورضى الربُّ برسالتي وبالولاية لعلي من بعدي. ثم قال: من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من

١ - الكافي للشيخ الكليني - ج ١ - ص ٢٨٩.

٢ - الغدير للشيخ الأميني - ١ / ٢٣٤.

عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله^(١).

٢ - ذكر المحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي - المتوفى سنة ٤٦٣هـ - في تاريخه بسند عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: من صام يوم ثمانية عشر من ذي الحجة، كتب الله له صيام ستين شهراً.

ثم قال أبو هريرة: وهو يوم غدیر خم، لما أخذ رسول الله ﷺ بيد علي بن أبي طالب فقال: ألسنت ولي المؤمنين، قالوا: بلى يا رسول الله. قال صلى الله عليه وسلم: من كنت مولاه فعلي مولاه. فقال له عمر بن الخطاب: بخ بخ لك يا ابن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة!! فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾^(٢).

أيها القارئ الكريم هناك أحاديث أخرى في هذا المجال، ومن أراد المزيد فليراجع المصادر التي تفيد القارئ في هذا الباب^(٣).

دلالة الآية من خلال تأملها

هذا ومما يؤيد صحة هذه الروايات أمور نذكرها فيما يلي:

الأول: ما تحمله هذه الآية المباركة في بعض مفرداتها من معان تؤيد

ما نحاول الوقوف عليه.. إليك بعض التفصيل:

١ - شواهد التنزيل - الحاكم الحسكاني ١ / هامش ٢٠١.

٢ - تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٨ / ٢٩٠.

٣ - ينظر الدر المنتور لجلال الدين السيوطي ٢/٢٥٩ ط ١ مصر، وينظر تفسير ابن كثير الشافعي ١٤/٢

ط ١ مصر، وتفسير روح المعاني للألوسي ٦/٥٥ الطبعة المنيرية. ويتابع المودة للقندوزي الحنفي

ص ١١٥ ط اسلامبول، وكتاب سبيل النجاة في تنمة المراجعات للشيخ آل راضي ص ١٨٨.

١. ﴿يُثَسِّسُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾

مما لا شك فيه أن هذا اليأس من الكفار لم يكن إلا لما رأوا من استمرارية رسالة النبي ﷺ حيث عيّن من يقوم مقامه في قيادة المسلمين، فقد كان من الكفار من يترصد بالنبي ﷺ وينتظر زوال دينه أو ملكه، فقد كان يرجو ذلك بموت النبي ﷺ، ولاسيما انه لا عقب له عندهم ولا ولد له من صلبه، فإنهم كانوا يرونه ملكاً وسلطاناً إذا مات مات معه ذكره وانطمست آثاره واندرست سننه وقوانينه، فكانت هذه أمان يرجونها ويأملونها، فلما عيّن النبي ﷺ من يخلفه في قيادة الأمة من جهة ويقوم مقامه في تركيز الشريعة الإسلامية والحفاظ عليها ونشرها من جهة أخرى تحقق بذلك تمام يسهم ولم يبق شيء يأملونه لمحو الدين وأهله والقضاء على رسالة النبي ﷺ من أساسها.

نعم إن هذا اليأس هو ما يناسب القول بتنصيب الخليفة المخلص للدين والذي هو نفس النبي ﷺ بالتعبير القرآني: ﴿أَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾ ولم يكونوا لييأسوا لولا ذلك. فتعبير الآية: ﴿اليوم يثس الذين كفروا﴾ يدل على يوم تعزيز الدين بنصب الخليفة للنبي الصادق الأمين.

٢. ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي﴾

لقد أطلقت الآية القول بالإكمال للدين وبالتمامية للنعمة، فالدين كله أكمل والنعمة كلها تمت. وفرق بين الكمال والتمام فإن الأول يتحقق بحصول الغرض من الشيء على مقدار ما استُحدث منه والثاني التمام يتحقق بتحقيق الغرض وليس وراءه درجة أعلى منه.

وبعبارة أخرى: يطلق الكمال على شيء تتدرج فيه النسبة ويطلق التمامية على شيء تتحقق كل آثاره ولم ينقص منه شيء.

قال العلامة الطباطبائي في تفسير الميزان في عقيب آية الإكمال: قوله تعالى: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾ الإكمال والإتمام متقاربا المعنى، قال الراغب: كمال الشيء حصول ما هو الغرض منه. وقال: تمام الشيء انتهاؤه إلى حد لا يحتاج إلى شيء خارج عنه، والناقص ما يحتاج إلى شيء خارج عنه. ولك أن تحصل على تشخيص معنى اللفظين من طريق آخر، وهو أن آثار الأشياء التي لها آثار على ضربين: فضربٌ منها ما يترتب على الشيء عند وجود جميع أجزائه - إن كانت له أجزاء - بحيث لو فقد شيئاً من أجزائه أو شرائطه لم يترتب عليه ذلك الأمر، كالصوم فإنه يفسد إذا أخلَّ بالإمساك في بعض النهار، ويسمى كون الشيء على هذا الوصف بالتمام، قال تعالى: ﴿ثم أتموا الصيام إلى الليل﴾^(١)، وقال: ﴿وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً﴾^(٢). وضربٌ آخر: الأثر الذي يترتب على الشيء من غير توقف على حصول جميع أجزائه، بل أثر المجموع كمجموع آثار الأجزاء، فكلما وُجد جزء ترتب عليه من الأثر ما هو بحسبه، ولو وُجد الجميع ترتب عليه كلُّ الأثر المطلوب منه، قال تعالى: ﴿فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم تلك عشرة كاملة﴾^(٣) وقال: ﴿ولتكملوا

١ - سورة البقرة الآية ١٨٧.

٢ - سورة الأنعام الآية ١١٥.

٣ - سورة البقرة الآية ١٩٦.

العدة ﴿^(١) فإن هذا العدد يترتب الأثر على بعضه كما يترتب على كَلِّه، ويقال: تمّ لفلان أمره وكمل عقله، ولا يقال: تمّ عقله وكمل أمره. انتهى^(٢).
 لقد استدللّ العلامة بآية: ﴿ثم أتوا الصيام﴾ على أن كلمة التمام تستعمل فيما له أجزاء تتحقق كلُّ أجزاءه وآثاره فإن الصيام لا يتم ولا يقال له صيام ما لم يستوفي كلَّ أجزاء الوقت وشرائطه، واستدلَّ بآية: ﴿عشرة كاملة﴾ على أن الكمال يستعمل فيما يمكن تحقق الغرض لبعض أجزائه فان صيام ثلاثة أيام متحقق بهذه الثلاثة وصيام سبعة أخرى أيضاً متحقق بالسبعة وأحدهما يكمل الآخر فتكون عشرة كاملة فما يهْمنا هنا وما نرمي الوصول إليه من غرض هذه الآية هو توضيح أن إطلاق كلمة (إكمال) يعني إكمال كلِّ الدين، وإطلاق إتمام النعمة يعني تحقق كلِّ الشيء بآثاره وأجزائه وشرائطه.

وهنا يأتي هذا السؤال وهو: ما هو هذا الشيء الذي به كَمُلَ الدين وبه تَمَّت النعمة ؟

فإن كان بتشريع حكم فهو بعض الدين.
 بالإضافة إلى أن هذا الحكم المفترض لم يكن حكماً بالغ الأهمية فليس هو تشريع لحكم الصلاة أو الزكاة أو الحج أو الصيام والتي هي من أسس شرائع الإسلام فلا بد أن يكون هذا الشيء أهمّ من ذلك كَلِّه حتى يكون به إكمال الدين وإتمام النعمة الإلهية، بل ويرضى الله به الإسلام ديناً للمسلمين.
 والحق ليس هو إلاّ أمرٌ به تُعزَّز بقية شرائع الإسلام وتُصان من التحريف

١ - سورة البقرة الآية ١٨٥.

٢ - تفسير الميزان، للسيد الطباطبائي، ٥ / ١٧٩ - ١٨٠.

وبه يُضمن بقاؤها واستمراريتها ، وليس هو إلا ولاية العصمة والطهارة والعدل والعلم والنور والحبل المتصل بالسماء وهي إمامة الأئمة المعصومين عليهم السلام ^(١).

استدلال الإمام بالآية

ثانياً؛ وما يؤيد صحة تلك الروايات أيضاً استدلال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بآية (إكمال الدين)، حيث خاطب الناس وأصحابه وقال لهم فيما قال في بعض خطابه: (... أنشدكم الله أتعلمون... إلى أن قال: وحيث نزلت: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ ^(١) وحيث نزلت: ﴿وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِجَنَّةٍ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ ^(٢) قَالَ

١ - لقد رويت عن النبي صلى الله عليه وآله في علي عليه السلام الأحاديث الكثيرة الدالة على أن به حفظ الدين وتامية الشريعة، فمثلاً قد ورد عنه صلى الله عليه وآله أنه قال: (من أراد أن يحيا حياتي ويسكن جنّة الخلد التي وعدي ربي فليتولّ علي بن أبي طالب فإنه لن يخرجكم من هدى ولن يدخلكم في ضلالة)، ذكره الحاكم في المستدرک وعبّ عليه بقوله: هذا حديث صحيح الإسناد (المستدرک ١٢٨/٣٠)
وعن ابن عمر إن النبي صلى الله عليه وآله دعا علياً في مرضه فستره بثوبه فلما خرج من عنده قيل له: ما قال لك؟ قال: علّمني ألف باب كل باب يفتح له باب. (كتر العمال ٦/٣٩٢).
وعن ابن عباس إن النبي صلى الله عليه وآله قال: (النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق وأهل بيتي أمان لأمتي من الاختلاف فإذا خالفتها قبيلة من العرب اختلّفوا فصاروا حزب إبليس). قال صاحب المستدرک: هذا حديث صحيح الإسناد. (المستدرک ٣/١٤٩).

وهناك أحاديث أخرى وصفتهم بسفينّة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق وهوى وأخرى وصفتهم بباب حطّة وأخرى جعلتهم بمنزلة الرأس من الجسد والعين من الرأس، وكلّ هذه الأحاديث تدلّ على أن بهم إكمال الدين وإتمام النعمة.

الناس: يا رسول الله أهذه خاصّة في بعض المؤمنين أم عامّة لجميعهم؟ فأمر الله (عزّ وجل) نبيّه ﷺ أن يُعلمهم ولاة أمرهم وأن يُفسّر لهم من الولاية ما فسّر لهم من صلاتهم وزكاتهم وصومهم وحجّهم فنصّبني للناس بغدير حُـمّ، ثم خطب فقال: (أيها الناس إن الله (عزّ وجل) أرسلني برسالة ضاق بها صدري وظننت أن الناس مكذّبي، فأوعدني لأبلغنّها أو ليعذبني، ثم أمر فنودي الصلاة جامعة، ثم خطب الناس فقال: أيها الناس أتعلمون أن الله (عزّ وجل) مولاي وأنا مولى المؤمنين وأنا أولى بهم من أنفسهم؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: قم يا علي قممت، فقال: من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، فقام سلمان الفارسي رضي الله عنه فقال: يا رسول الله ولاؤه كما ذا؟ فقال ﷺ ولاؤه كولايتي، من كنت أولى به من نفسه فعلي أولى به من نفسه، فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾ فكبر رسول الله ﷺ وقال: الله أكبر بتمام النعمة وكمال نبوّتي ودين الله (عزّ وجل) وولاية عليّ بعدي، فقام أبو بكر وعمر فقالا: يا رسول الله هذه الآيات خاصّة لعليّ؟ قال: بلى فيه وفي أوصيائي إلى يوم القيامة، قالوا: يا رسول الله بينهم لنا، قال: عليّ أخي ووزيري ووارثي ووصيي وخليفتي في أمّتي ووليّ كلّ مؤمن بعدي، ثم ابني الحسن، ثم ابني الحسين، ثم تسعة من ولد الحسين واحد بعد واحد، القرآن معهم وهم مع القرآن لا يفارقونه ولا يفارقهم حتى يردوا عليّ حوضي)

انتهى خطاب الإمام لهم فأجابوه وقالوا كلّهم: اللهم نعم قد سمعنا ذلك

كله وشهدنا كما قلتَ سواء، وقال بعضهم: قد حفظنا جُلَّ ما قلت، ولم نحفظه كله، وهؤلاء الذين حفظوا أختيارنا وأفاضلنا.

فقال عليٌّ عليه السلام: صدقتم ليس كلُّ الناس يستوون في الحفظ، أنشدكم

الله من حفظ ذلك من رسول الله صلى الله عليه وآله لما قام فأخبر به ؟

فقام زيد ابن أرقم والبراء بن عازب وسلمان وأبو ذر والمقداد وعمار بن ياسر رضي الله عنهم فقالوا: نشهد لقد حفظنا قول رسول الله صلى الله عليه وآله وهو قائم على المنبر وأنت إلى جنبه وهو يقول: (أيها الناس إن الله أمرني أن أنصبَ لكم إمامكم والقائم فيكم بعدي ووصيي وخليفتي والذي فرض الله عزَّ وجلَّ على المؤمنين في كتابه طاعته فقرنه بطاعته وطاعتي، فأمركم بولايي وولايته فإني راجعت ربي عزَّ وجلَّ) خشية طعن أهل النفاق وتكذيبهم فأوعدني ربي لأبلغنَّها أو ليعذبنني.

أيها الناس إن الله عزَّ وجلَّ أمركم في كتابه بالصلاة فقد بيننَّها لكم وبالزكاة والصوم والحج فبيننَّها وفسرَّتها لكم وأمركم بالولاية وإني أشهدكم أنها لهذا خاصَّة - ووضع يده على كتف علي بن أبي طالب - ثم لأبنيه من بعده، ثم للأوصياء من بعدهم من ولدهم، لا يفارقون القرآن ولا يفارقهم القرآن حتى يردوا عليَّ حوضي.

أيها الناس قد بينتُ لكم مفزعكم بعدي وإمامكم ودليلكم وهاديكم وهو أخي علي ابن أبي طالب وهو فيكم بمنزلي فيكم فقلِّدوه دينكم وأطيعوه في جميع أموركم...^(١).

أيها القارئ الكريم : الرواية طويلة اخترت منها هذا المقدار لتعلم بان آيات الولاية متعددة وكثيرة وليست محصورة بآية إكمال الدين أو قضية الغدير فقط، وإنما كانت قضية غدير خم بمثابة التفسير والتوضيح والتصريح لتلك الآيات الواردة في موضوع الخلافة لعلي عليه السلام وأيضاً بمثابة الإعلان الرسمي والعام أمام الملأ عن موضوع الخلافة والإمامة لعلي عليه السلام بعد النبي صلى الله عليه وآله لتكون الحججة أتم وأشمل وليكون الناس على بيّنة.

هل طالب الإمام بحقه؟

هنا لا بدّ لنا من الإجابة على تساؤل لدى البعض وهو هل طالب الإمام بحقه؟ فإن الإمام عليه السلام وإن كان ذكرٌ بمجديت الغدير وما حصل فيه إلاّ انه لم يكن ليصرّ أو ليعلن دائماً ويبين ذلك أبداً بل سكت عما جرى وترك الأمور دون إصرار على المطالبة بحقه، وكذلك فعل أصحابه المقربون ممّن يُفترض أنهم علموا الحق؟

يمكن القول في الجواب : إنّ الإمام عليه السلام كان زاهداً بكل مظهر من مظاهر الدنيا - من مأكّل وملبس ودار وما شابه - ومن الواضح أن الحكم والمنصب والرئاسة هي من المظاهر الدنيوية أيضاً، وفي نفس الوقت لا شكّ أن القيادة وظيفية شرعية يقوم بها الإمام إن أُتيحت له الفرصة، وطالما أن القوم خذلوه ولم ينصروه فلا يطالب بها الإمام ولا يتنازع عليها ..

وهو القائل: (أما والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لولا حضور الحاضر وقيام الحجّة بوجود الناصر. وما أخذ الله على العلماء أن لا يقاروا على كظّة

ظالم ولا سَعَبَ مظلوم لألقيتُ حبلها على غارها ولسقيتُ آخرها بكأس أولها. ولألفيتمُ دنياكم هذه أزهدي عندي من عطفة عنز^(١).

فهو عليه السلام لم يصرَّ على المطالبة بالمنصب والحكم من هذه الجهة وان كانت الإمامة والخلافة الإلهية جاءت من الله تعالى وليست قابلةً للتنازل عنها لغيره لأنها باختيار وجعل من الله تعالى له وفيه، والإمامة بهذا المعنى شيء أعظم وأوسع بكثير من مجرد الزعامة السياسيَّة للأمة.

وقد أجيب على هذا الاستفسار بأجوبة أخرى أيضاً^(٢).

-
- ١ - نهج البلاغة - خطب الإمام علي عليه السلام - ج ١ - ص ٣٦، تحقيق الشيخ محمد عبده .
 - ٢ - لقد ناقشنا هذا الاستفسار من جوانب أخرى وذكرنا له أكثر من جواب حين التحدث عن آية التبليغ في هذا الكتاب، ويناسب أن نذكر ما أجاب عنه العلامة الشيخ المظفر في كتابه السقيفة فقد قال: (لا تزال هناك شبهة مستحسية على الباحثين، ولا يزال يكررها الكتاب حتى يومنا هذا، وهي: إن هذه الأحاديث لو كانت للنص على خلافته، كما تقوله الشيعة، فلماذا لم يتمسك بها هو، ويحتج بها على القوم لو كانوا قد أخذوا حقه؟ ولماذا لم يحتج بها أصحابه أو باقي المسلمين في اجتماع السقيفة؟ والحق أنها شبهة قوية هي أقوى متمسكاً لإنكار النص، بل ليس شيء غيرها يستحق أن يذكر في معارضة تلك النصوص، فيلجأ إلى تأويلها وتفسيرها على غير وجهها. والباحثون أجابوا عنها بعدة أمور يطول علينا استقصاؤها، ولكن الذي يرضي نفسي وأدين به ربي أن أقرر ما يلي: إن مولانا أمير المؤمنين لما انتهى الأمر بالناس إلى مبايعة أبي بكر خليفة، فهو قد أمسى بين أمرين لا ثالث لهما: أما أن يستسلم للأمر الواقع، فيترك كل مطالبة علنية صريحة إبقاء للكلمة الإسلام. وأما أن يجاهد حتى يثبت حقه، وهو نفسه قال: (وظفقت أرتأي بين أن أصول بيد جذاء أو أصبر على طخية عمياء). ولما اختار الأمر الأول وهو أعرف بما اختار إذ يقول: (فرأيت أن الصبر على هاتا أحجى) فلم يبق وجه لمطالبته العلنية بالخلافة، وقد طوى عنها كشحا وأسدل دونها ثوبا ولو أنه كان يعلن بالمطالبة فلا بد أن يتبعها بالسعي إلى تنفيذها مهما أوتي من حول وقوة، وفي ذلك تطويح بكلمة الإسلام وبنائه السامق) (السقيفة - الشيخ محمد رضا المظفر - ص ٧٢).

توقيت نزول الآية ودلالة أخرى

ثالثاً: ومما يؤيد نزول الآية لإعلان الخلافة في يوم الغدير هو ما ذكره المؤرّخون من أن النبي ﷺ فارق الحياة بعد واحد وثمانين يوماً أو اثنين وثمانين يوماً من تبليغ هذه الآية، كما أشار إلى ذلك الإمام الرازي في تفسيره حيث قال: (قال أصحاب الآثار انه لما نزلت هذه الآية على النبي ﷺ لم يعمر بعد نزولها أكثر من احد وثمانين يوماً أو ثمانين يوماً ولم يحصل في الشريعة بعدها زيادة ولا نسخ ولا تبديل)^(١).

وإذا لاحظنا مقالة القوم في تاريخ وفاة النبي عندهم وهو في الثاني عشر من ربيع الأول في السنة الحادية عشرة من الهجرة فهذا يعني أن تبليغ هذه الآية أو نزولها كان في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة أي في يوم الغدير أو يوم أو يومين بعده وفي نهاية المطاف يكون ذلك في واقعة الغدير لأنهم ذكروا أن الغدير كان في ثلاثة أيام حيث بقي النبي والمسلمون ثلاثة أيام ليدخل جميع من حضر على أمير المؤمنين ﷺ ليسلموا عليه بامرة المؤمنين ويباعوه على ذلك.

فتبين مما ذكر من الأحاديث والروايات من الفريقين والمؤيدات لذلك أن الآية المباركة: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾ نزلت للتأكيد على إمامة أمير المؤمنين علي ﷺ.

استفسارات:

أيها القارئ الكريم: بقيت بعض الأسئلة و الاستفسارات حول هذا

الموضوع نتعرض لذكرها والإجابة عليها في الاستفسارات التالية:

الاستفسار الأول:

أشارت بعض الروايات إلى أن آية الإكمال نزلت في يوم عرفة في التاسع من ذي الحجة في حجة الوداع، فما علاقتها بيوم الغدير؟
الجواب على ذلك من وجوه عديدة:

أولاً: ذكرنا في الفصل السابق أنه لا يمنع ذلك ولا يضر بالاستدلال بالآية في كونها نزلت في شأن الولاية حيث يمكن الجمع بين هذه الروايات والأخرى التي بيّنت أنها نزلت بعد تبليغ الولاية بان تكون نزلت مرتين، أو القول بان تبليغ الآية وإعلانها كان في يوم الغدير حتى لو فرض نزولها على النبي في يوم عرفة وذلك للروايات الكثيرة الصريحة والصحيحة في كون إعلان الآية كان في يوم الغدير ومن أن النبي ﷺ كان ينتظر الوقت المناسب والمكان الملائم لإعلان ذلك، ولم يكن في ذلك مخالفة من النبي للوحي أو إهمال منه في ذلك وإنما كان الوقت موسعاً في تبليغ الآية، فلما وصل غدير خم وجمع الناس أعلن آية التبليغ أولاً: ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك﴾ وبعد تبليغ الآية وتنصيب الإمام رسمياً أعلن الآية التي نحن في صددها: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم..﴾.

وبهذا الجواب يتمّ الجمع في الأخذ بالصنفين من الروايات ، ومن الواضح أن الجمع الممكن بين الروايات أولى من طرح بعضها واخذ بعضها الآخر فقط، هذا أولاً.

ثانياً: إن الروايات المشيرة إلى أن الآية نزلت في يوم عرفة أو يوم

الغدِير لا تتناقض فيما بينها وذلك لأنها ليس فيها عقد للسلب أي لا نفي فيها للجهة المقابلة لما ذُكر في شأن نزول الآية بل هو إثبات للشيء، وإثبات الشيء لا ينفي ما عداه، بل في الروايات دلالة على التدرج في الأمر، من نزول الوحي ثم انتظار النبي ثم حلول الوقت المناسب ثم الإعلان عن نزول الآيات في الإمامة ولزوم تبليغ ذلك ومن ثم تبليغها بيوم الغدير.

ثالثاً: إن يأس الكفار من قضائهم على الدين إنما يتناسب مع تعيين خليفة النبي في قيادة الأمة وحفظ الدين والرسالة، من الانحراف والتحرير، وليس بأسهم بسبب تمامية الحجّ ووقوف الناس في عرفة.

قال السيد الطباطبائي في الميزان - في الرد على ذلك الإشكال - (..) فما المراد من يأس الذين كفروا يومئذ من دين المسلمين؟ فإن كان المراد باليأس من الدين يأس مشركي قريش من الظهور على دين المسلمين فقد كان ذلك يوم الفتح عام ثمانية لا يوم عرفة من السنة العاشرة، وإن كان المراد يأس مشركي العرب من ذلك فقد كان ذلك عند نزول البراءة وهو في السنة التاسعة من الهجرة، وإن كان المراد به يأس جميع الكفار الشامل لليهود والنصارى والمجوس وغيرهم - وذلك الذي يقتضيه إطلاق قوله: (الذين كفروا) - فهؤلاء لم يكونوا آيسين من الظهور على المسلمين بعد، ولما يظهر للإسلام قوة وشوكة وغلبة في خارج جزيرة العرب^(١).

رابعاً: إن إكمال الدين أيضاً لا يكون لمجرد تعليم النبي ﷺ الناس فريضة الحج ومناسكه مع أن تشريع الحج كان قد تقدم على ذلك، فإن تعليم

شسيء من الدين لا يكون إكمالاً للدين وتامة له، بل يتناسب إكمال الدين مع تعيين المحافظ عليه والحارس له والمبين لكل جزئياته وشرائطه ودقائقه وذلك يكون بتعيين الإمام والخليفة المعصوم بعد النبي، فتكون الآية مناسبة لما جرى في يوم الغدير من تنصيب الإمام علي عليه السلام للخلافة.

الاستفسار الثاني:

إن المقطع المستدلّ به من الآية مكتنف بنسق غير متعلق بالكلام عن الخلافة والإمامة بل متعلق بالكلام عن الحلال والحرام في أكل اللحوم وما شاكل .. أليس هذا يبعد الآية عن كونها تريد الحديث عن الإمامة والولاية؟

الجواب:

أولاً: إن الملاحظ لهذا المقطع من الآية وهو قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ يَأْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ يجده غريباً عن صدر الآية وعجزها فصدها هو قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أَهَلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النَّصَبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكَ فِسْقٌ﴾ وعجزها هو قوله تعالى: ﴿فَمَنْ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِيْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ولو رفع هذا المقطع من وسط مجموع الآية لم يختل الكلام في مدلول الآية على الحكم الشرعي فيما يخص أكل اللحم الحلال من الحرام، ولكانت الآية بهذا الشكل: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أَهَلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ

وَالنَّطِيعَةَ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَشِيرُوا
بِالْأَزْلَامِ ذَلِكَمْ فِسْقٌ... فَمَنْ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ
غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾ وهذا يدل على ما نريده من أن المقطع هذا من الآية لا علاقة
له بموضوع الحكم الشرعي المذكور من حرمة أكل بعض اللحوم كما يدل
على أن تمامية الدين وإكمال النعمة إنما هو لأمر آخر غير مرتبط بصدر
الآية أو عجزها، كما يؤيد أيضاً أن ترتيب الآيات وتنسيقها بل حتى ترتيب
المقاطع ضمن الآيات لم يكن وفق ترتيب نزولها، كما هو الحال في آية
التطهير وغيرها، فوجود هذا المقطع القرآني في ضمن الحديث عن اللحوم
المحرمة لا يضر بالاستدلال به.

فالمخالصة : إن الآيات ومقاطعها لم تُرتَّب وفق نزولها، وليس التسق
دائماً دليلاً على الارتباط بين الآيات والمقاطع من الآيات القرآنية فقد لا
يكون ارتباط بينها كما في هذه الآية.

ثانياً: من المفترض أن الدين قد كمل فعلاً بنزول آية إكمال الدين
وبها تم الإعلان عن تمامية الشريعة وبيان أحكامها كما هو كذلك وكما قال
السيوطي في تفسيره في قوله تعالى: ﴿أكملت لكم دينكم﴾ قال: (فلم ينزل
بعدها حرام ولا حلال)^(١) وكما ذكر ذلك الرازي أيضاً في تفسيره^(٢) ولو كان
لهذا المقطع من الآية علاقة بما قبله وبعده كان يعني أن التمامية للدين بسبب
بيان حكم الميتة ولحم الخنزير وما شابهه وكان هو هذا الحكم الأخير الذي

١- الدر المنثور للسيوطي ج ٢ ص ٢٥٩.

٢- التفسير الكبير للرازي ج ١١ ص ١٣٩.

يبينه القرآن الكريم والحال إننا نرى أن هذا الحكم ذُكر من قبل في سورة البقرة حيث قال تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَكَحْمَ الْخَنزِيرِ وَمَا أَهْلَ بِهِ لغيرِ اللَّهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(١) كما إن أحكاماً أخرى نزلت بعد ذلك ولم يكن هو الحكم الأخير ولم يتعقبه يأس من الكفار كما في هذه الآية مما يدل كل ذلك على أن التمامية للدين لم تكن بسبب ذلك وان علاقة المقطع المستدل به من الآية هو بأمر أعظم وأعظم من شأن تبليغ بعض أحكام الدين، فهذا المقطع يتعلق بموضوع الإمامة والولاية التي بها يحفظ الدين وبها يكمل الدين وتتم النعمة. وأيضاً يجاب بها عن كل سؤال يخطر على كل بال لأن الإمام هو وارث علم نبيه ﷺ وهو المبيّن لكل الأحكام، فلم يكن حكم أكل الميتة هو آخر ما ذكر من فرائض ولم يكتمل به الدين بل كانت فريضة الولاية هي آخر حكم يذكر وبها تم الدين وكملت النعمة كما ذكر ذلك الإمام الباقر عليه السلام في الحديث الآنف الذكر^(٢).

الاستفسار الثالث: لقد وردت بعض الأقوال من أن آية إكمال الدين لم تكن هي آخر الفرائض التي شرّعت، بل تبعتها فرائض أخرى مما يعني أنها لم تكن في موضوع الإمامة بل كانت في بيان حرمة أكل الميتة أو بعض اللحوم وليس للآية علاقة في موضوع ولاية أمير المؤمنين عليه السلام.

١- البقرة/ ١٧٣.

٢- مضى قول الإمام عليه السلام في بداية هذا الفصل وهو قوله عليه السلام (كانت الفريضة تنزل بعد الفريضة الأخرى وكانت الولاية آخر الفرائض، فأنزل الله عز وجل اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي).

جواب الاستفسار

الجواب انه اختلفت الأقوال في شأن آخر آية نزلت في القرآن الكريم وآخر حكم بُين فيها، فقد نسب إلى عمر بن الخطاب أنها آية الربا^(١) وكذلك نُسب إليه أيضاً أنها آية الكلاله^(٢)، أي الورثة من الأقارب البعداء، كما نُسب القول إلى معاوية أنها آية ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾^(٣) وإلى ابن عباس أنها آية ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَعَظِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾^(٤) وهكذا أقوال أخرى.

وينبغي القول في الجواب:

أولاً: إن ما ذكرناه في الآية أنها آخر فريضة نزلت وهي فريضة الولاية ولم تنزل بعدها فريضة كما في الحديث وبها إكمال الدين، وليس أنها آخر آية، فلا يضر نزول آية أخرى بعدها في موضوع ليس هو بفريضة.

ثانياً: وأمّا الكلام فيما نُسبَ إلى عمر بن الخطاب من نزول بعض

١ - وهي قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ البقرة / ٢٧٨.

٢ - وهي قوله تعالى ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَكَلٌ وَلَا وَلَةٌ أَخْتٌ لَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِن لَّمْ يَكُنْ لَهَا وَكَلٌ فَإِن كَانَتَا أُخْتَيْنِ فَلَهُمَا التُّلْتَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِن كَانُوا إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ النساء / ١٧٦.

٣ - البقرة / ٢٨١.

٤ - النساء / ٩٣.

الفرائض - من حرمة الربا وحكم الكلاله في آية الربا و الكلاله أو ما شابه ذلك - فهذا ينبغي الإعراض عنه ورفضه لأنه على فرض صحة سنده فهو معارض بما هو صحيح السند عندهم أيضاً.

ومن جهة أخرى انه لا يجتمع مع القرآن الكريم بل يتعارض معه فينبغي رفضه لان القرآن الكريم قد أعلن في الآية عن إكمال الدين ويعني ذلك نزول وتبليغ كل الفرائض التي ينبغي تبليغها، فكيف يمكن القول بنزول فريضة أخرى بعد ذلك؟! .

فضلاً عن معارضة أمثال هذه الأقوال لروايات أخرى نُسبت إلى عمر بن الخطاب أيضاً، فنلاحظ مثلاً: الإمام احمد يقول في مسنده عن عمر بن الخطاب أن آخر ما نزل من القرآن هي آية الربا وان رسول الله ﷺ قبض ولم يفسرها، فدعوا الربا والريبة^(١). كما نقله المتقي الهندي في كنز العمال أيضاً^(٢)، فكيف يقبل هذا الكلام الصريح بان النبي ﷺ قضى ولم يبين حكم الله تعالى؟! والحال أن أحكام الربا ذكرت في أربع سور قرآنية^(٣).

وهكذا القول في موضوع الكلاله فقد روى البخاري عن عمر انه خطب على منبر رسول الله ﷺ وقال فيما قال: ثلاث وددت أن رسول الله لم يفارقنا حتى يعهد إلينا عهدا: الجَدَّ والكلالة وأبواب من أبواب الربا^(٤). وفي المستدرك على الصحيحين للحاكم نسب إلى عمر بن الخطاب انه

١ - مسند الإمام احمد ج ١ ص ٣٦.

٢ - كنز العمال للمتقي الهندي ج ٤ ص ١٨٦.

٣ - وهي البقرة / ٢٧٥ / ٢٧٦) و (النساء / ١٦١) و(الروم / ٣٩) و (آل عمران / ١٣٠).

٤ - صحيح البخاري ج ٦ ص ٢٤٢.

قال: (لئن أكون سألت رسول الله ﷺ عن ثلاث أحب إليّ من حمر النعم: من الخليفة بعده وعن قوم قالوا أنقرّ بالزكاة في أموالنا ولا نؤدّيها إليك أيجلّ قتاهم وعن الكلالة)، ثم قال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه^(١).

ولا شك أن في هذه الأقوال طعنًا في النبي ﷺ من انه فارق الحياة ولم يعهد بأمر هي من الدين، وهذا يخالف أصل النبوة ويعارض صريح القرآن بإكمال الدين، كما إنه يخالف نفس كلام عمر بن الخطاب في مكان آخر حيث نقل عنه في صحيح مسلم قوله: (ما راجعت رسول الله في شيء ما راجعته في الكلالة، وما أغلظ لي في شيء ما أغلظ لي فيه، حتى طعن بإصبعه في صدري وقال يا عمر ألا تكفيك آية الصيف التي في آخر سورة النساء)^(٢)؟.

وأما سؤاله عن الخليفة فقد سأل النبي أكثر من مرة وقد أجابه ﷺ تصريحاً أو تلويحاً كما في حديث خاصف النعل أو في يوم الدار أو رزية يوم الخميس^(٣). وعلى أي حال .. فالأقوال نفسها متناقضة عند عمر بن

١ - المستدرك للحاكم النيسابوري ج ٢ ص ٣٠٣.

٢ - صحيح مسلم ج ٥ ص ٦١.

٣ - فقد ذكر البخاري سنداً قال: حدثنا قبيصة حدثنا ابن عيينة عن سليمان الأحول عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال يوم الخميس وما يوم الخميس ثم بكى حتى خضب دمه الحصباء فقال اشتد برسول الله ﷺ وجعه يوم الخميس فقال: اثتوني بكتاب كتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً فتنزعوا ولا ينبغي عند نبي تنزاع فقالوا: هجر رسول الله ﷺ، قال: دعوني فالذي أنا فيه خير مما تدعونني إليه، وأوصى عند موته بثلاث: اخرجوا المشركين من جزيرة العرب وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم ونسيت الثالثة (كما في صحيح البخاري ج ٤ ص ٣١) وما ادري هل نسي قبيصة حقاً الثالثة أو تناسها؟ وألا ينبغي أن تكون هي العهد إلى الخلافة من بعد النبي ﷺ حتى كان ابن عباس يبكي حين يذكرها؟! ومن يتأمل الحديث

الخطاب، فلا ندري أي أقواله هي الصحيحة في ذلك؟.
والحق إن تلك الأقوال سواء صحّت نسبتها إلى أصحابها أم لم تصحّ
فلقد أريد منها إبعاد الأذهان والمخاطر عن آية إكمال الدين وعن واقعة
الغدِير لان كتابة الحديث والتاريخ كانت على طاولة الحاكم والسلطان.. فهل
يُعقل أن يكتب ما لا يحلو لهم...؟؟

ثالثاً: في قبال اختلاف الأقوال وتعارضها مع القرآن الكريم - في شأن
آخر فريضة قرآنية - نجد الحديث صريحاً وملائماً للظاهر القرآني من أن آية
الإكمال للدين قد أتت بآخر فريضة وهي فريضة الولاية، وهذا ما جاء في
حديث الإمام الباقر عليه السلام كما ذكر في بداية مناقشة هذه الآية المباركة ^(١).

خلاصة القول في الآية:

ويتلخّص الاستدلال بالآية فيما يلي:

الآخر الذي يذكره البخاري في ج ٥ ص ١٣٧ أيضاً لا يشك أن الثالثة كانت هي الوصية بالخلافة
لعلي عليه السلام ولأهل بيته من بعده لأنه أوصى بها بعد أن رمّوه بالهجران وامتنعوا أن يحضروا له كتاباً
ليدون ذلك، قفي البخاري: قال ابن عباس: يوم الخميس وما يوم الخميس اشتدّ برسول الله صلى الله عليه وآله
وجمه فقال: ائتوني اكتب لكم كتاباً لن تضلّوا بعده أبداً فتنزعوا ولا ينبغي عند نبي تنزع فقالوا: ما
شأنه أهبجر استغفمهموه؟ فذهبوا يردون عليه فقال: دعوني فالذي أنا فيه خير مما تدعوني إليه،
وأوصاهم بثلاث، قال: اخرجوا المشركين من جزيرة العرب وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم،
وسكت عن الثالثة أو قال فنسيتها .

١ - وقال أبو جعفر عليه السلام: وكانت الفريضة تنزل بعد الفريضة الأخرى وكانت الولاية آخر الفرائض،
فأنزل الله عز وجل: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي﴾ قال أبو جعفر عليه السلام: قول
الله عز وجل لا أنزل عليكم بعد هذه فريضة، قد أكملت لكم الفرائض. الكافي للكليني ج ١

أولاً: إن الآية تحدتت عن كمال الدين ولا يمكن عقلاً كماله حتى يكون قد جعل الله لنا من يكون بعد نبيّه مبيناً للشريعة ومحافظاً عليها ومجيباً على كلّ سؤال يرتبط بما يستحدث من أمور جديدة، وليس هو سوى الإمام المجمعول من قبل النبي ﷺ .

ثانياً: إن الآية تُعدّ من آيات الولاية لأنها نزلت أو بُلّغت في يوم الغدير لما نصّب النبي ﷺ الإمام علياً عليه السلام للخلافة، كما صرّحت بذلك الروايات من الفريقين .

ثالثاً: إن هناك شواهد ومؤيّدات لذلك، منها تصريح الآية بإكمال الدين وبأس الكفار وقماميّة النعمة وهذا كلّهُ يتناسب مع تعيين الخليفة والمحافظ على الشريعة، وليس لأجل تحريم نوع من اللحوم وحسب.

رابعاً: لا يمكن الاعتماد على روايات متضاربة في نفسها ومتعارضة مع الظاهر القرآني حيث أخذت الآية إلى منحي آخر.

بل لا بدّ من الأخذ برواية من هم عدل القرآن الكريم
 أعني آل بيت النبي (صلوات الله عليه وعليهم أجمعين)
 وبذلك عدت هذه الآية من أهم آيات الولاية.
 والحمد لله رب العالمين.

الفصل السادس

آية التطهير

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾^(١).

آية التطهير هي الآية الأخرى التي لها دلالتها على إمامة أمير المؤمنين علي عليه السلام والأئمة الطاهرين من ولده عليه السلام، وذلك لدالاتها على عصمتهم المستلزمة لأفضليتهم على غيرهم مما يلزم إمامتهم على غيرهم، وأيضاً المستلزمة لصدقهم، وقد ادَّعوا الإمامة لأنفسهم ونسبوا إلى القرآن والنبي صلى الله عليه وآله من التنصيص عليهم في الإمامة والخلافة، فلزم تصديق دعواهم والقول بإمامتهم عليهم السلام.

توضيح الاستدلال بالآية:

- لتوضيح الاستدلال بالآية لابد من التطرق إلى أمرين هما:
 - ١ - الإرادة الإلهية في الآية هي إرادة تكوينية لا تشريعية.
 - ٢ - وكون المراد من أهل البيت هم آل النبي الأطهار وهم النبي وعلي وفاطمة وأبناؤهم الأئمة عليهم السلام.

الأمر الأول: الإرادة التكوينية والتشريعية

الإرادة الإلهية تنقسم على قسمين: إرادة تشريعية وأخرى تكوينية .
 أما الأولى: الإرادة التشريعية، بمعنى أن الله سبحانه وتعالى حينما يشرع الأحكام يريد بالطبع تطبيقها والعمل بها، ولكن تحقيقها وتبلورها إلى واقع عملي يتوقف على عمل الإنسان نفسه وإرادته وتطبيقه لذلك الشرع، فإن نفذ وطبق كما يريد الله تعالى تحققت تلك الإرادة التشريعية وإلا فلا تتحقق مصاديقها في الوجود الخارجي، وبذلك يكون الإنسان مخيراً في إتيان العبادة ويستحق الثواب عليها كما يكون مخيراً في عدم الامتثال وفي العصيان للشرع الإلهي ويستحق على ذلك العقاب من الله تعالى، يقول الله تعالى في تشريعه لعبادة الصيام ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾^(١).

فهو سبحانه يشرع العبادة لنا لأنه يريد بنا اليسر ولا يريد لنا العسر، ولكن هذه الإرادة منه تشريعية، أي يتوقف حصولها على امتثال العباد لطاعة الله تعالى بشكل تام حتى يعيشوا اليسر ولا يقعوا في الحرج والعسر سواء في موضوع الصيام أم في أساس العيش والحياة، ونحن نرى صراحة القرآن بان الله تعالى يريد للمسلمين اليسر ولا يريد لهم العسر، ولكن الواقع العملي للمسلمين يشهد بعكس ذلك، فغالبا عاشت وتعيش الشعوب

الإسلامية العسر والأذى والضحك في حياتها عبر القرون بسبب ابتعادها عن القوانين الإلهية التشريعية، فهذه هي إرادة تشريعية، يمكن حصولها وتحقيقها في الواقع الخارجي وذلك فيما لو طبق المسلمون أحكام الله تعالى بشكل تام، كما يمكن عدم تحققها فيما لو حصل العكس، كما هو الواقع الحاصل لدى المسلمين وكما قال الله تعالى أيضاً ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسى ﴿^(١) فمع أن الله تعالى يريد اليسر والحياة الهنيئة للمسلمين، لكننا نراهم - اليوم - في ضنك وضيم وذلك لأنهم اعرضوا عن القرآن وتعاليمه فلقد نسوا الله وشرائعه فلم يتحقق اليسر الذي أراه الله لهذه الأمة، فما نقصده أن هذه الإرادة لله تعالى هي إرادة تشريعية يمكن تحقيقها ويمكن تخلفها وعدم حصولها.

وأما الثانية: الإرادة التكوينية وهذه الإرادة الإلهية تتبلور عملياً في الواقع الخارجي دون تخلف منها أبداً، لأنه سبحانه أراد حصولها دون طلب من آخر في التفاعل معها ليتحقق حصولها كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(٢).

فالإرادة التشريعية تتعلّق بما يشرّعه الله تعالى للعباد ويريد منهم الامتثال لها بينما الإرادة التكوينية تتعلّق بإرادته سبحانه وتعالى وحسب ولا بد من تحقيقها حتماً.

بعد هذا التوضيح المختصر نقول :

لقد تطرقت الآية المباركة إلى إرادة الله تعالى التكوينية لتطهير أهل البيت عليهم السلام من كل رجس، حيث قالت: ﴿إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ وهذه الإرادة التكوينية لا بد من تحققها على الأرض وفي الخارج الواقعي لأنها إرادة تكوينية لا تشريعية.

الآية والإرادة التكوينية

لا بد من القول بهذه الإرادة التكوينية هنا، وذلك لوجود كلمة (إنما) والتي تفيد الحصر، أي أن هذه الإرادة من الله تعالى محصورة في هؤلاء الجماعة ولا تشمل غيرهم، وإذا كانت الإرادة تكوينية لزم حتماً إذهاب الرجس كله عنهم سواء المادي منه - كالقذارة والنجاسة - أم المعنوي منه - كالذنوب والمعاصي - وبذلك لزم القول بعصمة هؤلاء الذين أذهب الله عنهم الرجس، ولا يمكن القول بأن الإرادة هنا تشريعية ولا تفيد العصمة لأننا لو قلنا أنها إرادة تشريعية خرجت كلمة (إنما) عن مؤدأها وفائدتها، لأن الله تعالى يريد الطهر - بهذا المعنى من الإرادة - لسائر المسلمين إرادة تشريعية وليس فقط لأهل البيت عليهم السلام، فما معنى قوله: ﴿إِنَّمَا يَرِيدُ﴾ لهم ذلك؟! ولكنها لما كانت إرادة تكوينية كانت مختصة من الله تعالى لهم.

نعم هي إرادة تشريعية لسائر المسلمين بل لسائر الناس فإن الله تعالى يريد لخلقه أن يكون مطهراً من الرجس، بل إن كل من يمتثل لكل أوامر الله تعالى ويجتنب كل معاصيه فهو قد أذهب عنه الرجس بفعله وامتناله لله تعالى وإذهاب الرجس عنه كان تشريعياً، ولكن فيما يخص أهل البيت في هذه

الآية المباركة فهو إذهاب من الله تعالى للرجس عنهم إذهاباً تكوينياً وان كانوا هم أيضاً بامتثالهم لطاعة الله تعالى بإرادتهم التي يعلمها الله تعالى لهم قد اذهبوا عن أنفسهم الرجس تشريعياً أيضاً.

هل يُجبر المعصومون في طاعتهم لله؟

سؤال: إذا كانت إرادة الله تعالى في تطهير أهل البيت إرادة تكوينية وكان لا بد أن تتحقق هذه الإرادة ويتحقق ذلك الطهر فيهم فما هو دورهم إذن في طاعة الله تعالى؟ ولماذا يثابون للطاعة؟ وأين الفضيلة في ذلك؟
الجواب: لقد أُجيب على هذا السؤال بأن أفعال العباد وإن كانت تصدر منهم بإرادتهم إلا أنها في الحقيقة مخلوقة لله تعالى فهو سبحانه وتعالى يخلقها عبر إرادة العباد أنفسهم، وبذلك صحّحوا نسبة الأفعال إلى العباد ونسبتها إلى الله تعالى أيضاً، فهي من جهة مخلوقة لله تعالى ومن جهة صادرة عن إرادة العبد نفسه، وبذلك استحقّ الثواب والعقاب على أفعاله، وبهذا فسّر قول الإمام الصادق عليه السلام: (لا جبر ولا تفويض بل أمر بين أمرين) ^(١) فليس هناك نفي لإرادة الإنسان - كما يقول الجبريون - ولا هناك عزل لقدرة الله تعالى - كما يقول المفوضون - بل هو أمر بين أمرين، فهذا شأن سائر أفعال العباد.

وأما أصحاب آية التطهير - وهم أهل البيت عليهم السلام - فإن الطاعة تصدر منهم بإرادتهم واختيارهم وأيضاً بإرادة تكوينية من الله لهم بذلك، وهذا لعلمه سبحانه أنهم يطيعونه لا محالة بإرادتهم واختيارهم، فجعل لهم

هذا التطهير التكويني وتَسَبَّ إلى نفسه هذه الإرادة إضافة إلى ما لهم من الاختيار في طاعة الله تعالى واجتناب معصيته. فهم **عِبَادٌ** قادرون على المعصية ولكنهم لا يفعلونها بإرادتهم، فلعلَّ الله تعالى ذلك منهم - من أنهم يفعلون كلَّ ما يحبُّه الله تعالى ويريده ويجتنبون كلَّ ما يكرهه الله ويسخطه - تَسَبَّ إلى نفسه إرادة إذهاب الرجس عنهم إذهاباً مطلقاً لكلِّ رجسٍ ممَّا يُوجب العصمة لهم، فبقى لهم المنزلة العظيمة لإطاعتهم لله تعالى، ويبقون هم من العباد المكلفين بإرادتهم بشرع الله تعالى ويستحقُّون عظيم الثواب لعظيم التسليم والعبادة منهم لله سبحانه وتعالى.

ولتوضيح المعنى وتقريب المقال نضرب هذا المثال ونقول: ربما شاهدنا بعض الناس من المتمرِّنين والمتمرِّسين على السير على الحبال بين طرفين مرتفعين فإن هذا الماشي على الحبل وبذلك الارتفاع قد يتعرَّض للسقوط والفشل في ذلك السير، ولكنه قد يصل التمرُّس إلى درجة من القدرة بحيث يكون مشيه على ذلك الحبل كالمشي على الأرض، وحينئذ لو افترضنا أن وُضعتُ حبال محافظة في أطراف ذلك الحبل المرتفع، لتكون كالسياج الواقية من السقوط، ثم مشى ذلك التمرُّس على ذلك الحبل وبذلك الارتفاع دون أن يعتمد على تلك الحبال الأخرى - التي هي بمثابة السياج - وحافظ على تماسكه واستقراره، فهو من جهة قام بذلك الفعل بإرادته وبمهارته ويستحق على ذلك الثناء والمجازة، ومن جهة أخرى يصحَّ لمن نَصَب الحبال التي هي كالسياج أن يقول من البداية: إن هذا الماشي سوف لا يسقط من ذلك المرتفع لأنه مصان ومحفوظ من السقوط.

وهكذا علِّم الله سبحانه أن هؤلاء الأطهار سوف لا يعصونه قيد أنملة

فأراد لهم التطهير من الرّجس تكوينياً أيضاً وإن كانوا هم وبارادتهم لا يعصونه أبداً.

وقد يؤيد ذلك ما جاء في الدعاء الوارد عن الإمام الحجّة المهدي عليه السلام والمعروف بدعاء النذبة، فقد جاء فيه: (اللهم لك الحمد على ما جرى به قضاؤك في أوليائك، الذين استخلصتهم لنفسك ودينك، إذ اخترت لهم جزيل ما عندك من النعيم المقيم، الذي لا زوال له ولا اضمحلال، بعد أن شرطت عليهم الزهد في زخارف هذه الدنّيا الدنيّة وزبرجها، فشرطوا لك ذلك، وعلمت منهم الوفاء به. فقبلتهم وقربتهم، وقدمت لهم الذكر العليّ والثناء الجليّ، وأهبطت عليهم ملائكتك، وكرمتهم بوحيك، ورفدتهم بعلمك، وجعلتهم الذرايع إليك، والوسيلة إلى رضوانك...) ^(١) فقد أعطاهم الله تعالى ما أعطاهم بعد أن علم منهم الوفاء له بطاعته، فيكون عطاؤه سبحانه لهم لاستحقاقهم تلك المنزلة .

الأمر الثاني: من هم أهل البيت في الآية ٩

لاشك أن من يطلب الحق ويرجع للواقع المذكور في كتب التفسير والتأريخ لا يتردّد في أن المراد من أهل البيت في الآية هم من اجتمعوا تحت الكساء - أو البرد - مع النبي صلى الله عليه وآله وهم: علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام. وقبل مناقشة الموضوع وذكر بعض الأحاديث الصحيحة نقف عند رأيين آخرين بعيدين عن الواقع الذي حدث .

رأيان بعيدان عن الواقع

الرأي الأول: هو أن المراد من أهل البيت هم نساء النبي ﷺ فقط ولا علاقة للآية بعلي وولده عليهما، ويكفي في إبطال هذا القول كونه منسوباً إلى عكرمة - غلام عبد الله بن العباس - الذي كان عدواً للإمام علي عليه السلام وعُرف بالكذب على ابن عباس حتى أصبح مضرِباً للمثل بذلك، فعن ابن المسيب: (انه قال لمولى له اسمه برد: لا تكذب علي كما كذب عكرمة على ابن عباس، وعن ابن عمر أنه قال ذلك أيضاً لمولاه نافع^(١)).

وقد حاول علي بن عبد الله بن عباس صدّه وردعه عن ذلك، ومن وسائله التي اتخذها معه أنه كان يوثقه على الكنيف ليرتدع عن الكذب على أبيه، يقول عبد الله بن أبي الحرث: دخلت على ابن عبد الله بن عباس وعكرمة موثق على باب كنيف، فقلت: أتفعلون هذا بجملاكم؟ فقال: إن هذا يكذب على أبي^(٢).

ويقول الذهبي فيه: اجمعوا على تركه^(٣).

ركاكة هذا القول

إن ضعف هذا القول ومن يقول به من أوضح الواضحات، وذلك لأمر

١ - لما ستيبين من خلال الروايات المروية خلاف ذلك.

٢ - ولما سنرى من تصريح نفس نساء النبي ﷺ من أنهم غير

١ - يراجع الكلمة الفراء لشرف الدين ص ٢١٥.

٢ - وفيات الاعيان لابن خلكان ج ١ ص ٣٢٠.

٣ - سير أعلام النبلاء للذهبي ج ٧ ص ٢٠١.

مقصودات في الآية.

٣ - ولأنه لم يقل احد بعصمة نساء النبي بل الواقع الخارجي دل على عكس ذلك.

٤ - ولضمير الجمع المذكور في (عنكم) و(يطهركم) فلو أريد منه نساء النبي لبقيت الآية على الخطاب الموجه لهن بنون النسوة في هذه الآية كما هو الملاحظ في الآيات التي هي قبل هذا المقطع وبعده.

والآيات واضحة في هذا الخطاب النسوي لهنّ إلا في هذا المقطع فيقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأزْوَاجِكِ إِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأَسْرَحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا * وَإِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالذَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا * يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا * وَمَن يَفْعَلْ مِثْلَ ذَلِكَ لِيَّ اللَّهُ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا * يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَحْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا * وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا * وَادْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾^(١).

فنلاحظ الآيات خاطبت نساء النبي إحدى وعشرين مرة بخطاب نون النسوة إلا في هذا المقطع فلم تقل الآية: (ليذهب عنكن الرجس أهل البيت ويظهركن تطهيرا) كما هو الخطاب المفترض لهن والمكتنف بالمقطع بنون النسوة، بل تغير الخطاب إلى أفرادهم غير نساء النبي وهم النبي وعلي وفاطمة والحسن والحسين فقال تعالى: ﴿ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويظهركم تطهيرا﴾ كما صرحت الأحاديث بذلك عن النبي ﷺ والتي سنذكر بعضها إن شاء الله.

نساء النبي وأهل البيت جميعاً

الرأي الثاني: هو أن المراد من أهل البيت في الآية هو المجموع من نساء النبي وشخص النبي وابنته وعلي والحسن والحسين عليهم السلام، واستدلوا على ذلك بالسياق بان الآية أمرت نساء النبي ﷺ بأوامر مؤكدة وشددت في تكليفهن ثم عمم الخطاب لهن ولغيرهن من خاصة النبي ﷺ فان شدة التكليف عليهم لإرادة التطهير لهم وليكونوا قدوة للآخرين، ومن هنا جاء الضمير (عنكم) و (يظهركم) ضمير جمع لأنه أراد التغليب وشمول الجميع في إرادة التطهير لهم.

و هذا القول مرفوض أيضاً لأمر:

أولاً: لأن الإرادة هنا تكوينية - كما ذكرنا ذلك - وعليه يلزم تحقق العصمة عند من أريد تطهيره هنا، والحال لا يقول احد بعصمة نساء النبي،

كما لا يمكن ادعاء العصمة لعلي عليه السلام وعائشة في آن واحد، لان الأخيرة خرجت على الإمام وقُتل الألاف بسببها، فلا بد من نسبة الخطأ الى أحدهما. **ثانياً:** للأحاديث الصريحة التي نفت شمول الآية لنساء النبي، وسنذكر بعضها.

ثالثاً: لأن السياق القرآني ليس دليلاً دائماً، فقد يكون المقطع من الآية خارجاً عما قبله وبعده لغرض بلاغي، ويدلّ على ذلك اتصال الآيات التي قبل هذا المقطع وبعده بحيث لو رُفِعَ هذا المقطع من خلاها لم يقع خلل بالكلام **رابعاً:** لأن الزوجة لا تُعدّ من أهل بيت الرجل حقيقة لأنها إذا طُلِّقت ذهبت وشأنها ولم تحسب من أهله، كما ورد في صحيح مسلم: (أن زيد بن أرقم سئل عن المراد بأهل البيت هل هم النساء؟ قال: لا وأيم الله، إن المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر، ثم يطلقها، فترجع إلى أبيها وقومها)^(١). وأيضاً روى زيد بن أرقم قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: (ألا قد تركتُ فيكم الثقلين، أحدهما كتاب الله (عزَّ وجل)، مَنْ تبعه كان على الهدى ومن تركه كان على الضلالة، ثم أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، ثلاث مرات). قلنا: من أهل بيته؟ نساؤه؟ قال: لا، أهل بيته عُصْبته الذين حُرِّموا الصدقة بعده^(٢).

الرأي الصائب: المراد هم فاطمة وذووها

وهو القول الحق بان المراد من أهل البيت في الآية هم محمد صلى الله عليه وآله

١ - صحيح مسلم، باب فضائل علي.

٢ - فرائد السطين للشيخ العموني ج ٢ ص ٢٥٠.

وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، وهم الذين جمعهم النبي تحت رداثه وسأل الله تعالى لهم التطهير فنزلت الآية المباركة، فقد وردت الروايات الكثيرة والتي تربو على السبعين رواية من أمهات المصادر الإسلامية تصرّح بأسماء هؤلاء الخمسة عليهم السلام كما جاءت الروايات الأخرى المؤيدة لهذا الحدث من أقوال صدرت من نساء النبي أو ممن شاهد النبي صلى الله عليه وآله وهو يقف على باب بيت فاطمة عليها السلام لأشهر عديدة ويتلو الآية.

وإليك بعض هذه الروايات:

الروايات من مصادر غير شيعية

١ - روى ابن عساکر بسنده عن عمر بن أبي سلمة قال: لما نزلت هذه الآية على النبي صلى الله عليه وآله، نزلت وهو في بيت أم سلمة: ﴿إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ فدعا فاطمة وعلياً وحسناً وحسيناً - زاد غيره: وأجلس فاطمة وحسناً وحسيناً بين يديه ودعا علياً فأجلسه خلف ظهره - ثم جلّثهم بالكساء ثم قال: اللهم هؤلاء أهل البيت فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً. قالت أم سلمة: إجعلني معهم. قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أنت بمكانك وأنت إلى خير^(١).

٢ - روى الحاكم النيسابوري بسند عن صفية بنت شيبة قالت حدثتني أم المؤمنين عائشة قالت: خرج النبي صلى الله عليه وآله غداً وعليه مرط مُرَجَّل من شعيرٍ اسود فجاء الحسن والحسين فأدخلهما معه ثم جاءت فاطمة فأدخلها معهما

١ - تاريخ ابن عساکر، ترجمة الإمام الحسين عليه السلام ص ١٠٤.

ثم جاء علي فادخله معهم ثم قال: ﴿إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾.

ثم قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه^(١).
وروى أيضاً عن عطاء بن يسار عن أم سلمة قالت: في بيتي نزلت ﴿إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ قالت: فأرسل رسول الله ﷺ إلى علي وفاطمة والحسن والحسين فقال: هؤلاء أهل بيتي.
ثم قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط البخاري .

٣ - الثعلبي في تفسيره، روى بسند عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: نزلت هذه الآية فيّ وفي علي وحسن وحسين وفاطمة ﴿إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾^(٢).

٤ - روي في مسند احمد مسنداً عن شداد أبي عمار قال: دخلتُ علي وائلة بن الأسقع وعنده قوم فذكروا علياً، فلما قاموا قال لي: ألا أخبرك بما رأيتُ من رسول الله ﷺ؟ قلت: بلى قال: أتيتُ فاطمة (رضي الله تعالى عنها) أسألها عن علي، قالت: توجّه إلى رسول الله ﷺ، فجلستُ أنتظره حتى جاء رسول الله ﷺ ومعه علي وحسن وحسين (رضي الله تعالى عنهم) أخذ كل واحد منهما بيده حتى دخل فأدنى علياً وفاطمة فأجلسهما بين يديه وأجلس حسنا وحسينا كل واحد منهما على فخذه ثم لفّ عليهم ثوبه - أو قال كساء - ثم تلا هذه الآية: ﴿إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ

١ - المستدرک علی الصحیحین للحاکم النیسابوری - ج ٣ - ص ١٤٧.

٢ - تفسير الثعلبي للثعلبي - ج ٨ - ص ٤٢.

البيت ويظهركم تطهيراً ﴿١﴾ وقال اللهم هؤلاء أهل بيتي وأهل بيتي أحق ^(١).

٥ - روى الحموي بسند عن إسماعيل بن عبد الله بن جعفر عن أبيه قال: لما نظر رسول الله ﷺ إلى الرحمة هابطة من السماء قال: مَنْ يدعو؟ - مرتين - قالت زينب: أنا يا رسول الله ﷺ، فقال لي: ادعي إلي علياً وفاطمة والحسن والحسين قال: فجعل حسناً عن يمينه وحسيناً عن يساره وعلياً وفاطمة وجاهه ثم غشاهم كساءً خبيرياً ثم قال: (اللهم إن لكل نبي أهل بيت وهؤلاء أهلي) فأنزل الله (عزَّ وجل): ﴿إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ فقالت زينب: يا رسول الله ألا أدخل معك؟ فقال رسول الله ﷺ: مكانك فإنك إلى خير إن شاء الله تعالى ^(٢).

روايات من مصادر شيعية

٦ - ومما روي في مصادر أهل البيت ما رواه الشيخ الكليني في حديث مفصل عن أبي بصير عن الإمام الصادق عليه السلام فيما بينه النبي ﷺ من تفسيرات لبعض الآيات فقال عليه السلام: (لكن الله عزَّ وجل) أنزله في كتابه تصديقاً لنبيه ﷺ ﴿إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ فكان علي والحسن والحسين وفاطمة عليهم السلام، فأدخلهم

١ - مسند أحمد للإمام أحمد بن حنبل - ج ٤ - ص ١٠٧.

٢ - غاية المرام للسيد هاشم البحراني - ج ٣ - ص ١٨٧ عن فرائد السطحي للحموي: ٢ / ١٨ / ب / ٣ / ح ٣٦٢، والقصود من زينب - هنا - هي زينب بنت جحش - زوجة رسول الله - كما هو الظاهر.

رسول الله ﷺ تحت الكساء في بيت أم سلمة، ثم قال: اللهم إن لكل نبي أهلاً وثقلاً وهؤلاء أهل بيتي وثقلي، فقالت أم سلمة: ألسنتُ من أهلك؟ فقال: إنك إلى خير ولكن هؤلاء أهلي وثقلي^(١).

٧ - الصدوق في علل الشرايع روى مُسنداً عن الإمام الحسين بن علي عن علي بن أبي طالب قال: دخلت على رسول الله ﷺ في بيت أم سلمة وقد نزلت عليه هذه الآية: ﴿إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ فقال رسول الله ﷺ: يا علي هذه الآية فيك وفي سبطي والأئمة من وُلدك، فقلت: يا رسول الله وكم الأئمة بعدك؟ قال: أنت يا علي ثم الحسن والحسين وبعد الحسين علي ابنه وبعد علي محمد ابنه وبعد محمد جعفر ابنه وبعد جعفر موسى ابنه وبعد موسى علي ابنه وبعد علي محمد ابنه وبعد محمد علي ابنه وبعد علي الحسن ابنه والحجة من ولد الحسين عليه السلام هكذا أسماؤهم مكتوبة على ساق العرش، فسألتُ الله تعالى عن ذلك فقال: يا محمد هذه الأئمة مطهرون معصومون وأعداؤهم ملعونون^(٢).

أيها القارئ الكريم: إن هذا المعنى هو ما صرّحت به الروايات في تفسير آية التطهير وهو أمر لا غبار عليه ولا يمكن إنكاره، حتى قال الرازي وهو يروي الحديث: وروي أنه عليه السلام: لما خرج في المرط الأسود، فجاء الحسن (رضي الله عنه) فأدخله، ثم جاء الحسين (رضي الله عنه) فأدخله ثم

١ - الكافي - الشيخ الكليني - ج ١ - ص ٨٧.

٢ - علل الشرائع: للشيخ الصدوق ١ / ٢٠٥ / ح ٢ / ب ١٥٦.

فاطمة، ثم علي (رضي الله عنهما) ثم قال: ﴿إِنَّمَا يريد الله ليذهب عنكم
الرَّجْسَ أهل البيت ويظهِركم تطهيراً﴾ قال: واعلم أن هذه الرواية كالمُتَّفَقِ
على صَحَّتْها بين أهل التفسير والحديث^(١).

تلاوة النبي ﷺ للآية عند بيتهم

ولأهمية انتباه الناس إلى ما في هذه الآية من معنى ملازم لها وهو
العصمة الثابتة لأهل البيت ﷺ وكونها دالة على إمامتهم أيضاً نجد إصرار
النبي ﷺ على أن يقف يومياً وإلى أشهر عديدة على باب بيت علي
وفاطمة ويقرأ هذه الآية ليعلم الناس أن أهل هذا البيت هم أهل البيت
المقصودون في الآية وهم المطهَّرون وهم الذين اذهب الله عنهم الرجس فلا
يمكن أن يُفسَّروها بغيرهم أو يدَّعوا باطلاً، فقد روى الكثير ومنهم الحسكاني
عن أبي الحمراء - وهو هلال بن الحارث مولى النبي وغلّامه، وأخرى عن
انس بن مالك وهو تَمَنَ خدَم النبي أيضاً قال: رابطنا النبي ﷺ ستة أشهر
يجئ إلى باب فاطمة وعلي فيقول: السلام عليكم ﴿إِنَّمَا يريد الله ليذهب
عنكم الرجس أهل البيت ويظهِركم تطهيراً﴾^(٢).

ويروى أيضاً عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ أنه كان يجيء إلى
باب علي ﷺ صلاة الغداة ثمانية أشهر يقول: (الصلاة رحمكم الله ﴿إِنَّمَا يريد
الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويظهِركم تطهيراً﴾)^(٣).

١ - تفسير الرازي - ج ٨ - ص ٨٥.

٢ - شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني - ج ٢ - ص ٧٨.

٣ - الدر المنثور لجمال الدين السيوطي - ج ٤ - ص ٣١٣.

والذي يؤكد على هذا أيضاً ما استدلل به الإمام علي عليه السلام على القوم حينما ناقشهم في الأمر فقال فيما قال: (أتعلمون أن الله أنزل: ﴿إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ فجمعتني وفاطمة وابني حسناً وحسيناً، ثم ألقى علينا كساءً وقال: اللهم هؤلاء أهل بيتي، لحمهم لحمي يؤلمني ما يؤلمهم، ويجرحني ما يجرحهم، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً. فقالت أم سلمة: وأنا يا رسول الله؟ فقال: أنت إلى خير. فقالوا: نشهد أن أم سلمة حدثتنا بذلك^(١).

العصمة دليل على الإمامة

بعد أن دلت الآية على طهر أهل البيت عليه السلام من الرجس - وهو يشمل كل ما يستنذر ومنها الذنوب والمعاصي - وأن الله تعالى طهرهم منها وأن طهارتهم تستلزم العصمة - نقول: إن العصمة تستلزم إمامتهم عليه السلام من جهتين.

أولاً: من جهة أفضليتهم حينئذ على غيرهم، فالأفضل يكون هو المتبوع وهو الإمام الذي يتبع لقوله تعالى ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾^(٢).

وللعقل الذي يحكم بذلك.

ثانياً: لأنهم عليه السلام ادَّعوا الإمامة لأنفسهم فلزم تصديقهم لأن الله تعالى طهرهم عن الرجس الشامل للكذب، وبذلك دلت آية التطهير - بالملازمة - على الإمامة لعلي عليه السلام والأئمة من ولده.

١- يتابع المودة لذوي القربى للقدوزي - ج ١ - ص ٣٤٨.

٢- يونس/ ٣٥.

دعواهم عليه السلام للإمامة

ربما يقول البعض: إن موضوع خلافة أهل البيت عليهم السلام لو كان حقاً لطلبوا به، وسناقش هذا الموضوع في محله ولكن يمكن القول هنا: إن الخلافة والترتب على العرش والحكم والسلطنة هي أمور من مظاهر الدنيا التي يتقاتل عليها أهلها، وإنما وإن كانت مطلوبة لأن بها إقامة الحق ودحض الباطل إلا أن الأئمة عليهم السلام تركوها لقلّة ناصريهم وكثرة خاذليهم من الأمة وأمّا الإمامة بمعناها الأعم والأشمل والتي فيها أبعاد أخرى هي أوسع من الحكم فهو مقام من الله تعالى لهم وفيهم، سواء حكموا أم لم يحكموا، وسواء ادعاهها غيرهم لأنفسهم أم لا.

وأما الخلافة بمعنى الحكم فقد أشار أهل البيت إلى غضب القوم منهم وإبعادهم عنها، ونحن يهمنّا العلم بأنهم هم الأئمة الذين يُديننا الله بهم دينه ويطالبنا بولايتهم ولا يهمنّا كثير أنهم طالبوا بها أو تركوها لاسيما ونحن نعلم قلّة مناصريهم وكثرة أعدائهم حتقاً وحسداً لهم أو بسبب حرصهم على دنياهم .

أهل البيت عليهم السلام وحقوقهم المخصوصة

ثم إننا نجد الكثير من نصوص أهل البيت عليهم السلام الدالة على أن القوم قد غضبواهم حقهم وظلموهم، ومرّ علينا ما قاله الإمام علي عليه السلام في الخطبة الشقشقية^(١)، كما إنه قال في خطبة أخرى: (فدع عنك قريشاً وتركاضهم في

الضلال، وتجوأهم في الشقاق، وجماعهم في التيه. فإنهم قد أجمعوا على حربي كإجماعهم على حرب رسول الله ﷺ قبلي، فجزت قريشاً عني الجوازي، فقد قطعوا رحمي، وسلّبوني سلطان ابن أُمي^(١).

وهناك الكثير من التلويحات أو المطالبات الصريحة أو الإشعار بالمظلومية التي كانت لأهل البيت ﷺ مما تدلّ على ادّعائهم للإمامة لهم، وتدلّ على ما عليه غيرهم من الباطل، وآية التطهير تُلزمنا بتصديق قولهم، وبذلك تُعدّ هذه الآية في عداد آيات الإمامة والولاية.

الخلاصة:

لقد دلّت آية التطهير على طهارة أهل البيت من كلّ رجس، فلزم من ذلك عصمتهم ﷺ والقول بإمامتهم. لأنهم هم الأفضل.

ولأنهم بيّنوا أن الإمامة والخلافة لهم من الله تعالى.

فيلزم تصديقهم لنزاهتهم عن الكذب بدلالة الآية نفسها.

فكانت آية التطهير واحدة من آيات إمامة وولاية أهل البيت ﷺ. والحمد لله ربّ العالمين.

١ - نهج البلاغة - خطب الإمام علي عليه السلام - ج ٣ - ص ٦١. قال الشيخ محمد عبده في شرح هذا المقطع: التركاض: مبالغة في الركض، واستعارة لسرعة خواطهم في الضلال. وكذلك التجوال من الجول والجولان. والشقاق: الخلاف؛ وجماعهم استعناؤهم على سابق الحق. والتهيه: الضلال والغواية والجوازي: جمع جازية بمعنى المكافأة، دعاء عليهم بالجزاء على أعمالهم، وابن أُمي: يريد رسول الله ﷺ فإن فاطمة بنت أسد أم أمير المؤمنين ربت رسول الله في حجرها فقال النبي في شأنها: فاطمة أُمي بعد أُمي (شرح نهج البلاغة الشيخ محمد عبده).

الفصل السابع

آية الميقات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾^(١).

هذه الآية المباركة وآيات أخرى مما تتعلق بالنبي موسى والنبي هارون عليهما السلام لها علاقة ودلالة على إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وذلك للحديث المشهور عن النبي صلى الله عليه وآله في حقه عليه السلام المعروف بحديث المنزلة وهو قوله صلى الله عليه وآله: (أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي)، فيستدل بهذه الآيات بضميمة هذا الحديث على الولاية للإمام علي عليه السلام.

الاستدلال بالآية

ويتم الاستدلال بالآية بملاحظة الأمور التالية:

الأمر الأول :

إن النبي موسى عليه السلام قد استخلف أخاه هارون عليه السلام وجعله خليفة على قومه حينما خرج إلى الميقات، كما صرّحت بذلك الآية المباركة: ﴿وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ فأصبح هارون عليه السلام خليفة لأخيه النبي موسى عليه السلام، مع كونه نبياً ووزيراً له وشريكاً له في مهمّته ورسالته إلى فرعون وقومه، فقد صرّحت الآيات بهذه الأمور على لسان النبي موسى عليه السلام، فقال سبحانه وتعالى حكاية عنه: ﴿وَأَجْعَلْ لِّي وَزِيْرًا مِّنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾ وقد أستجاب الله دعائه وقال سبحانه وتعالى: ﴿قَدْ أُوتِيَ سؤْلُكَ يَا مُوسَى﴾^(١) فكان هارون عليه السلام خليفة ووزيراً لموسى عليه السلام كما كان نبياً وأخاً له عليه السلام.

الأمر الثاني

إن حديث المنزلة هو من الأحاديث المشهورة والذي كرره النبي صلى الله عليه وآله في حق علي عليه السلام كثيراً وفي مواضع عديدة ومناسبات كثيرة، وقد ذكر هذا الحديث في الأمّهات من المصادر الإسلامية بطرق عديدة كالبخاري^(٢) ومسلم^(٣) في صحيحيهما وابن ماجه في سننه^(٤) وأحمد في

١ - سورة طه / ٢٩ - ٣٦ .

٢ - صحيح البخاري ج ٥ ص ٢٤ في غزوة تبوك .

٣ - صحيح مسلم ج ١ ص ٣٣٣ .

٤ - سنن ابن ماجه ج ١ ص ١٠٩ .

مسنده^(١) وغيرهم في عشرات المصادر مما لا يمكن إنكاره أو تجاهله، وذكروا ذلك في مناسبات عديدة ومنها خروج النبي ﷺ إلى تبوك حيث خلف الإمام علياً عليه السلام على المدينة وقال له: (أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى).

وقد روى هذا الحديث كثير من كبار الصحابة ومشاهيرهم مثل ابن عباس وأبي سعيد الخدري وزيد بن أرقم وسعد بن أبي وقاص وعبد الله بن عمر، ومن النساء روت ذلك أم سلمة أيضاً، وجاءت الروايات عن هؤلاء وغيرهم وبطرق متعددة، فمثلاً: قد روي عن سعد بن أبي وقاص بطرق متعددة أنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول لعلي عليه السلام: (أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي، أو ليس نبي بعدي) فقد روى سعيد بن المسيب عن عامر بن سعد عن أبيه سعد بن أبي وقاص الحديث وقال سعيد: أحببت أشافه بذلك سعداً فلقيته فذكرت له ما ذكره لي عامر، قال: فوضع إصبعيه في أذنيه وقال: استكنا إن لم أكن سمعته من النبي ﷺ^(٢) وذكر أصل الحديث عن سعد في البخاري^(٣) وصحيح الترمذي^(٤) وخصائص النسائي^(٥) والرازي في تفسيره^(٦) كما روى الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد^(٧) عن أسماء بنت

١ - مسند احمد ج ١ ص ١٧٣.

٢ - مناقب الخوارزمي رقم ١٤٨.

٣ - صحيح البخاري ج ٥ ص ٢٤ في غزوة تبوك.

٤ - صحيح الترمذي الحديث رقم ٣٧٣١.

٥ - الخصائص للنسائي ص ٦٧ رقم ٤٤.

٦ - تفسير الرازي ج ١٦ ص ٧٦.

٧ - تاريخ بغداد لأبي بكر محمد بن علي الخطيب البغدادي ج ١٠ ص ٤٣.

عميس ذلك والمصادر بذلك لا يمكن إنكارها، كما روي الحديث عن سعد أيضاً في قضيتته مع معاوية حيث روى مسنداً وقال: أمر معاوية بن أبي سفيان سعداً فقال: ما منعك أن تسبّ أبا التراب؟ فقال: أمّا ما ذكرت ثلاثاً قالهنّ له رسول الله ﷺ فلن أسبّه، لئن تكون لي واحدة منهن أحبّ إليّ من حُمُر النعم، سمعت رسول الله ﷺ يقول له وقد خلّفه في بعض مغازيه فقال له علي: يا رسول الله خلّفتني مع النساء والصبيان، فقال له رسول الله ﷺ: (أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبوة بعدي) وسمعتة يقول يوم خيبر: (لأعطين الراية رجلاً يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله) قال: فتناولنا لها، فقال: ادعوا لي علياً فأتي به أرمد فبصق في عينه ودفع الراية إليه ففتح الله عليه، ولما نزلت هذه الآية: ﴿فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم﴾ دعا رسول الله ﷺ علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال اللهم هؤلاء أهلي^(١) انتهى.

وطبعاً لم يكن معاوية نفسه ليجهل ذلك بل هو أيضاً ممن روى هذا الحديث فقد ذكروا أنّ رجلاً سأل معاوية عن مسألة فقال: سل عنها علياً فهو أعلم، قال الرجل: جوابك فيها أحبّ إليّ من جواب علي، قال معاوية: بشس ما قلت، لقد كرهت رجلاً كان رسول الله ﷺ يغره بالعلم غراً، ولقد قال له: أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبيّ بعدي، وكان عمر إذا أشكل عليه شيء أخذ منه^(٢).

١ - صحيح مسلم - ج ٧ ص ١٢٠ - ١٢١.

٢ - ترجمة الإمام علي عليه السلام من تاريخ دمشق ١ / ٢٩٦، الصواعق المحرقة لابن حجر الباب العاشر ص

وعلى أي حال .. فإن لحديث المنزلة شهرة وتواتراً بحيث لا يمكن إنكار ذلك.

الأمر الثالث

هو التأمل في الحديث نفسه، فبعد أن لاحظنا الآيات وما فيها من إثبات الخلافة هارون من قبل موسى عليه السلام وغير ذلك من المؤازرة والمعاضدة، نرى أن هذا الحديث يثبت لعلّي عليه السلام جميع ما ثبت هارون باستثناء منزلة النبوة حيث انه لا نبي بعد نبينا صلى الله عليه وآله، وكذلك سائر الامتيازات والخصوصيات الأخرى التي كانت هارون عليه السلام هي أيضاً لعلّي عليه السلام ومن أهمها وأبرزها هي الخلافة، حيث حكّت لنا الآية مقالة النبي موسى هارون عليه السلام: (اخلفني في قومي) وحيث جاء الحديث: (أنت مني بمنزلة هارون من موسى) فكان النبي صلى الله عليه وآله قد قال لعلّي عليه السلام: (اخلفني في قومي)، فتدلّ الآية بضميمة الحديث على خلافة الإمام علي عليه السلام وأنه مؤازراً ومعاضداً للنبي صلى الله عليه وآله.

وفي استثناء النبي لموضوع النبوة دلالة أيضاً على إثبات سائر المقامات التي كانت هارون - من القرب والفضل وغيرهما - للإمام علي عليه السلام ما عدا النبوة، فلا يمكن القول إن النبي صلى الله عليه وآله أراد إثبات منزلة واحدة لعلّي عليه السلام كأن يبين فضله فقط أو قربه منه، لأن الاستثناء بنفسه يدلّ على أن ما قبله أكثر من شيء، واحد لأن الواحد لا يُستثنى منه.

وأيضاً إن كلمة (منزلة) تفيد العموم لكونها نكرة، فيفهم من ذلك أن النبي أراد إثبات جميع المنازل التي كانت عند هارون لعلّي عليه السلام باستثناء النبوة، ومن تلك المنازل هي الخلافة، وهذا ما نريد إثباته.

بعض الاستفسارات

الأول: هل الحديث في قضية خاصة؟

إن الذي حكته الآية عن النبي موسى وأخيه هارون عليهما السلام في استخلافه له هو حكاية في قضية، يعني حينما أراد النبي موسى الخروج إلى الميقات استخلف أخاه على قومه، ولما رجع انتهت خلافة هارون لموسى، وكذلك النبي ﷺ لما أراد الخروج إلى تبوك استخلف علياً على المدينة ولما رجع انتهت خلافته، فكيف يُستفاد من هذا الحديث الذي هو في خصوص هذه القضية في موضوع الخلافة العامة بعد النبي ﷺ؟

الجواب :

في الإجابة على هذا السؤال ذكروا عدة أمور:

أولاً: إن كلمة (منزلة) هي نكرة ولها دلالتها على العموم، فهي تشمل جميع منازل هارون من موسى، ومن تلك المنازل هي استحقاق هارون منزلة الخلافة لموسى دائماً، وذلك لأنه وزير موسى وشريكه ومفروض الطاعة على قومه، فكذلك الأمر بالنسبة للأمام علي عليه السلام

ثانياً: إن النبي موسى قد أطلق الاستخلاف والخلافة هارون ولم يقيد بها بذهابه وإيابه، فتبقى خلافته مستمرة لموسى ما لم يُعزل عنها، فكذلك تكون خلافة الإمام علي عليه السلام للنبي ﷺ مستمرة، وكما لم تعزل خلافة هارون كذلك ما عزلت خلافة الإمام علي عليه السلام.

ثالثاً: إن من يتتبع حديث المنزلة وما قاله النبي ﷺ في حق الإمام علي عليه السلام لا يرى فيه خصوصية بقضية الخروج إلى تبوك وتركه علياً في

المدينة حتى يُفترض أن الأمر كان في واقعة خاصة، وذلك لأن هذا الحديث قد صدر من النبي ﷺ في مواطن عديدة وقضايا كثيرة تجاوزت العشرين قضية وقد كانت قضية خروجه إلى تبوك واحدة من تلك المواطن العديدة، وهذا الأمر يدلّ على إرادة النبي ﷺ من حديثه الخلافة الدائمة والمستمرة لعلي عليه السلام وليس الأمر خاصاً في خروجه يوم تبوك.

حديث المنزلة في موارد عشرة

وأذكر هنا بعض تلك القضايا والأحداث التي بمناسبة تكرار النبي ﷺ ذلك الحديث، فلنلاحظ ذلك:

١ - يوم الدّار: وذلك حينما جمع النبي كبار قريش ودعاهم إلى الدين ونصرته فقد روي أن النبي ﷺ جمع بني عبد المطلب في الشعب وهم يومئذ أربعون رجلاً فجعل لهم علي عليه السلام فخذاً من شاة (إلى أن قال الراوي): فقال رسول الله ﷺ: إن الله أمرني أن انذر عشيرتي الأقربين، ورهطي المخلصين وأن الله تعالى لم يبعث نبياً إلا جعل له من أهله أخاً وارثاً ووزيراً ووصياً وخليفة في أهله، فأيتكم يباعني على أنه أخي ووزير ووصي ووارثي دون أهلي ويكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي؟ فسكت القوم، فأعاد الكلام عليهم ثلاث مرات. فقام علي وهم ينظرون كلهم إليه فباعه وأجابه إلى ما دعاه^(١).

٢ - يوم المؤاخاة، فقد آخى النبي بين أصحابه في مكة وآخى بينه وبين علي، وذكر الحديث هناك، فقد نقل المتقي الهندي في كنز العمال، مستنداً

إلى زيد بن أرقم قال: لما آخى النبي ﷺ بين أصحابه قال علي: لقد ذهب روحي وانقطع ظهري حين رأيتك فعلت بأصحابك ما فعلت غيري، فإن كان هذا من سخط عليّ فلك العتبي والكرامة.

فقال رسول الله ﷺ: والذي بعثني بالحق ما أحرّتك إلا لنفسي، وأنت مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي، وأنت أخي ووارثي.

قال: وما أرتُ منك يا رسول الله؟

قال: ما ورث الأنبياء من قبلي.

قال: وما ورث الأنبياء من قبلك؟

قال: كتاب ربهم وسنة نبيهم، وأنت معي في قصري في الجنة مع فاطمة ابنتي، وأنت أخي ورفيقي.^(١)

والمصادر لهذا الحديث في هذه القضية كثيرة جداً^(٢).

٣ - يوم ولادة الإمام الحسن والإمام الحسين عليهما السلام: فقد روت أسماء بنت عميس وقالت: قال رسول الله لعلي يوم ولادة الحسن: أي شيء سميت ابني؟

قال عليه السلام: ما كنت لا سبقك بذلك.

فقال عليه السلام: ولا أنا سابق ربي به. فهبط جبرائيل فقال: يا محمد إن ربك يقرؤك السلام ويقول لك: (علي منك بمنزلة هارون من موسى ولكن لا

١ - كنز العمال للمقي المهندي ج ١٣ - ص ١٠٥ حديث رقم ٣٣٤٥ .

٢ - منها المعجم الأوسط للطبراني ج ٨ ص ٤٢٥ حديث ٧٨٩٠ وجمع الزوائد للهيتمي ج ٩ ص ١١١ ط مصر وفضائل الصحابة لأحمد حديث ١٠٨٥ وغير ذلك .

نبي بعدك، فسمّ ابنك هذا باسم ولد هارون^(١). و اسم ولده شبّر فعربّه فكان حسناً فسمّاه النبي ﷺ حسناً

وأيضاً تكرر الحديث كما تكررت كلّ القضية في يوم ولادة الإمام الحسين عليه السلام حيث الرواية عن أسماء أيضاً قالت: قال رسول الله لعلي يوم ولادة الحسين عليه السلام: أي شيء سميتَ ابني... وهكذا الحديث نحو ما تقدم عن الإمام الحسن عليه السلام، فهبط جبرائيل فقال: يا محمد إن ربك يقرؤك السلام ويقول لك: علي منك بمنزلة هارون من موسى ولكن لا نبي بعدك، فسمّ ابنك هذا باسم ولد هارون.. الخ^(٢) و كان اسم الابن الثاني لهارون هو شبير وكان عربّه حسيناً، فسمّاه حسيناً.

٤ - يوم المباهلة: فقد روي الحديث أيضاً في يوم المباهلة و رواه انس بن مالك قال: لما كان يوم المباهلة وآخى النبي ﷺ بين أصحابه المهاجرين والأنصار - وساق الحديث إلى أن قال -: فأخذ بيده وأرقاه المنبر وقال: اللهم هذا مني وأنا منه، ألا إنه مني بمنزلة هارون من موسى، ألا من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه^(٣).

٥ - يوم خيبر: حيث روي عن جابر الأنصاري قال: لما قدم عليّ على رسول الله ﷺ بفتح خيبر قال له رسول الله ﷺ: (لولا تقول فيك

١ - يتابع المودة للقدوزي الحنفي: ١ / ٢٦١ ط. النجف، وفراند السطفي للحموي: ٢ / ١٠٤ ح ٤١٢ باب ٢٣.

٢ - مقتل الحسين للخوارزمي: ٨٧ - ٨٨ الفصل السادس فضائل الحسين.

٣ - الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف للسيد ابن طاووس / ١٤٨ - ١٤٩ ح ٢٢٤ عن مناقب ابن المغازلي، والعمدة: ٤٦.

طائفة من أمّتي ما قالت النصارى في المسيح بن مريم لقلتُ فيك اليوم مقالاً لا تمرُّ بملاً إلاّ اخذوا التراب من تحت قدميك ومن فضل طهورك فاستشفوا به، ولكن حسّبك أن تكون مني وأنا منك ترثني وأرثك وأنت مني بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنه لا نبيّ بعدي^(١).

٦ - عند الكعبة الشريفة: فقد روي عن ابن عباس أنه قال: رأيت أبا ذر الغفاري متعلّقاً بحلقة بيت الله الحرام وهو يقول: إني رأيت رسول الله في العام الماضي وهو آخذ بهذه الحلقة وهو يقول: (يا أيّها الناس لو صُمتم حتى تكونوا كالحنايا.. - إلى أن قال - : عليّ سيد المسلمين وإمام المتقين، يقتل الناكثين والمارقين والجاحدين، وعليّ مني بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنه لا نبيّ بعدي)^(٢).

٧ - عند التفاضل بين أولاد أبي طالب: حيث روي عن ابن عقيل عن أبيه قال: نازعتُ علياً وجعفر بن أبي طالب بين يدي رسول الله في شيء فقلت: والله ما أنتما بأحبّ إلى رسول الله ﷺ مني، إن قرابتنا لواحدة، وإن أبانا وأمنا لواحد، كذلك يا رسول الله؟ فقال رسول الله ﷺ: (يا عقيل والله إني لأحبّك لحلتين لقرابتك ولحبّ أبي طالب أبيك، وأمّا أنت - يا جعفر - إن خلقك يشبه خلقي. وأمّا - أنت يا علي - فأنت مني بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنه لا نبيّ بعدي)^(٣).

١ - مناقب الخوارزمي: ١٢٩ ح ١٤٣ الفصل ١٣، ويتابع المودة: ١ / ٧٢ ط. النجف.

٢ - كنز القوائد لأبي الفتح الكراكجي / ٢٨٢.

٣ - تاريخ دمشق/ ابن عساکر/ ترجمة عبید الله بن عبد الله بن هشام الدلاني، و ترجمة محمد الأصغر ابن عقيل.

٨ - يوم سدّ الأبواب إلّا باب علي عليه السلام: فعن جابر الأنصاري قال: جاءنا رسول الله صلى الله عليه وآله ونحن مضطجعون في المسجد وفي يده عسيب رطب فضربنا وقال: أترقدون في المسجد؟ انه لا يرقد فيه أحد. فأجفنا وأجفل معنا علي بن أبي طالب فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: تعال يا علي انه يحلُّ لك في المسجد ما يحلُّ لي، يا علي ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلّا النبوة^(١).

٩ - قبيل وفاة النبي صلى الله عليه وآله: حيث روي أن أم سلمة قالت لابن عباس (... سمعته - أي رسول الله صلى الله عليه وآله - يقول في علي قبل موته بجمعة فان زاد علي جمعة فلن يزيد علي عشرة أيام... إلى أن قالت: اسمعي - يا أم سلمة - قولي واحفظي وصيتي واشهدي وأبلغني: هذا أخي في الدنيا والآخرة.. وهو مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي)^(٢).

١٠ - يوم مرض النبي صلى الله عليه وآله: حيث روي عن علي عليه السلام قال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله أوعز إليّ قبل وفاته وقال لي: (يا أبا الحسن إن الأمة ستغدر بك من بعدي وتنقض فيك عهدي وإنك مني بمنزلة هارون من موسى وإن الأمة بعدي كهارون ومن اتبعه والسامري ومن اتبعه)^(٣).
هذه عشرة مواطن من غير ما ذكر في قضية تبوك، وهناك أكثر من عشرة مواطن أخرى يمكن ملاحظتها في مصادرها^(٤).

١ - ترجمة أمير المؤمنين تاريخ ابن عساکر: ١ / ٢٩٠، كفاية الطالب للكنجي الشافعي ٢٨٤ الباب ٧٠

٢ - مناقب الكوفي: ١ / ٣٥٥ ح ٢٨١.

٣ - الاحتجاج للشيخ الطبرسي / ١ / ٧٥ ذكر طرف مما جرى بعد وفاة الرسول من اللجاج.

٤ - لاحظ كتاب النص على أمير المؤمنين عليه السلام للسيد علي عاشور.

ولا يخفى على النصف بعد مراجعته لهذا الحديث في هذه الموارد وغيرها أن ما أراده النبي من ذلك هو الخلافة المستمرة لعلي، وليس الأمر خاصاً بمخروجه إلى تبوك أو إلى غيرها، ولذلك احتجّت السيدة الزهراء عليها السلام بهذا الحديث في الدفاع عن بعلمها أمير المؤمنين عليه السلام فقد روي عن ابنتها أم كلثوم قالت: قالت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله: (أنسيتم قول رسول الله يوم غدير خمّ من كنت مولاه فعليّ مولاه؟) وقوله: (أنت مني بمنزلة هارون من موسى) ^(١).

وفي رواية رواها الطبري من طرق متعددة في خطبتها في مجلس أبي بكر أنها قالت: أنسيتم قول رسول الله: (أنت مني بمنزلة هارون من موسى)، وقوله (إني تارك فيكم الثقلين)، ما أسرع ما أحدثتم وأعجل ما نكثتم) ^(٢).
فالإمام عليّ خليفة للنبي ووصي له ووارثه.

وفي الواقع لم يكن الإمام علي للنبي بمنزلة هارون من موسى وحسب بل كان للنبي بمنزلة اقرب أوصياء كلّ نبي في زمن ذلك النبي، ففي الحديث عن الإمام الصادق جعفر بن محمد عن آبائه عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (يا علي أنت مني بمنزلة شيث من آدم وبمنزلة سام من نوح، وبمنزلة إسحاق من إبراهيم، كما قال تعالى: ﴿ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب﴾ وبمنزلة هارون من موسى، وبمنزلة شعون من عيسى، وأنت وصي ووارثي وأنت أقدمهم سلماً وأكثرهم علماً وأوفرهم حلماً وأشجعهم

١ - اسمى المناقب في تهذيب أسنى المطالب للعلامة شمس الدين محمد الجزري الدمشقي / ٣٣ ح ٥.

٢ - دلائل الإمامة لمحمد بن جرير بن رستم الطبري / ٣٩ حديث فذك.

قلباً وأسخاهم كَفَّأً، وأنت إمام أمتي وقسيم الجنة والنار وبمحبَّتكَ يُعرف الأبرار من الفجَّار ويُمَيِّز بين المؤمنين والمنافقين والكفار^(١).
أيها القارئ الكريم: بعد ملاحظة هذه الأحاديث يسعنا القول بأن الجواب قد أتى وافياً لهذا الاستفسار الأول .

الثاني: أين خلافة هارون بعد موسى؟

من المعلوم أن النبي هارون عليه السلام قد مات في حياة النبي موسى عليه السلام، وبموته انتهى موضوع خلافته لموسى عليه السلام، وعليه لا خلافة له بعد أخيه موسى، فالسؤال هو: كيف يُستدلّ بذلك على خلافة الإمام علي بعد النبي صلى الله عليه وآله مع أن هارون لم تكن خلافته بعد موسى بل كانت في حياته وحسب؟

الجواب على ذلك بأمور:

أولاً: إن مجرد إثبات منزلة الخلافة- بما هي خلافة- لعلي عليه السلام يكفي لإثبات ذلك بعد النبي صلى الله عليه وآله أيضاً، لأن منزلة الخلافة هي بنفسها يعني الاستحقاق لذلك وهذا الاستحقاق موجود بوجود صاحبه، والإمام علي عليه السلام بقي بعد النبي صلى الله عليه وآله فبقي معه هذا الاستحقاق وهذه المنزلة، دون عزل من النبي له. وحتى عند الاحتمال أو الشك في بقاء هذه المنزلة وبقاء ذلك الاستحقاق بعد رحيل النبي نعمل بالقاعدة العقلانية الجارية عند الناس عادة، أعني قاعدة الاستصحاب، ونستصحب بقاء هذه المنزلة وهي الخلافة له عليه السلام.

ثانياً: لماذا لا نلاحظ الحالة المقابلة لموت هارون عليه السلام؟ أي نلاحظ

١ - ينابيع المودة/ للقدوزي الحنفي/ ١ / ٨٦ ط. اسلامبول و١ / ٩٨ ذيل الباب السادس عشر ط. النجف، وإحقاق الحق: ٤ / ١٦٠ و ٥ / ٢٣٤ .

١٨٢ أربعون آية

الخلافة حال حياة هارون ونقول إن هارون كان خليفة طالما كان حياً
فكذلك الإمام علي عليه السلام تُلَازمه الخلافة طالما هو حي وموجود.

ثالثاً: إن تأكيد النبي صلى الله عليه وآله على أنه لا نبيَّ بعده يُفهم منه جلياً هو أن
منزلة الخلافة والإمامة والقيادة باقية للإمام علي عليه السلام ولكنه ليس بنبي بعد
نبوة النبي، ويؤيد هذا اقتران حديث المنزلة في بعض موارد بكلام صريح
بالبعدية مثل وصيِّ ووارثي وما شابه كما في حديث الدار، حيث هذه الأمور
تكون عادة بعد وفاة الإنسان، فكذلك ما قرن معها من ذكر الخلافة أيضاً.

الثالث: هل يراد الخلافة مباشرة بعد النبي؟

أليس الإمام علي عليه السلام أصبح خليفة وحاكماً بعد رسول الله صلى الله عليه وآله؟
وان كان ذلك بعد سنين طويلة، فقد تحقق ما قاله النبي صلى الله عليه وآله في حقه، وهذا
لا يضرّ بخلافة من كان قبله، فان لفظ (بعدي) يحتمل البعدية غير المباشرة
أيضاً؟

الجواب: إن إثبات الخلافة له عليه السلام يستلزم إبطال خلافة من سواه

لاسيما خلافة أولئك الذين باشروا الحكم بعد رحيل النبي صلى الله عليه وآله، وذلك لان
المتبادر والمفهوم من كلام النبي صلى الله عليه وآله أنه يريد إثبات الخلافة لعلي عليه السلام
بعده مباشرة ودون فصل، فهذا أمر عرفي وشائع بين الناس فلو قال أحدهم:
أعطوا مواردني إلى فلان بعد حياتي فالمقصود أعطوه ذلك رأساً ومباشرة بعد
الموت، لا أن يأخذها غيره ويعطيها لغيره وهكذا حتى تعود إلى صاحبها؟!!!
والأمر أوضح فيما لو كان الأمر يتعلّق بالحكم والخلافة وكان الكلام

صادراً من الحاكم نفسه، فحينما يقول رئيس القوم: إن رئيسكم بعدي فلان، لا يتردد القوم أن المراد بعده مباشرة وبلا فصل.

وتما يؤكد على أن مراد النبي ﷺ هي الخلافة المباشرة بعده هو استدلال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بهذا الحديث في حواراته وخطبه مع القوم فقال - في ضمن خطبة الوسيلة-: (فإن الله تبارك اسمه امتحن بي عباده وَقَتَلَ بيدي أضداده وأفتى بسيفي جُحَّاده و جعلني زلفة للمؤمنين وحياضَ موتِ علي الجبارين وسيفه على المجرمين وشدَّ بي أزر رسوله وأكرمني بنصره وشرَّفني بعلمه وحباني بأحكامه واختصني بوصيته واصطفاني بخلافته في أمته فقال ﷺ - وقد حشده المهاجرون والأنصار وانفصت بهم المحافل - : (أيها الناس إن علياً مني كهارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي)، فعقل المؤمنون عن الله نطق الرسول إذ عرفوني أني لست بأخيه لأبيه وأمه كما كان هارون أخا موسى لأبيه وأمه ولا كنتُ نبياً فأقتضي نبوة، ولكن كان ذلك منه استخفافاً لي كما استخلف موسى هارون عليه السلام حيث يقول: ﴿اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين﴾^(١).

وكان خطابه ومحاجته هذه بعد أسبوع من وفاة النبي ﷺ، مما يدل على فهمه وفهم الناس المباشرة للخلافة بعد النبي وبلا فصل.

الخلاصة: إن قوله تعالى: ﴿وقال موسى لأخيه هارون اخلفني في قومي﴾ مُنْصَماً الى حديث النبي لعلني: (انت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي) يدل على خلافة الإمام علي عليه السلام والحمد لله رب العالمين.

الفصل الثامن

آية الصادقين

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾^(١).

تُعدُّ هذه الآية المباركة من آيات الولاية لأمر المؤمنين علي عليه السلام وكذلك للأئمة الطاهرين عليهم السلام، حيث يمكن الاستدلال بها على إمامتهم عليهم السلام.

الاستدلال بالآية

وأما كيفية الاستدلال بهذه الآية فمن جهات عديدة:

الجهة الأولى: دلالة الآية نفسها

إن الآية بنفسها تدلّ على وجود جماعة معصومين من الذنوب والخطأ.. وبما أنه لم يقل أحد بوجود معصومين بعد النبي صلى الله عليه وآله غير الأئمة الإثني عشر عليهم السلام ثبت أن مراد الآية من ﴿الصَّادِقِينَ﴾ - الذين تجب الكينونة معهم بمعنى لزوم إتباعهم - هم الأئمة من آل البيت عليهم السلام.

وفي الحقيقة إن في هذه الجهة ادّعاءين يلزم إثباتهما حتى نخرج

بالنتيجة المطلوبة.. فادّعاء يقول بدلالة الآية على وجود جماعة معصومين وادّعاء آخر يقول إن المراد من أولئك الصادقين هم بالفعل هم الأئمة الاثنا عشر (أئمة أهل البيت) عليهم السلام.

و لنناقش الأمر بصورته المفصلة:

الدعوى الأولى: (الصادقون معصومون)

لو تأملنا الآية المباركة وجدناها تدلّ على وجود جماعة معصومين يلزم إتباعهم، وهؤلاء هم الصادقون، ولهذه المفردة (الصادقين) ثلاث ملاحظات وهي:

الملاحظة الأولى: إن مفردة (الصادقين) في الآية المباركة جاءت مطلقة وغير مقيدة بنوع من أنواع الصدق مما يدلّ على إرادة جميع معاني ومصاديق الصدق، لأنه توجد موارد ومصاديق كثيرة للصدق، فتارة يراد من الصدق معناه المضيق وهو مطابقة القول والخبر للواقع الخارجي، وتارة يأتي الصدق بمعنى أوسع وهو مطابقة الاعتقاد والإرادة والسلوك - وما إلى ذلك - مع الواقع والحقيقة فيقال: فلان صادق في عزمته، وذلك حينما يحقق أهدافه على الأرض، وفلان صادق في تصرفاته ومواقفه، أي غير مرء فيها، وفلان صادق في عمله ومعاملاته، أي لا يغش ولا يتواني فيها، فهناك الصدق بالقول وبالعمل والنية والفكر والعقيدة والصدق في السبل والطرق وغير ذلك. فحينما قالت الآية: (الصادقين) بصورة مطلقة كان المعنى: الصادقين في كلّ شيء وفي كلّ حالة وفي كلّ زمن، وهذا لا يعني إلا العصمة لهؤلاء الأفراد، لأن العصمة للفرد تجعله صادقاً في كلّ صغيرة وكبيرة من قول وفعل وفكر ونية وغير ذلك.. ونفهم من هذا أن مفردة (الصادقين) تدلّ على

جماعة معصومين أرادتهم الآية.

الملاحظة الثانية: لو لاحظنا إطلاق الأمر في الآية للمؤمنين بأن يكونوا مع الصادقين وإتباعهم لهم بصورة مطلقة نجد أن الأمر مطلق أيضاً وغير مقيد بحالة من الحالات وبخصوصية دون أخرى، بل تجب الكينونة معهم دائماً وفي كل الحالات مما يبيّن كونهم معصومين من المعصية والخطأ حتى يصحّ إتباعهم والإفتداء بهم في كل الأحوال والأزمة وفي سائر الظروف.. فإنهم لو لم يكونوا معصومين وجاز عليهم الخطأ والاشتباه والمعصية لم يكن الله تعالى ليأمر عباده بملازمتهم دائماً، لأن الحكمة تنافي ذلك، بل كان يفترض أن تُقيد الآية بطاعتهم وإتباعهم والكينونة معهم في حالات خاصة وهي حال كونهم مطيعين لله تعالى فقط، مما يكشف عن إمكانية صدور المعصية منهم في بعض الأحيان وفي هذا الفرض لا يصحّ ملازمتهم دائماً وفي كل الأحوال.

وكما نَبّهنا سابقاً في الحديث عن آية الطاعة أننا نلاحظ وصية الله تعالى للإنسان بالإحسان إلى والديه والبرّ بهما جاءت مقيدة ومشروطة بان لا يأمره بالمعصية كما قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(١) فقد أمر الله سبحانه وتعالى الأبناء بطاعة الوالدين، ولكن هذه الطاعة مقيدة بشرط وهو أن لا يأمره بالمعصية، ومثل ذلك في سورة لقمان أيضاً حيث يقول تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنَا

عَلَى وَهْنٍ وَفَصَالَهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴿١﴾
 ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا
 وَصَاحِبَهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ
 مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(٢) .. بينما نلاحظ فيما نحن فيه أن
 الأمر جاء مطلقاً وشاملاً لكلِّ حالات أولئك الصادقين بما يدلُّ على أنهم
 جماعة معصومون من الذنب ولا يأمرن بالمعصية مطلقاً ولا يفعلونها مطلقاً
 بحيث يصحُّ إتباعهم وملازمتهم مطلقاً أيضاً.

الملاحظة الثالثة: لقد دعت الآية المؤمنين لأن يكونوا مع الصادقين

فهل هؤلاء الصادقون هم جميع المؤمنين ؟

من المؤكد أنه ليس كذلك. إذ لا يمكن أن يراد من (الصَّادِقِينَ) هنا
 جميع المؤمنين، بل لابد أن يراد بعضهم، وذلك لأن المنادى غير المنادى إليه
 عادة، بمعنى أن الإنسان إنما يُنادى ليطلب منه شيء آخر وذلك الشيء هو
 غير الإنسان المنادى نفسه، وعليه لا يُدعى الإنسان ولا يُطلب منه الكينونة
 مع نفسه، والآية طلبت من المؤمنين أن يتبعوا الصادقين فيلزم أن يكون
 الصادقون هنا غير مَنْ نودوا وخوطفوا بالآية، لأن المنادى غير المنادى إليه
 فالصادقون هم بعض المؤمنين الموصوفين بالصدق الشامل والمطلق والدائم، و
 بمعنى آخر هم المعصومون الذين يلزم على بقية المؤمنين متابعتهم.

وبهذه الملاحظة الثالثة تُتَمُّ الدعوى الأولى من دلالة الآية على وجود

جماعة خاصّة وأفراد محددين موصوفين بالعصمة.

الدعوى الثانية: الصادقون هم أهل البيت عليهم السلام

لاشك أن المراد من الصادقين في الآية هم أئمة أهل البيت عليهم السلام ..
 لقد أثبتنا آنفاً وجود المعصومين وهم (الصادقين) في الآية فعلينا الآن إثبات أن المراد من الصادقين في الآية هم أئمة أهل البيت عليهم السلام واثبات هذا المدعى يكون بملاحظة أمرين:

الأول: هو ما ثبت من أن العصمة للشخص توجب على الآخرين لزوم إتباعه وطاعته وهذا معنى الإمامة له.. أي أن المعصوم إنما وجبت العصمة له لأنه خليفة الله تعالى في الأرض، فإذا دلت الآية على وجود معصومين فقد دلت على وجود الأئمة والخلفاء والمهجج الإلهية.

الثاني: بعد ما ثبت لزوم وجود المعصومين الذين يلزم إتباعهم في الآية وتلزم الكينونة معهم لا بد من القول أنهم هم الأئمة الاثنا عشر عليهم السلام إذ ليس هناك من ادعى لهم العصمة بعد النبي صلى الله عليه وآله غيرهم، ولو رفضنا عصمتهم وإمامتهم كانت الآية باطلة في مفادها وطلبها، وذلك لتكليف المؤمنين بما هو محال أي غير موجود، وحاشا لكتاب الله أن يدعو إلى متابعة ما لا وجود له أصلاً، فهو تكليف بما لا يطاق، فلا بد من حمل الآية على القول الحق من أن المراد هو الإتياع للأئمة الصادقين المعصومين (عليهم صلوات الله تعالى).

أيها القارئ الكريم: إلى هنا انتهينا من الحديث عن الجهة الأولى وبما تقدم يتضح دلالة الآية بنفسها على خلافة الإمام عليّ أمير المؤمنين عليه السلام.

الجهة الثانية: دلالة الآية بضميمة آيات أخرى

نانياً: فيما سبق ذكرنا الاستدلال بالآية مستقلة و منفصلة عما سبقها

أو لحقها، والآن نتحدث عن هويّة هذا الصادق والمعصوم والإمام وذلك بعد ضمّ هذه الآية إلى آيات أخرى وصفت الصادقين بأوصاف متعدّدة يتميّز وينفرد بها الإمام علي عليه السلام مما يدلّ على أنه هو المراد منها تزيلاً أم تأويلاً. وبعد ضمّ تلك الآيات إلى هذه الآية نخلص إلى أن هذه الآية تدعو المؤمنين إلى إتباع الإمام علي عليه السلام الذي يحمل صفات أولئك الصادقين، فهو من الصادقين بشكل كامل وشامل ونحن مأمورون أن نكون معهم.

فإن الآية تقول: ﴿كُونُوا مَعَ الصّٰدِقِينَ﴾ ولم تقل (من الصادقين) لأن المراد الإتيان لهم ولأنه لا يمكن أن نكون منهم بعد أن أريد منهم المعصومون عليه السلام وهم أفراد خصّهم الله تعالى بالعصمة والصدق والطهارة المطلقة.

أمّا الآيات التي تنضمّ إلى هذه الآية فهي قوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾^(١).
وأيضاً قوله سبحانه:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصّٰدِقُونَ﴾^(٢).

١ - البقرة/١٧٧.

٢ - الحجرات/١٥.

وقوله سبحانه أيضاً:

﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ
فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾^(١).

فنلاحظ أن الآيات - لاسيما الأولى منها - اشترطت مجموعة من الصفات فيمن يُنعتون بالصادقين من الإيمان والإنفاق وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والوفاء بالعهد والصبر في البأساء والضراء وفي ساحة القتال وابتغاء الفضل من الله والرضوان ونصرة الله تعالى ورسوله .. إلى آخرها

وإذا أنصفنا وراجعنا كتب التاريخ والسير في تلك الحقبة لم نجد هذه الصفات مجتمعة بأجمعها في صحابة النبي ﷺ سوى الإمام علي عليه السلام، فقد اجتمعت فيه هذه الصفات وجاءت النصوص من آيات أخرى وأحاديث تصفه بهذه الصفات وبغيرها.. فهو أول الناس إيماناً وهو الذي أقام الصلاة وصلى مع النبي ﷺ قبل غيره من المسلمين بسبع سنين وهو الذي نزلت فيه: ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾^(٢).

وهو الذي قال الله تعالى فيه: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾^(٣) وهو الذي شهد له الجميع انه لم يفر من حرب ولا زحف، وهو من وفى بالعهد مع رسول الله ﷺ بخلاف غيره ممن خذل النبي ﷺ وولى هارباً، فلم يكن هو بمن انطبقت

١- الحشر/ ٨ .

٢- الدهر / ٨ / ٩ .

٣- المائدة/ ٥٥ .

عليه صفات الصادقين في الآية الآتية لأنه لم يستكمل تلك الصفات فلا ينبغي اتخاذه إماماً حتى وان تصدّى للخلافة بعد النبي ﷺ.

ثم إننا حتى ولو افترضنا أن لتلك الآيات - و تلك الصفات التي احتوت عليها - مصاديق كثيرة من المؤمنين المجاهدين الذين ثبتوا مع النبي ﷺ إلا أنهم كانوا على درجات مختلفة ولا شك أن أمير المؤمنين عليه السلام هو المصداق الأجلى والأسمى والأفضل لكل تلك الآيات والصفات، فكان هو المراد في الآية المباركة - آية الصادقين - والمطلوب هو إتباعه وملازمته، وهذا يعني اتخاذه إماماً وقُدوة، وكذلك الأئمة الأطهار من أولاده عليه السلام.

إذن هذه جهة ثانية في الآية بعد ضمها إلى الآيات الأخرى دلّت على إمامة الإمام علي عليه السلام وعلى اقل الفروض أنها كانت داعمة ومُسندة للأدلة الأخرى من آيات ونصوص مما ذكر وستُذكر إن شاء الله .

الجهة الثالثة: دلالة الآية بضميمة الأحاديث

وثالثاً: الاستدلال بهذه الآية المباركة من حيث الروايات التي جاءت في تفسيرها والتي تصرّح بان المراد من كلمة (الصّادِقين) في الآية هو شخص أمير المؤمنين عليه السلام أو هو مع أولاده الأئمة عليه السلام.. وجاءت هذه الروايات في كتب المسلمين عامّة سنة وشيعة ونذكر هنا بعضها.

في مصادر غير الشيعة

١ - روى العلامة السيوطي في الدر المنثور عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾ قال : مع علي بن أبي طالب^(١).

٢ - نقل الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل عن عبد الله بن عمر في قوله تعالى: (مع الصادقين) قال: مع محمد وأهل بيته^(١).

٣ - العلامة الألووسي في روح البيان عن ابن عباس بان المراد هو: كونوا مع علي ابن أبي طالب^(٢).

٤ - العلامة ابن الجوزي قال: قال علماء السير: معناه كونوا مع علي وأهل بيته.. قال بن عباس: علي عليه السلام سيد الصادقين^(٣).

هذه بعض المصادر من كتب أهل السنة وهناك مصادر كثيرة لهم بذلك.

وأما من مصادر أهل البيت عليهم السلام

١ - في الكافي عن ابن أبي نصر عن أبي الحسن الرضا عليه السلام. قال الراوي: سألته عن قول الله (عزَّ وجل): ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ قال: (الصادقون هم الأئمة والصدِّيقون بطاعتهم) أي أنهم عليهم السلام صدِّيقون بطاعتهم لله تعالى^(٤).

٢ - كتاب الكافي عن بريد بن معاوية قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله (عزَّ وجل): ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ قال: إِيَّانَا عني.

قال الشارح: سرُّ ذلك أنه ليس المراد بالصادقين الصادقين في الجملة إذ ما من احد إلا وهو صادق في الجملة حتى الكافر، والله سبحانه لا يأمر

١ - شواهد التنزيل للحسكاني ج ١ ص ٢٦٢ .

٢ - تفسير روح البيان للألووسي ج ١١ ص ٤١ .

٣ - تذكرة الخواص للمسط بن الجوزي ص ٢٠ .

٤ - الكافي للشيخ الكليني ج ٨ ص ٢٠٨ .

بالكون معه، بل المراد بهم الصادقون في إيمانهم وعهودهم وقصودهم وأقوالهم وأخبارهم وأعمالهم وشرايعهم في جميع أحوالهم وأزمانهم وهم الأئمة المعصومون من العترة الطاهرة، لأن كل من سواهم لا يخلو عن الكذب في الجملة. انتهى^(١).

٣ - عن عجلان أبي صالح قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: أوقفني على حدود الإيمان.

فقال: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله والإقرار بما جاء به من عند الله وصلاة الخمس وأداء الزكاة وصوم شهر رمضان وحج البيت وولاية وليّنا وعداوة عدوّننا والدخول مع الصادقين^(٢).

قال العلامة المجلسي - موضحاً للحديث - : والدخول مع الصادقين متابعة الأئمة الصادقين في جميع الأقوال والأفعال، أي المعصومين كما قال سبحانه: ﴿وكونوا مع الصادقين﴾^(٣).

٤ - وقد حاجج أمير المؤمنين عليه السلام بعض الزنادقة وبيّن لهم أن هناك آيات ترشد إلى طاعته عليه السلام وذكر منها آية الصادقين فقال لهم (...) وقد جعل الله للعالم أهلاً، وفرّض على العباد طاعتهم بقوله: ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾، وبقوله: ﴿ولو ردّوه إلى الله وإلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم﴾، وبقوله: ﴿اتقوا الله وكونوا

١ - الكافي للشيخ الكليني ١ ص ٢٠٨. وشرح الكافي للمازندراني ج ٥ ص ٢٦٣.

٢ - الكافي للشيخ الكليني - ج ٢ - ص ١٨.

٣ - البحار للمجلسي ج ٦٥ ص ٣٣٠.

مع الصادقين ﴿﴾، وبقوله: ﴿وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم، وأتوا البيوت من أبوابها﴾، والبيوت هي: بيوت العلم الذي استودعته الأنبياء، وأبوابها أوصيائهم، فكلُّ مَنْ عَمِلَ مِنْ أَعْمَالِ الْخَيْرِ فَجَرَى عَلَى غَيْرِ أَيْدِي أَهْلِ الْأَصْطِفَاءِ، وَعَهْوَدِهِمْ، وَشِرَائِعِهِمْ، وَسَنَنِهِمْ، وَمَعَالِمِ دِينِهِمْ، مُرْدُودٌ وَغَيْرُ مَقْبُولٍ.. الخ^(١).

٥ - كما إنه ﷺ احتجَّ على قريش والأنصار لما تكلموا في فضائلهم وطلبوا منه أن يتكلم فقال ﷺ فيما قال: (أنشدكم الله أتعلمون أن الله عزَّ وجل) لما أنزل في كتابه: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾ فقال سلمان: يا رسول الله عامَّة هذه أم خاصة؟ فقال ﷺ: أمَّا المأمورون فعامة المؤمنين أمروا بذلك، وأمَّا الصادقون فخاصَّة لأخي علي وأوصيائي من بعده إلى يوم القيامة؟ قالوا: اللهم نعم^(٢).

ونلاحظ في كلام النبي ﷺ أنه يشير إلى أن الأمر لا يختص بذلك الزمان بل شامل لكل الأجيال إلى يوم القيامة. وهذا أمر ظاهر من نفس الآية حيث أنها أمرت المؤمنين دائماً وفي كل أجيالهم أن يكونوا تابعين للصادقين - وهم المعصومون - ولا بد من وجودهم دائماً حتى يتأتى للمؤمنين ذلك، وعلى المسلمين اليوم أن يتساءلوا عن أولئك المعصومين الصادقين الذين يلزم متابعتهم والكيئونة معهم ليعملوا بهذه الآية المباركة..

١ - الاحتجاج للشيخ الطبرسي - ج ١ - ص ٣٦٩ .

٢ - كمال الدين وقام النعمة للشيخ الصدوق - ص ٢٧٨ .

نعم إن إمامنا المهدي المنتظر عليه السلام هو الإمام الذي شملته الآية والذي يلزم الإيمان به في زماننا هذا كما أخبر به النبي صلى الله عليه وآله والنصوص الكثيرة التي ذكرت في محلها.

أيها القارئ الكريم: هذه بعض الروايات من الطريقتين، وهذه هي الجهة الثالثة في الآية المباركة، وقد ثبت لنا أنها تدلّ - بكلّ وضوح - على أن المراد من (الصادقين) هو الإمام أمير المؤمنين وأولاده المعصومون عليهم السلام.

مناقشة واستفسار:

بقيت بعض الشبهات أو الاستفسارات حول الآية ودلالاتها، وها نحن نتناولها ونحاول الإجابة عليها .

الاستفسار الأول: هل الصادقون هم مجموع الأمة ؟

ذكر الرازي في تفسيره الكبير أن المراد من الصادقين في الآية هم مجموع الأمة، وذلك بعد إقراره لمفاد العصمة من الآية حيث قال في تفسير الآية المباركة: إن قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾ أمر لهم بالتقوى، وهذا الأمر إنما يتناول من يصح منه أن لا يكون متّقياً، وإنما يكون كذلك لو كان جائز الخطأ، فكانت الآية دالّة على أن من كان جائز الخطأ وجب كونه مقتدياً بمن كان واجب العصمة، وهم الذين حكم الله تعالى بكونهم صادقين، فهذا يدلّ على أنه واجب على جائز الخطأ كونه مع المعصوم عن الخطأ حتى يكون المعصوم عن الخطأ مانعاً لجائز الخطأ عن الخطأ، وهذا المعنى قائم في جميع الأزمان، فوجب حصوله في كل الأزمان).

إلا أنه يرى أن ذلك المعصوم هو مجموع الأمة حيث يقول بعد ذلك:

(نحن نعترف بأنه لا بدّ من معصوم في كل زمان، إلا أنا نقول: ذلك المعصوم هو مجموع الأمة، وأنتم تقولون: ذلك المعصوم واحد منهم، فنقول: هذا الثاني باطل، لأنه تعالى أوجب على كل واحد من المؤمنين أن يكون مع الصادقين، وإنما يمكنه ذلك لو كان عالماً بأن ذلك الصادق من هو لا الجاهل بأنه من هو، فلو كان مأموراً بالكون معه كان ذلك تكليف ما لا يطاق، وانه لا يجوز، لكننا لا نعلم إنساناً معيّناً موصوفاً بوصف العصمة، والعلم بأننا لا نعلم هذا الإنسان حاصل بالضرورة، فثبت أن قوله: ﴿وَكُونُوا مَعَ الصّٰدِقِیْنَ﴾ ليس أمراً بالكون مع شخص معيّن، ولما بطل هذا بقي أن المراد منه الكون مع مجموع الأمة، وذلك يدلّ على أن قول مجموع الأمة حق وصواب، ولا معنى لقولنا الإجماع إلا ذلك^(١).

في الإجابة على هذه الشبهة أو السؤال يمكن القول:

أولاً: إننا ذكرنا أن المنادى به غير المنادى إليه، فإن مجموع الأمة في الجملة والمجموع هي المخاطبة والتي نودي بها وهي المطلوب منها أن تكون مع الصادقين فلا يمكن أن تكون في نفس الوقت هي بمجموعها أيضاً منادى إليه فهي في الجملة كمجموع منادى بها مطلوب منها أن تكون مع ثلثة مخصوصة مميّزة في هذه الأمة.

ثانياً: كيف يمكن المصير إلى رأي جميع الأمة حتى يمكن متابعتهم والأخذ برأيهم وطريقتهم؟ وهل يعقل أم يتصور حصول ذلك في آن من الآتات حتى يلزم ذلك دائماً وأبداً؟! لا شك أنه أمر صعب المنال، وحتى لو

أريد منه إجماع علماء الأمة وأعلامها وحسب فهو أمر لا يصار إليه.

ثالثاً: متى كانت الأمة مجتمعة في زمن من الأزمنة؟! وهذا تاريخها بين أيدينا، وكانت ولا زالت منقسمة ومشتتة الآراء والمذاهب والفرق، وقد اخبر الصادق المصدّق عليه السلام عن انقسامها إلى أكثر من سبعين فرقة^(١).

رابعاً: ولو سلّمنا جدلاً أن المراد هم مجموع الأمة وإجماعها فان هذا لو حدث فانه يحدث في بعض المسائل وفي بعض الأحيان، مع العلم أن الآية أرادت الكينونة مع الصادقين دائماً وأبداً، فكيف لنا بوصولنا إلى إجماع الأمة في كلّ المسائل وبصورة دائمة!!

خامساً: في الحقيقة نحن نعرف إنساناً موصوفاً بالصدق بصورة مطلقة بحيث يكون معصوماً - كما نصّت الأحاديث من النبي صلى الله عليه وآله على ذلك وكما ذكرنا بعضها - وليس كما يقول الرازي بانه لا نعلم ذلك وأنه لا بدّ من المصير إلى أن المراد من الصادقين هو مجموع الأمة، بل نحن على علم بوجود المعصوم من أئمة أهل البيت عليهم السلام فنصير إليهم ونكون معهم.

الاستفسار الثاني: قد يقول قائل: أليس من الممكن أن تريد الآية معنى مبسطاً وهو النصح للمؤمنين بان يكونوا من الصالحين والصادقين في أقوالهم وأفعالهم كما يأمر الواعظ والناصح الناس والمؤمنين بذلك؟

الجواب: إنه قد تبين من خلال ما قلناه أن هناك فرقاً بين القول كن

١ - رواه جماعة، وقال العلامة القبلي في (العلم الشامخ): (وحديت افتراق الأمة إلى سبعين فرقة رواياته كثيرة يعضد بعضها بعضاً بحيث لا تبقى ريبة في حاصل معناه). المذاهب الإسلامية لمحمد أبو زهرة ص ١٤ .

من الصادقين أو كن مع الصادقين، فالأول بمعنى كن واحداً منهم والآخر بمعنى كن متابِعاً لهم وبصورة مطلقة، وحمل معنى الآية على المعنى الأول يحتاج إلى دليل خاص وكما اعترف الرازي أيضاً بذلك حيث قال: (إنه عدول عن الظاهر من غير دليل)^(١).

الاستتسار الثالث: إن الآية جاءت بصيغة الجمع (الصَّادِقِينَ) هذا

يتلاءم مع الجماعة والأُمَّة فكيف يراد منها الإمام المعصوم وهو فرد واحد؟

الجواب: استعملت صيغة الجمع في القرآن الكريم في موارد متعددة

وأريد منها شخص واحد كما سيأتي في محلّه، هذا أولاً. وثانياً: إن المعصومين

من الأئمة عليهم السلام هم اثنا عشر إماماً والآية ما قيّدت ذلك بزمن واحد بل

جاءت مطلقة، فيمكن إرادة جميع الأئمة المعصومين من كلمة (الصادقين) كما

توضّح ذلك في بعض الروايات أيضاً.

الخلاصة:

لقد دلّت آية الصادقين ﴿كُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ بإطلاقها على وجود

المعصومين الذين تجب متابعتهم.

كما دلّت الآية بضمّها إلى آيات أخرى وبدلالة الروايات من

الفريقين على أن المراد من ﴿الصَّادِقِينَ﴾ هو أمير المؤمنين علي بن أبي

طالب وأولاده الأئمة المعصومون عليهم السلام.

هذا.. والحمد لله ربّ العالمين.

الفصل التاسع

آية الولاية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ
الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾^(١).

تُعدّ هذه الآية المباركة من الآيات ذات الدلالة على ولاية الإمام أمير
المؤمنين عليه السلام وإمامته.

الاستدلال بالآية

ويتمُّ الاستدلال بها من جهتين:

أولاً: من جهة أن الإمام علياً عليه السلام هو المراد من قوله: ﴿يُقِيمُونَ

الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راعون﴾ كما أشارت إلى ذلك النصوص في

المصادر الإسلامية، وسنبيّن ذلك إن شاء الله

ثانياً: من جهة الحصر في الآية فسبعد إثبات أن كلمة (إنما) تفيد

الحصر، تنحصر الولاية في الله سبحانه وتعالى، وفي النبي صلى الله عليه وآله، وفي أولئك

٢٠٦أربعون آية

الذين وُصفوا بأنهم يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راعون، أي الإمام أمير المؤمنين عليه السلام كما سيتوضح ذلك، وبعد إثبات المحصر يتعيّن أن المراد من الولاية المشار إليها في الآية هي بمعنى الأولويّة على الآخرين والقيومة عليهم وليست بمعنى الصاحب والناصر وما شابه.

ولتوضيح الاستدلال بالآية نقول:

أولاً: الاستدلال بالروايات

لقد جاءت الروايات الكثيرة في شأن نزول الآية في كثير من التفاسير وكتب الحديث وصرّحت بأنها نزلت في علي بن أبي طالب عليه السلام حيث تصدّق بخاتمه على سائل سأل الناس في المسجد وكان عليه السلام مشغولاً في صلاته، وبينما هو في ركوعه إذ أشار إليه بإصبعه الذي تختم به فجاء السائل واستخرج الخاتم منه فنزلت الآية وبيّنت هذا الواقع واعتبرت أن هذا المتصدّق في ركوعه هو الوليُّ بعد الله (عزَّ وجل) ورسوله صلى الله عليه وآله.

وفي الواقع إن الاستدلال بهذه الجهة هو استدلال بالروايات الكثيرة التي دلّت على ذلك وقد تجاوزت الأربعين رواية في هذا المضمون حتى اعتبر هذا الخبر من الأخبار المتواترة وقد أسندت هذه الروايات إلى عشرة من الصحابة وأربعة عشر من التابعين فضلاً عما جاء عن طريق أهل البيت عليهم السلام وقد أوردت ذلك التفاسير ولاسيما المهمة منها مثل تفسير الرازي والقرطبي والسيوطي والحسكاني والزمخشري والطبري^(١) وغيرهم من كبار أئمة

١ - راجع تفسير الكبير للفخر الرازي ج ١٢ ص ١٣٥ وتفسير القرطبي ج ٦ ص ٢٢١ وتفسير الدر

التفسير من الفريقين كالطبرسي في المجمع و الطباطبائي في الميزان، وقد ذكر المحقق الشيخ مولانا في كتابه (الخاتم لوصي الخاتم) أكثر من مائة من كبار مفسري ومحدثي العامة ممن صرّحوا بذلك^(١)، وللمنصف أن يدعن بكذب ابن تيمية في تكذيبه هذا الحديث وكونه موضوعاً بالإجماع على حدّ زعمه^(٢).

فالروايات جاءت متفقة على تصدّق الإمام عليه السلام في صلاته ونزول الآية بهذا الشأن مع اختلاف في بعضها عن الشيء الذي تصدّق به من أنه حلّة أم خاتم؟ وليس ذلك بهم، وربما وقعت القضية أكثر من مرة.
وإليك أيها القارئ الكريم: بعض تلك الروايات:

روايات في شأن نزول الآية :

١ - روى الثعلبي في تفسيره عن عبادة بن الربيع، قال: بينا عبد الله بن عباس جالس على شفير زمزم إذ أقبل رجل متعمّم بعمامة فجعل ابن عباس لا يقول قال رسول الله: إلاّ قال الرجل: قال رسول الله. فقال ابن عباس: سألتك بالله من أنت؟ قال: فكشف العمامة عن وجهه، وقال: يا أيها الناس من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا جندب بن جنادة البصري، أبو ذر الغفاري سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله بهاتين وإلاّ صمّتا ورأيت بهاتين وإلاّ

→ المنثور للسيوطي ج ٢ ص ٢٩٣ وشواهد التنزيل للحاكم المسكاني ج ١ ص ١٦٨ وتفسير الكشاف للزمخشري ج ١ ص ٦٢٣ وتفسير الطبري لابن جرير ج ٦ ص ١٨٦ .

١ - كتاب الخاتم لوصي الخاتم للاستاذ المحقق الشيخ محمد رضا مولانا وراجع كتاب سبيل النجاة في تامة المراجعات للشيخ حسين آل راضي ص (١٣٧ - ١٣٨ - ١٣٩ - ١٤٠).

٢ - منهاج السنة لابن تيمية ج ١ ص ١٥٤ .

فعميتا يقول: (عليُّ قائد البررة، وقاتل الكفرة، منصور من نصره، مخذول من خذله) أما إني صليتُ مع رسول الله يوماً من الأيام صلاة الظهر فدخل سائل في المسجد فلم يعطه أحد فرفع السائل يده إلى السماء وقال: اللهم اشهد إني سألت في مسجد رسول الله فلم يعطني أحد شيئاً، وكان علي راعياً فأوما إليه بخنصره اليمنى وكان يتختم فيها، فأقبل السائل حتى أخذ الخاتم من خنصره، وذلك بعين النبي ﷺ فلما فرغ النبي ﷺ من الصلاة رفع رأسه إلى السماء وقال: (اللهم إن أخي موسى سألك، فقال: (ربِّ اشرح لي صدري ويسِّر لي أمري واجعل لي وزيراً من أهلي هارون أخي أشدد به أزري)^(١) الآية، فأنزلت عليه قرآناً ناطقاً: ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكَ مَأْتِنًا﴾^(٢) اللهم وأنا محمد نبيُّك ووصيُّك، اللهم فاشرح لي صدري ويسِّر لي أمري واجعل لي وزيراً من أهلي علياً أشدد به ظهري).

قال أبو ذر: فوالله ما استتمَّ رسولُ الله الكلمة حتى نزل عليه جبرئيل من عند الله، فقال: يا محمد اقرأ، فقال: وما أقرأ؟ قال: اقرأ: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ إلى (راكعون)^(٣).

٢ - وعن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام في قوله (عزَّ وجل): ﴿إِنَّمَا

١ - الآيات في القرآن الكريم هكذا ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ ﴿وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي﴾ ﴿وَاجْعَلْ لِي غَنَةً مِّنْ لَّدُنِّي﴾ ﴿وَجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي﴾ ﴿هَارُونَ أَخِي﴾ ﴿أَشَدُّدْ بِهِ أَزْرِي﴾ طه ٣١/٢٥.

٢ - القصص / ٣٥.

٣ - تفسير التعلبي - التعلبي - ج ٤ - ص ٨٠ - ٨١.

ولِيَكُمُ اللَّهُ ﴿١﴾ الْآيَةَ، إِنَّ رَهْطًا مِنَ الْيَهُودِ أَسْلَمُوا فَقَالُوا: مَنْ وَصِيكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَنْ وَلِيْنَا مِنْ بَعْدِكَ؟

فنزلت هذه الآية، فقال رسول الله ﷺ: قوموا، فقاموا فأتوا المسجد فإذا سائل خارج، فقال: يا سائل أما أعطاك أحد شيئاً؟ فقال: بلى هذا الخاتم، فقال: من أعطاك؟ فقال أعطانيه ذلك الرجل الذي يصلي، قال: على أي حال أعطاك؟ قال: كان راعياً، فكبر النبي ﷺ وكبر أهل المسجد، فقال النبي ﷺ: علي بن أبي طالب وليكم بعدي^(١).

٣ - و عن عمار بن ياسر قال: وقف لعلي بن أبي طالب عليه السلام سائل وهو راعٍ في صلاة تطوع فزع خاتمه فأعطاه السائل، فأتى رسول الله ﷺ فأعلمه بذلك، فنزلت على النبي ﷺ هذه الآية: (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ - إِلَى قَوْلِهِ - وَهُمْ رَاعُونَ) فقرأها علينا ثم قال: من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه^(٢).

وروى شبيه ذلك الخوارزمي في مناقبه وأشار هناك إلى أبيات حسان بن ثابت بهذه المناسبة حيث انشأ:

أبا حسن تفديك نفسي ومُهَجتي وكلُّ بطيئٍ في الهدى ومسارع
أيذهب مدحك والمخبر ضائعا وما المدح في حب الإله بضائع
فأنت الذي أعطيت إذ كنت راعياً فدتك نفوس القوم يا خير راعٍ
فأنزل فيك الله خيرَ ولايةٍ فبيَّنْها في محكمات الشرائع^(٣)

١ - وسائل الشيعة (آل البيت) - الحر العاملي - ج ٩ - ص ٤٧٨ - ٤٧٩.

٢ - وسائل الشيعة (آل البيت) - الحر العاملي - ج ٩ - ص ٤٧٨ - ٤٧٩.

٣ - المناقب للخوارزمي ص ٢٦٤ ورواه الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل ١ / ١٨١ - وفرائد

٤ - كما قال الآلوسي في تفسيره للآية: وغالب الأخباريين على أنها نزلت في علي كرم الله تعالى وجهه، فقد أخرج الحاكم وابن مردويه وغيرهما عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما بإسناد متصل قال: أقبل ابن سلام ونفر من قومه آمنوا بالنبي ﷺ فقالوا: يا رسول الله إن منازلنا بعيدة وليس لنا مجلس ولا متحدت دون هذا المجلس وإن قومنا لما رأونا آمنا بالله تعالى ورسوله ﷺ وصدقناه رفضونا وآلوا على نفوسهم أن لا يجالسونا ولا يناكحونا ولا يكلمونا فشق ذلك علينا، فقال لهم النبي ﷺ: إنما وليكم الله ورسوله، ثم إنه ﷺ خرج إلى المسجد والناس بين قائم وراكم فبصر بسائل فقال: هل أعطاك أحد شيئاً؟ فقال: نعم خاتم من فضة، فقال: من أعطاكه؟ فقال: ذلك القائم، وأوماً إلى علي كرم الله تعالى وجهه، فقال النبي ﷺ: على أي حال أعطاك؟ فقال: وهو راكم، فكبر النبي ﷺ ثم تلا هذه الآية: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾

فأنشأ حسّان.. وذكر الآلوسي الآيات ثم قال:

(واستدلّ الشيعة بها على إمامته (كرم الله تعالى وجهه) ووجه الاستدلال بها عندهم أنها بالإجماع نزلت فيه (كرم الله تعالى وجهه) وكلمة (إِنَّمَا) تفيد الحصر، ولفظ الولي بمعنى المتولّي للأموال والمستحق للتصرف فيها، وظاهر أن المراد هنا التصرف العام المساوي للإمامة بقريظة ضم ولايته (كرم الله تعالى وجهه) بولاية الله تعالى ورسوله ﷺ، فثبتت إمامته وانتفت إمامة غيره، وإلا لبطل الحصر، ولا إشكال في التعبير عن الواحد بالجمع، فقد جاء

في غير موضع، وذكر علماء العربية أنه يكون لفائدتين: تعظيم الفاعل وأن من أتى بذلك الفعل عظيم الشأن بمنزلة جماعة كقوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾^(١) ليرغب الناس في الإتيان بمثل فعله، وتعظيم الفعل أيضاً حتى أن فعله سجيّة لكل مؤمن، وهذه نكتة سرية تعتبر في كل مكان بما يليق به^(٢).

وهناك الكثير من المصادر التي ذكرت هذه القضية، فمن أحبّ التفصيل فليراجعها، وإنما أردتُ ذكر بعض ذلك هنا لأنها هي الأصل في الاستدلال في هذه الآية على الإمامة لأمر المؤمنين ﷺ وهي التي أشارت إلى سبب وشأن نزول الآية فهي العمدة في الاستدلال، فقد قال الله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(٣) وقد نزلت الآية وبينها النبي ﷺ كما في هذه الروايات، فيكفي بها الاستدلال على ذلك.

ثانياً: وأما الاستدلال من جهة الحصر في الآية

فقد ذكر أهل اللغة العربية في كتب البلاغة أن كلمة (إنما) تفيد الحصر وهو أمر مفروغ عنه عندهم، قال جلال الدين الشافعي والمعروف بخطيب دمشق في متنه (تلخيص المفتاح) والذي شرحه التفتازاني في كتابه المطول والآخر المختصر، قال: (وللقصر طرق... منها (إنما) كقولك إنما زيد كاتب،

١ - النحل / ١٢٠.

٢ - تفسير الألوسي / ج ٥ ص ٢٩ وسيأتي النقاش في الأدلة الأخرى التي ذكرها إن شاء الله تعالى.

٣ - النحل / ٤٤.

لتضمّنه معنى (ما و إلا) أي إن كلمة (إنما) تفيد معنى النفي والإثبات، بمعنى إثبات ما بعد (إنما) ونفي لما سواه فيقال مثلاً إنما السخاء سخاء حاتم، يريدون نفي السخاء عن غيره).

فيقال: فإذا طَبَّقْنَا ذلك على (إنما) الموجودة في الآية المباركة كان المعنى انحصار الولاية على المؤمنين في الله تعالى ورسوله ﷺ وفي الذين آمنوا ممن هم يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راکعون أي في حالة الركوع، وإذا انحصرت الولاية في ذلك كان لابد من حمل معنى الولاية في الآية على الأولوية في التصرف في شؤون المؤمنين كما هي ولاية النبي على الناس، ولا يكون معناها حينئذ النصر أو المحبة، أي لا يكون معنى الآية هو إنما الله ناصركم ورسوله وهذا الذي يتصدّق وهو راکع، لأنه من المؤكد أن غير هؤلاء من المؤمنين من الناس هم أيضاً ينصرون المؤمنين الآخرين ويحبونهم، كما في قوله تعالى: ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾^(١)، فلا مفاد ولا فائدة حينئذ من الحصر في الآية.

ورُبَّ قائل يقول: إن القول بالحصر في الآية يعود بالأمر إلى خلاف ما يقوله الإمامية في تعدد الأئمة عليهم السلام إلى اثني عشر إماماً، لأن الآية حصرت الولاية في علي والنبي بعد ولاية الله تعالى!؛

ويمكن أن يقال في الجواب: إنه صرّحت بعض الأحاديث - كما سيأتي - بأن كلَّ إمام من أئمة أهل البيت كان إذا انتقلت إليه الإمامة قام بهذا الدور أيضاً أي صلّى وتصدّق وهو في الركوع فشملتهم الآية من هذا الوجه.

ويمكن أن يقال أيضاً: إن النبي ﷺ وعلياً عليه السلام قد نصَّ كلُّ منهما على الأئمة من ذريتهما عليهما السلام وهما منصوص عليهما بالولاية من قبل الله تعالى في هذه الآية، فمن نصّاً عليه فهو الولي من بعدهما، هذا بالإضافة إلى أن الآية خاطبت المؤمنين المعاصرين لنزول الآية وحينها كانت الولاية لله ولرسوله ولأمير المؤمنين محصورة فيهم، ولا ينافي هذا أن تكون الولاية بعدهم للأئمة من ذريتهم، (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين).

فإن قال قائل: إن (إنما) في الآية لم تستعمل في حقيقة ما وضعت له وهو الحصر لجواز أن تأتي في غير الحصر مجازاً؟.

والجواب على ذلك: إن الاستعمال للكلمة وإن كان اعم من الحقيقة والمجاز إلا أن هذا يحتاج إلى قرائن تصرف الكلمة عن استعمالها في معناها الحقيقي إلى المعنى المجازي وإن الأصل في الاستعمال هو الحقيقة لا المجاز، هذا فضلاً عن أن القرائن الموجودة والمحفوفة بالآية المباركة تؤيد معنى الحصر الحقيقي لا المجازي كما سنبين لاحقاً إن شاء الله.

أسئلة واستفسارات

ربما ترد بعض الأسئلة في خصوص دلالة الآية على الولاية والإمامة للإمام علي عليه السلام، فلنناقش بعض المهم منها .

السؤال الأول: تعدد معنى الولي

إن ما ذكر من دلالة الآية على الإمامة لعلي عليه السلام يتوقف على إرادة معنى الأولوية بالتصرف من كلمة (وليكم) فحينها يكون المعنى هو أولى بالتصرف بكم فهو الإمام عليكم! ولكنه قد يراد من المفردة هذه غير هذا

المعنى، فهناك معاني أخرى لهذه الكلمة مثل الناصر والمحب والصديق والمجار وغير ذلك إضافة إلى معنى الأولوية بالتصرف، وقد حمل بعض المفسرين معناها على النصرة والمحبة، فكيف حملتم معناها على الأولوية؟

وليكنم بمعنى الأولي بكم

نقول في الجواب: القرائن والأدلة تدلّ على إرادة معنى القيمومة والأولوية بالتصرف من كلمة الولي هنا، فمنها:

أولاً: السياق الذي جاء عقيب هذه المفردة يدلّ على هذا المعنى المراد، حيث ذكر الولاء والتوليّ على حدّ سواء لله سبحانه وللرسول ﷺ وللذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة .. الآية، فأسند الولاء وبشكل واحد إليهم ممّا يدلّ على أن الولاية للجميع بمعنى واحد، ومن الواضح أن الولاية لله وللرسول إنّما هي بمعناها الأوسع والاهم وهي الولاية على النفس وعلى التصرف بالأمور وبمعنى القيادة و القيمومة على الناس فتكون الولاية للذين آمنوا هنا هي نفس الولاية، ولو كانت الولاية المنسوبة إليهم هي غير ولاية الله ورسوله لكان الأنسب أن تفرد كلمة أخرى لتوليّ هؤلاء لئلا يقع الالتباس وتقع الشبهة، كما نلاحظ ذلك مثلاً في قوله تعالى:

﴿وَمَنْهُمْ الَّذِينَ يُؤَدُّونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أَدْنَىٰ قُلْ أَدْنَىٰ خَيْرٌ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤَدُّونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(١).

فقد كررت كلمة (يؤمن) مرتين واحدة (يؤمن بالله) والأخرى (يؤمن

للمؤمنين) إحداهما مع الباء والأخرى مع اللام، ويؤمن الثانية ليست بمعنى يؤمن الأولى، فالثانية بمعنى الاستماع والإصغاء للمؤمنين وحسن الظن بهم، بينما الأولى بمعنى الإيمان والاعتقاد بالله سبحانه وتعالى، بينما نرى في الآية جاءت مفردة واحدة هي (وَلِيُّكُمْ) ونسب هذا الولاء للجميع على حد سواء. ومما يؤيد إرادة نفس معنى الولاء لله وللرسول هو إفراد هذه الكلمة وعدم جمعها، يعني (وَلِيُّكُمْ) ولم يقل (أولياؤكم) فان الولي هو الله تعالى ثم رسوله ثم خليفته وهذا الإفراد في كلمة (وَلِيُّكُمْ) يؤكد على أن نفس الولاية التي هي لله تعالى هي نفسها للنبي وللذين آمنوا هنا أيضاً.

ثانياً: إن حمل الآية على غير المعنى الذي يراد يُخرج (إنما) عن الحصر، ويؤدي إلى أخذها إلى غير ما وضعت له، لأنه لو قلنا إن وليكم بمعنى ناصركم أو مُحِبِّكم أو ما شابه، فهناك الكثير ممن ينصر المؤمنين ويحِبُّهم وليس الأمر محصوراً على الله ورسوله وهؤلاء البعض من المؤمنين الذين وصفتهم الآية بأنهم يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة في حال الركوع.

ومن الواضح أن إبقاء الكلمة (إنما) في استعمالها لما وضعت له - وهو الحصر - أولى من إخراجها إلى المجاز.

وربما يجيب السائل بقوله: إن في الآية قرينة على إرادة معنى المحبة والنصرة وهو المعنى الذي أخذ في معنى التولي في الآية التي قبلها وهو قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ

الظَّالِمِينَ ﴿١﴾ فالأولياء هنا بمعنى النصرة والمحبة فكذلك في هذه الآية، بسبب السياق التي هي فيه.

نقول في الجواب:

أولاً: إن الآية ليست في ذلك السياق، وإذا لاحظنا الآيات رأيناها بعيدة عن تلك الآية، فلنلاحظ الآيات كلها، يقول تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرَوْا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ * وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ * إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ * وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٢﴾.

فالآية التي نحن فيها بعيدة عن ذلك السياق وهي اقرب إلى سياق

الذي هي فيه من ولاية الله تعالى ورسوله كما هو أيضا في الآية التي تلتها.
 ثانياً: ليس من الضرورة أن ترتبط الآية مع ما قبلها من الآيات، فكثيرة هي الآيات التي لا علاقة لها بما يكتنفها من الآيات الأخرى، ولا يكون لهذا السياق المفترض من القوة بحيث يخرج الآية عن سياق هي اقرب إليه وهو كون التوليّ جاء لله وللرسول وللذين آمنوا مع ذلك الوصف على حدّ سواء فهذا السياق اقرب لمرادنا.

ثالثاً: إنه يمكن القول بوجود التناسق هنا أيضاً ولكن مع إبقائها على معنى الأولويّة بالتصرّف وإبقاء تلك الولاية لليهود والنصارى المنهية عنها بمعنى النصرّة والمحبة، لأن طلب التوليّ لله ولرسوله وللذين آمنوا يتضمن أيضاً النهي عن نصرّة أعداء الله والرسول من اليهود والنصارى كما إن الولاية بمعنى التصرّف بالأمر والقيومة هي أيضاً متضمنة لمعنى وجود النصرّة والمحبة، فالله ورسوله والخليفة الحق هم أولياء للأمر ومحبّون وناصرون للمؤمنين، فلا تكون الآية غريبة عن النسق المفترض لما قبلها، ويبقى معنى الولاية هو بمعناه القريب إلى ولاية الله تعالى .

ورابعاً: إن الموضوع والكلام في تلك الآية هو عن ولاية بعض على بعض: ﴿لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء، بعضهم أولياء بعض﴾ فالحديث عن الولاية بمعنى المحبة والنصرّة بين بعض الناس إلى بعض، ولكن هذه الآية تبين ولاية الله تعالى وولاية رسوله ﷺ فهو حديث عن السلطة والقيومية والأولويّة بالتصرف في الأمور ثم تعطف عليها ولاية أولئك المؤمنين الذين وصفتهم الآية بوصف خاص - وهم علي والأئمة من ولده ﷺ - فأين هذا النسق من ذلك؟!، ولا بدّ للمتعمّن والمنصف أن يفرّق بين الولايتين.

السؤال الثاني: ماذا عن صيغة الجمع؟

من الملاحظ أن الآية ذكرت الأوصاف بصيغة الجمع لا المفرد فقالت: (الذين آمنوا.. يقيمون.. يؤتون.. وهم راعون) مما يوهم إرادة جميع المؤمنين أو جماعة منهم وليس ولياً واحداً وهو علي عليه السلام كما استدلتهم بالآية على ذلك؟

الجواب على ذلك:

أولاً: يكفي ما بينه النبي صلى الله عليه وآله في شأن نزول الآية، فبيانه أن الآية نزلت في حق الإمام علي عليه السلام - على ما جاء في هذه الروايات المجمع عليها- خير دليل على انه أريد من هذه الصيغ المجموعة هذا المصدق الذي حصل وهو أمير المؤمنين عليه السلام حيث تصدق بخاتمه أو حُلته وهو في الصلاة وفي حالة ركوعه. ثانياً: هنال آيات أخرى جاءت في القرآن الكريم على صيغة الجمع وأريد منها شخص واحد، مثلاً:

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾^(١) وهو يحيى بن اخطب.

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنٌ خَيْرٌ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(٢). والمؤذي هو شخص اسمه

١ - آل عمران / ١٨١.

٢ - التوبة / ٦١.

عتاب بن قشير أو غيره.

وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾^(١) والمراد هو مرثد بن زيد الغطفاني. وأيضاً قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾^(٢). والمراد من (يسألون) هو عمرو بن الجموح حيث سأل النبي عمّاذاً يتصدق؟.

وكذلك قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(٣). والمنفق هو علي بن أبي طالب عليه السلام حيث انفق درهماً في الليل وآخر في النهار سراً وعلانية.

نلاحظ في هذه الآيات أنها جاءت بصيغ الجمع وأريد منها المفرد، فلا مانع أن تكون هذه الآية التي نحن فيها من تلك الآيات أيضاً.

هذا.. وربما السرّ وراء ذلك هو - كما ذكره أهل البلاغة - من أن يُذكر الحكم على صيغة الجمع وعلى الجهة العامة و يراد به جهة خاصة وذلك ليكون ترغيباً للإتيان بمثله فيما إذا كان الوصف أو الفعل حسناً أو تحذيراً من ارتكابه فيما إذا كان أمراً قبيحاً، فانه مثل ذلك يكون أكد من توجيهه

١ - النساء / ١٠ .

٢ - البقرة / ٢١٥ .

٣ - البقرة / ٢٧٤ .

القضية بشكلها الانفرادي إلى الشخص المفرد.

ثالثاً: قد يكون أيضاً استعمال الجمع في محلّ المفرد لأجل التبجيل والتفخيم والاحترام، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُزَلُّنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^(١) وقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾^(٢).

رابعاً: لقد ورد في الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام أن كلّ إمام من أئمة أهل البيت عليهم السلام يفعل الذي فعله علي عليه السلام في صلاته من التصدّق في الصلاة في حال الركوع، فعنه عليه السلام في قول الله (عزّ وجل): ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ قال: (إنما) يعني أوّلئكم أي أحقّ بكم وبأموركم وأنفسكم وأموالكم، الله ورسوله والذين آمنوا يعني علياً وأولاده الأئمة عليهم السلام إلى يوم القيامة، ثمّ وصفهم الله (عزّ وجل) فقال: ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ وكان أمير المؤمنين عليه السلام في صلاة الظهر وقد صلّى ركعتين وهو راکع وعليه حلّة قيمتها ألف دينار، وكان النبي صلى الله عليه وآله كساه إياها، وكان النجاشي أهداها له، فجاء سائل فقال: السلام عليك يا ولي الله وأولى بالمؤمنين من أنفسهم، تصدّق على مسكين، فطرح الحلّة إليه وأوماً بيده إليه أن احملها فأنزل الله (عزّ وجل) فيه هذه الآية وصيرّ نعمة أولاده بنعمته، فكلّ مَنْ بَلَغَ من أولاده مبلغ الإمامة، يكون بهذه النعمة مثله

الفصل التاسع: آية الولاية ٢٢١

فيتصدّقون وهم راكعون والسائل الذي سأل أمير المؤمنين عليه السلام من الملائكة،
والذين يسألون الأئمة من أولاده يكونون من الملائكة^(١).

وقد يقول قائل: وكيف يحضر ويصادف أن يأتي فقير وسائل وهم في
حالة الصلاة والركوع؟!

والجواب: لقد قرأت أنه يأتي ملك من الملائكة على صورة بشر إلى
كلّ إمام لتنطبق الآية عليهم أيضاً. والله سبحانه قادر على كل شيء وليس
أهل البيت اقل منزلة ممّن نزلت إليهم الملائكة وحدثتهم ممّا ذكر في القرآن
الكريم مثل قوله تعالى ﴿وَأَمْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ
وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾^(٢).

وعلى أي حال فصيغة الجمع في الآية لا تخدش الاستدلال بها في
المقام لما ذكر في هذه الأجوبة.

السؤال الثالث: هل يتنافى التصدّق في الصلاة مع الخشوع؟

هل أن تصدّق الإمام علي عليه السلام في صلاته وركوعه أمر يخالف حالة

الخشوع التي ينبغي أن يكون عليها الإمام وهو في صلاته؟

وهل يخرج الإنسان من خشوعه وهو يقوم بمثل هذا العمل؟.

الجواب:

ما قام به الإمام في صلاته لا ينافي الخشوع في الصلاة، وذلك لأنه ليس

١ - الكافي للشيخ الكليني - ج ١ - ص ٢٨٩. وقال في الهامش (أي جعل نعمة أولاده ملحقه بنصته فأتى

بصيغة الجمع).

٢ - هود/٧١.

المراد من الخشوع أن لا يسمع المصلي ولا يرى ولا يحرك ساكناً وخاصة إذا كان لأمر هو من العبادة أيضاً، فالمصلي يستمع إلى إمام الجماعة وهو يقرأ سورة الحمد والسورة التي بعدها، ويسمع أي صوت يصك مسامعه لأن من الواضح أن المصلي بخشوعه لا يصبح أصماً لا يسمع شيئاً، كما إنه لا ينافي خشوع المصلي أن تكون عيناه مفتوحتين يبصر أمامه وبين يديه ويلاحظ الإمام متى يركع أو يسجد ليتابعه بالأفعال، وكذلك بعض حركاته فهو يرفع يديه إلى أذنيه عند التكبيرات أثناء الصلاة، ولا ينافي هذا حالة الخشوع، وكل ما فعله الإمام عليه السلام في صلاة مندوبة ومستحبة أن ألقى حُلته التي على عاتقه إلى السائل أو مدّ إليه إصبعه فاخذ السائل الخاتم من إصبعه وليس في هذا شيء من الفعل الكثير، ورأيت بعض المعاندين للحق يُهرِّج و ينكر هذه الفضيلة ويمثّل الحالة - في بعض الفضائيات - حيث يفتش عن محفظته في جيبه ثم يخرجها ثم يفتحها ويخرج منها ورقة نقدية ثم يمدّ يده ويقول لمخاطبيه: أليس هذا منافع للخشوع فكيف يصنع ذلك مثل علي عليه السلام في إثناء الصلاة؟!،

مع العلم أن الإمام عليه السلام لم يفعل شيئاً سوى أنه مدّ يده الكريمة للسائل وفي إصبعه الخاتم، وإضافة إلى ذلك إن فعله هذا كان عبادة في ضمن عبادة مستحبة.

وما المانع أيضاً أن يكون الله تعالى ألهمه عليه السلام هذا الفعل؟! لأن الله تعالى يريد أن ينزل آية في حقه ويشير إلى منزلته وولايته على المؤمنين من بعد رسوله ﷺ، فلا مانع من كل ذلك.

السؤال الرابع: هل للإمام ولاية مع وجود النبي ؟

من الواضح أن النبي ﷺ هو الولي والإمام على الناس في عهده والآية توجب الولاية للإمام علي عليه السلام أيضاً، فمع وجود النبي ﷺ يتحقق به وجود الولي أيضاً فما معنى ولاية الإمام حينها وفي زمنه ﷺ؟

الجواب:

أولاً: لقد ذكرنا حديث النبي ﷺ في هذه القضية أنه قال في علي عليه السلام أنه الولي من بعده، فالنبي هو بنفسه أجاب بان المراد ولاية علي من بعده فقال ﷺ - بعد نزول الآية وتصدق الإمام عليه السلام - : (علي بن أبي طالب وليكم بعدي)^(١).

ثانياً: لا مانع من أن تكون للإمام علي عليه السلام ولاية في طول ولاية النبي ﷺ أي أن النبي هو الولي على علي وعلى سائر المؤمنين والإمام علي هو الولي على المؤمنين دون أن تكون له ولاية على النبي طبعاً، وهذه الولاية باقية ببقائه فهو الولي في زمن النبي على غير النبي يجعل من الله ورسوله وهو أيضاً الولي بعد رحيل النبي ﷺ على سائر المؤمنين.

ثالثاً: إن الآية في مقام تثبيت الولاية لله وللرسول وللإمام دون ملاحظة الاعتبارات الأخرى من الحاليت في الوقت أو البعدية، وإنما المهم في الأمر هو اعتبار الولاية من الله تعالى وتثبيتها للرسول والإمام المعصوم عليهما الصلاة والسلام .

الخلاصة

إن الآية دلّت على ولاية الإمام علي عليه السلام من حيث أنها تحدت عن تصدّقه على السائل في صلاته وفي حالة الركوع، كما بيّنت ذلك الأحاديث، وبيّنت ذلك أيضاً من خلال المحصر الموجود في كلمة (إنما) في الآية وضّم ولاية الإمام إلى ولاية الله تعالى وولاية النبي صلى الله عليه وآله ممّا دلّ على أنها ولاية في الحكم والخلافة والإمامة.

ويضاف إلى ذلك: إنها دلّت على الإمامة لعلي عليه السلام حيث جعلته الوليّ مطلقاً ودائماً وفي كلّ الأحوال دون تقييد ذلك بشيء ما، ممّا يدلّ على عصمته، وهذا الأمر ملازم للأفضليّة المطلقة على غيره وهو أمر ملازم للإمامة أيضاً..

هذا، والحمد لله رب العالمين.

الفصل العاشر

آية الإنذار

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾^(١).

من الآيات القرآنية الدالة على إمامة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام هي هذه الآية المباركة من سورة الشعراء، حيث جاء في شأن نزولها وفي مصادر المسلمين عموماً سُنَّةٌ وشيعة من الروايات ما يدلّ على ذلك، ولنلاحظ بعض ما ذكره المفسرون والمؤرّخون في ذلك:

الروايات من مصادر غير الإمامية

ذكر الطبري في تاريخه عن عبد الله ابن عباس عن الإمام علي بن أبي طالب قال: لما نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وآله ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ دعاني رسول الله صلى الله عليه وآله فقال لي: يا علي إن الله أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين فضقتُ بذلك ذرعاً وعرفتُ أني متى أبادهم بهذا الأمر أرى منهم ما أكره، فَصَمْتُ عليه حتى جاءني جبريل فقال: (يا محمد إنك إلا تفعل ما تؤمر به يعذبك ربك) فاصنع لنا صاعاً من طعام واجعل عليه رجلاً شاة

وأماً لنا عُسًا من لبن ثم أجمع لي بني عبد المطلب حتى أكلهم وأبلغهم ما أمرتُ به، ففعلتُ ما أمرني به، ثم دعوتهم له - وهم يومئذ أربعون رجلاً يزيدون رجلاً أو ينقصونه فيهم أعمامه أبو طالب وحمزة والعباس وأبو لهب - فلما اجتمعوا إليه دعاني بالطعام الذي صنعت لهم فجئتُ به فلما وضعته تناول رسول الله ﷺ حذية من اللحم فشققها بأسنانه ثم ألقاها في نواحي الصفحة ثم قال: خذوا بسم الله، فأكل القوم حتى ما لهم بشيء حاجة وما أرى إلا موضع أيديهم، وأيمُ الله الذي نفسُ علي بيده إن كان الرجل الواحد منهم ليأكل ما قدّمتُ لجميعهم، ثم قال: اسق القوم، فجئتهم بذلك العسّ فشربوا منه حتى رووا منه جميعاً، وأيمُ الله إن كان الرجل الواحد منهم ليشرب مثله، فلما أراد رسول الله ﷺ أن يكلمهم بدّره أبو لهب إلى الكلام فقال: لشدّ ما سحركم صاحبكم فتفرّق القوم ولم يكلمهم رسول الله ﷺ فقال الغد: يا علي إن هذا الرجل سبقني إلى ما قد سمعت من القول فتفرّق القوم قبل أن أكلهم، فعد لنا من الطعام بمثل ما صنعت ثم اجمعهم إليّ، قال: ففعلت ثم جمعتهم ثم دعاني بالطعام فقربته لهم ففعل كما فعل بالأمس، فأكلوا حتى ما لهم بشيء حاجة ثم قال: أسقهم فجئتهم بذلك العسّ فشربوا حتى رووا منه جميعاً، ثم تكلم رسول الله ﷺ فقال: يا بني عبد المطلب إني والله ما أعلم شاباً في العرب جاء قومه بأفضل ممّا قد جئتكم به، إني قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني الله تعالى أن أدعوكم إليه، فأيكم يوازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم، قال: فأحجم القوم عنها جميعاً، وقلتُ - وإني لأحدثهم سنّاً وأرمصهم^(١) عيناً وأعظمهم بطناً

١ - الرص في العين أي صغرها أو فيها قذى وهي كناية عن صغر السن .

وأحمشهم^(١) ساقاً - : أنا يا نبي الله أكون وزيرك عليه، فاخذ برقبتي ثم قال: إن هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم، فاسمعوا له وأطيعوا قال: فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع^(٢).

وقال ابن أبي الحديد مستدلاً بالرواية على وزارة أمير المؤمنين عليه السلام للنبي ﷺ: (وأما خبر الوزارة، فقد ذكره الطبري في تاريخه عن عبد الله بن عباس عن علي بن أبي طالب عليه السلام، قال: لما أنزلت هذه الآية: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾.. ثم ذكر الرواية عن الطبري ثم علق وقال: ويدل على أنه وزير رسول الله ﷺ من نص الكتاب والسنة، قول الله تعالى: ﴿وَأَجْعَلْ لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾^(٣). وقال النبي ﷺ في الخبر المجمع على روايته بين سائر فرق الإسلام: (أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي)، فأثبت له جميع مراتب هارون عن موسى، فاذن هو وزير رسول الله ﷺ، وشاهد أزره، ولولا أنه خاتم النبيين لكان شريكاً في أمره^(٤).

كما إن رواية أخرى رويت عن أبي إسحاق البراء نقلها الثعلبي في تفسيره وغيره عن أبي إسحاق عن البراء قال: لما نزلت: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ جمع رسول الله ﷺ بني عبد المطلب وهم يومئذ أربعون رجلاً،

١ - أي أدقمهم ساقاً.

٢ - تاريخ الطبري - ج ٢ - ص ٦٢ - ٦٣ .

٣ - سورة طه / ٢٩ - ٣٢ .

٤ - شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد - ج ١٣ - ص ٢١٠ - ٢١١ .

الرجل منهم يأكل المسنة ويشرب العس، فأمر علياً برجل شاة فأدمها ثم قال: أدنوا باسم الله، فدنا القوم عشرة عشرة فأكلوا حتى صدروا، ثم دعا بقعب من لبن فجرع منه جرعة ثم قال لهم: اشربوا باسم الله، فشرب القوم حتى رووا، فبدرهم أبو لهب فقال: هذا ما يسحركم به الرجل، فسكت النبي ﷺ يومئذ فلم يتكلم. ثم دعاهم من الغد على مثل ذلك من الطعام والشراب ثم أنذرهم رسول الله ﷺ فقال: (يا بني عبد المطلب إني أنا النذير إليكم من الله سبحانه والبشير لما يجيء به أحدٌ منكم، جئتكم بالدنيا والآخرة فأسلموا وأطيعوني تهتدوا، ومن يواخيني ويؤازرني ويكون وليي ووصيي بعدي، وخليفتي في أهلي ويقضي ديني؟ فسكت القوم، وأعاد ذلك ثلاثاً، كل ذلك يسكت القوم، ويقول علي: أنا، فقال: (أنت) فقام القوم وهم يقولون لأبي طالب: أطع ابنك فقد أمر عليك^(١).

وقد ذكر هذا الحديث في مصادر كثيرة لدى غير الإمامية^(٢).

من مصادر الإمامية

وأما ما روي في مصادر الإمامية فمنها ما في تفسير الميزان، قال: وفي علل الشرائع بإسناده عن عبد الله بن الحارث بن نوفل عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: لما نزلت: ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ أي رهطك المخلصين دعا رسول الله ﷺ بني عبد المطلب وهم إذ ذاك أربعون رجلاً

١ - تفسير الثعلبي - ج ٧ - ص ١٨٢ وأيضاً في شواهد التنزيل للحسكاني ج ١ ص ٥٤٣.

٢ - ذكر الشيخ حسين آل راضي في تنمة المراجعات ص ٦٨ مصادر عدة منها تفسير الدر المنثور للسيوطي ج ٥ ص ٩٧ وتفسير ابن كثير ج ٣ ص ٣٥١ ومسند الإمام أحمد ج ١ ص ١١١ طبع الميمنية بمصر.

يزيدون رجلاً وينقصون رجلاً فقال: أيكم يكون أخي ووارثي ووزير
ووصي وخليفتي فيكم بعدي، فعرضَ عليهم ذلك رجلاً رجلاً كلُّهم يأبي
ذلك، حتى أتى علي فقلت: أنا يا رسول الله. فقال: يا بني عبد المطلب هذا
وارثي ووزير وخليفتي فيكم بعدي فقام القوم يضحك بعضهم إلى بعض
ويقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع وتطيع لهذا الغلام^(١).

نتيجة الأحاديث المروية في الآية

أيها القارئ الكريم: إننا نستنتج من هذه الأحاديث المروية في تفسير
هذه الآية المباركة أن في الآية دلالة واضحة على خلافة الإمام علي عليه السلام
للسني عليه السلام، حيث صرح عليه السلام أنه وارثه ووزيره وخليفته من بعده، فتكون
هذه الآية من الآيات الدالة على إمامة أمير المؤمنين علي عليه السلام.

أسئلة واستفسارات

هناك بعض الأسئلة والاستفسارات التي تُطرح في هذا المجال، ونحن
نتناولها بالبحث والمناقشة:

الاستفسار الأول: هل لنزول الآية قصة أخرى؟

لقد وردت روايات أخرى في شأن نزول هذه الآية وليس فيها ما
يشير إلى موضوع الخلافة، فهل لنزول الآية قصة أخرى؟
الجواب: لقد وردت روايات باسانيد ينتهي بعضها إلى عائشة وأخرى
إلى أبي هريرة وثالثة إلى أبي موسى الأشعري وغيرهم، فمثلاً:
١ - في صحيح مسلم عن عائشة قالت: لما نزلت: ﴿وانذر عشيرتك

٢٣٢أربعون آية

الأقربين) ، قام رسول الله ﷺ على الصفا فقال: يا فاطمة بنت محمد: يا صفية بنت عبد المطلب: يا بني عبد المطلب: لا أملك لكم من الله شيئا، سلوني من مالي ما شئتم^(١).

٢ - وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال: لما أنزلت هذه الآية: ﴿وانذر عشيرتك الأقربين﴾ دعا رسول الله ﷺ قريشاً فاجتمعوا، فعمّ وخصّ فقال: يا بني كعب بن لؤي: أنقذوا أنفسكم من النار.

يا بني مرة بن كعب: أنقذوا أنفسكم من النار.

يا بني هاشم: أنقذوا أنفسكم من النار.

يا بني عبد المطلب: أنقذوا أنفسكم من النار.

يا فاطمة: أنقذي نفسك من النار، فاني لا أملك لكم من الله شيئا غير أن لكم رحماً سألها ببلها^(٢).

٣ - وعن قبيصة بن مخارق وزهير بن عمرو قال: لما نزلت على رسول الله ﷺ: ﴿وانذر عشيرتك الأقربين﴾ انطلق رسول الله ﷺ إلى صخرة من جبل فعلا أعلاها، ثم نادى أو قال: يا آل عبد مناف إني نذير، إن مثلي ومثلكم كمثلي ومثلكم رأيت العدو فانطلق يريو أهله ينادي، أو قال - : يهتف يا صباحاه^(٣).

وهكذا رواية أخرى عن البراء وغيره شبيهة بهذه المضامين، وهذه

١ - صحيح مسلم، كتاب الايمان، باب وانذر عشيرتك الأقربين ج ١ / ١٩٢ .

٢ - صحيح مسلم، كتاب الايمان، باب وانذر عشيرتك الأقربين ج ١ / ١٩٢ .

٣ - مسند أحمد ج ٢ / ٤٧٦ و ج ٥ / ٦٠ .

المضامين لا علاقة لها بموضوع الولاية والإمامة.

فكيف التوفيق بين هذه الروايات وبين التي ذكرت قضية الخلافة؟

الجواب عن الاستفسار

أجاب المحققون عن هذا الاستفسار - بعد دراستهم لهذه الروايات وأسانيدها - من لحاظين: لحاظ أسانيدها ولحاظ متونها.

مناقشة أسانيدها

أمّا من جهة أسانيدها فصرّحوا أن هذه الروايات ينتهي سندها إلى مجموعة لا يمكن انتهاؤه إليهم، إذ بعد الدراسة والتحقيق تبين أنه لم يكن أحدٌ من هؤلاء موجوداً يوم نزول الآية المباركة، حيث اجمع المفسرون أن آية الإنذار هي من سورة الشعراء وهي مكّية نزلت في العام الثالث بعد البعثة، والحال أن من نُسب إليهم الرواية وهم (أبو هريرة وعائشة وأبو موسى الأشعري وابن عباس وقبيصة بن المخارق وزهير بن عمرو وانس بن مالك وأبو إمامة والبراء بن عازب) منهم من لم يولد يومئذٍ ومنهم من لم يكن في مكة، فإن عائشة وُلدت في السنة الرابعة بعد البعثة، وأبو موسى الأشعري وأبو هريرة قد وردا المدينة في السنة السابعة بعد الهجرة، وعبد الله بن العباس قد ولد بعد نزول الآية بسبع سنين في شعب أبي طالب، وأمّا قبيصة فهو لم ير النبي ﷺ بمكة بل إلتقى به في المدينة، وأمّا زهير بن عمرو فكان من أهل البصرة والتي تأسست عام أربعة عشر من الهجرة، وهكذا البراء هو من قبيلة الأوس من أهل المدينة وكان عمره يوم بدر خمس عشرة سنة ولم يقبل النبي مشاركته ببدر لصغر سنه فيكون عمره يوم نزول الآية ثلاث سنوات، وأمّا

أبو امامة فهناك خمسة يُكْتَوْنَ بأبي إمامة وليس أحدٌ منهم من أهل مكة ولم يكن أحدٌ منهم موجوداً يوم نزول الآية فكيف يجوز لواحد من هؤلاء أن يتحدث عن شأن نزول الآية مباشرة دون أن يسند ذلك لغيره، مع العلم أن ابن عباس في تلك الرواية المؤيدة لما نحن فيه قد نسب الحديث إلى الإمام علي عليه السلام ولم يسنده لنفسه كما نسب إليه هنا!! وللمزيد من التحقيق في ذلك يمكن مراجعة الكتب المخصّصة في ذلك ^(١).

اذن: فالأسانيد كلّها ضعيفة والأحاديث غير مقبولة ولا يمكن الاعتماد عليها أو الاستدلال بها.

مناقشة المتون

ولابدّ من التوقف عند بعض هذه المتون ومناقشتها، فمثلاً:

١ - نلاحظ في هذه الروايات أن النبي صلى الله عليه وآله خاطب - فيمن خاطب - فاطمة عليها السلام وقال: يا فاطمة سليني ما شئت لا أغني عنك من الله شيئاً.. هذا مع أن ولادة الصديقة كانت في السنة الخامسة بعد البعثة بينما الآية كان نزولها في السنة الثالثة من البعثة، ويعني هذا أن السيدة الزهراء عليها السلام لم تكن قد وُلدت بعد، على اصح الأقوال، وحتى لو فرضنا أنها كانت قد ولدت كما يدعي البعض إلا أنها لم تكن في سنّ التكليف الشرعي حتى تخاطب بمثل ذلك الخطاب لاسيّما عند القوم الذين لا يرون لها خصوصية على سائر النساء، وأمّا عند أتباع أهل البيت فإنها عليها السلام لم تكن قد ولدت بعد ولم تكن

١ - راجع كتاب أحاديث أم المؤمنين عائشة للسيد مرتضى العسكري ج ٢ ص ٢٩٣ .

حاضرة حين نزول الآية.

٢ - نلاحظ في بعض الروايات أن النبي ﷺ خاطب بني عبد المطلب وبني كعب وغيرهم وقال لهم: إني لا املك لكم من الله شيئاً، أنقذوا أنفسكم من النار. مع أن هؤلاء في حينها كانوا كفّاراً لا يؤمنون برسالة النبي ولا بالمعاد، ومنهم من قال: ﴿مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾^(١) وأتهم النبي بالكذب والسحر والجنون، فكيف يصح مخاطبتهم حينها بقوله ﷺ: (إني لا املك لكم من الله شيئاً، أنقذوا أنفسكم من النار)!!؟

إضافة إلى أن بعض هؤلاء ليسوا من عشيرته الأقربين، والآية قالت: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾!!؟

٣ - من الواضح أن النبي ﷺ تزوّج بعائشة وحفصة وأم سلمة في المدينة لا في مكة، والحال أن هذه الروايات صرّحت بأنه ﷺ جمع بني هاشم ونساءه وأهله وفاطمة وعائشة وحفصة وأم سلمة وقال لهم ما قال، مع أن الآية نزلت - كما بيّنا - في مكة قبل الهجرة بعشر سنوات.

فيتوضّح لنا من خلال هذه الملاحظات والإشكالات أن هذه الروايات لا تصمد أمام النقد لا من جهة مسانيدها ولا من جهة مضامينها ومتونها، في حال سنرى صحة الأحاديث الأخرى ومتانة متونها لدى الفريقين.

صحّة حديث الدار

في قبال ضعف تلك الرايات سنبدأ ومتناً نجد أن روايات حديث الدار

والتي فسّرت الآية ﴿وأنذر عشيرتک الأقربین﴾ في موضوع دعوة النبي ﷺ لعشيرته في دار أبي طالب ﷺ نجدها صحيحة لا غبار عليها.
فمثلاً: المحافظ الهيثمي في كتابه مجمع الزوائد يروي حديث الدار ثم يقول: رواه احمد ورجاله ثقات ^(١).

١ - مجمع الزوائد لمحافظ الهيثمي ج ٨ ص ٣٢ باب معجزات النبي ﷺ في الطعام، ومن المصادر الأخرى لحديث الدار يوم الإنذار وفيه قول النبي ﷺ لعلي ﷺ: "إن هذا أخي ووصي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا" ماورد في هامش كتاب النص والاجتهاد للسيد شرف الدين ص ٨. هي: تاريخ الطبري ج ٢ ص ٣١٩ - ٣٢١ ط دار المعارف بمصر، الكامل في التاريخ لابن الأثير الشافعي ج ٢ ص ٦٢ و ٦٣ ط دار صادر في بيروت، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١٣ ص ٢١٠ و ٢٤٤ وصححه ط مصر بتحقيق أبو الفضل، السيرة الحلبية للمحلي الشافعي ج ١ ص ٣١١ ط الهمية بمصر، منتخب كنز العمال بهامش مسند أحمد ج ٥ ص ٤١ و ٤٢ ط الميمنية بمصر، شواهد التنزيل للحسكاني الحنفي ج ١ ص ٣٧١ ح ٥١٤ و ٥٨٠ ط بيروت، كنز العمال ج ٦ ص ٣٩٢ ط ١ و ج ١٥ ص ١١٥ ح ٣٣٤ ط ٢، ترجمة الإمام علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق لابن عساکر الشافعي ج ١ ص ٨٥ ح ١٣٩ و ١٤٠ و ١٤١ ط بيروت، تفسير الخازن ج ٣ ص ٣٧١ و ٣٩٠ ط مصر، التفسير المنير لمعالم التنزيل للجاري ج ٢ ص ١١٨ ط ٣، تفسير الطبري ج ١٩ ص ١٢١ ط ٢ ولكن المؤلف أو الطابع حرّف آخر الحديث فحذف قوله ﷺ: (إن هذا أخي ووصي وخليفتي فيكم) وذكر بدله "أن هذا أخي وكذا وكذا!" فيا للعجب لهذه الأعمال التي تنطوي على المقدّ الدفين والحسد المشين مع أنه ذكر الحديث تاماً في تاريخه ج ٢ ص ٢١٩ كما تقدم. وبلطف آخر: وفيه نزل قوله تعالى: "وأنذر عشيرتک الأقربین" الشراء: ٢١٤ يوجد في: شواهد التنزيل للحسكاني الحنفي ج ١ ص ٣٧٢ ح ٥١٤ و ج ٢ ص ٤٢٠ ح ٥٨٠ ط ١ بيروت، مسند أحمد ج ١ ص ١١١ ط الميمنية بمصر، كفاية الطالب المكنجي الشافعي ص ٢٠٤ - ٢٠٦ ط الحيدرية وص ٨٩ ط الغري، تذكرة الخواص للسبط بن الجوزي الحنفي ص ٢٨ ط الحيدرية وص ٤٤ ط النجف، كنز العمال ج ٦ ص ٣٩٦ ط ١ و ج ١٥ ص ١١٣ و ١١٥ ط ٢، منتخب كنز العمال بهامش مسند أحمد ج ٥ ص ٤١ و ٤٢ و ٤٣ ط الميمنية بمصر، ينابيع المودة للمقدوزي الحنفي ص ١٠٥ ط اسلامبول وص ١٢٢ ط الحيدرية، تاريخ أبي

كما صحَّحه الحاكم النيسابوري - وهو من كبار علماء اهل السُّنة - في المستدرک على الصحيحين، ووافقه على التصحيح الذهبي في تلخيص المستدرک، ويقول الشهاب الخفاجي: إن سند هذا الحديث صحيح^(١).

وقد تسأل عن البخاري ومسلم لماذا لم يذكرهما في صحيحهما؟! والتساؤل في محلّه لأن الحديث جاء بأسانيد متعددة وبرجال موثّقين عندهما فالحديث - باصطلاحهم - صحيح على شرط الشيخين فلماذا أهمله؟!^(٢).

لاشكّ أن هناك دواعي غير خافية على المتتبع، حيث لا يروق للبعض أن يُصرّح بولاية الإمام علي عليه السلام أو بما يشير إلى ذلك، وليس غريب ذلك في كتبهم فابن تيمية كذّب الخبر من أساسه، والطبري ترك التفصيل في تفسيره وروى عن النبي ﷺ أنه قال: (أَيُّكُمْ يُوَازِرُنِي عَلَى هَذَا الْأَمْرِ.. إِلَى أَنْ قَالَ.. إِنْ هَذَا أَخِي وَكَذَا وَكَذَا) بينما صرّح بذلك في تاريخه^(٣)، وليس ببعيد ما فعله محمد حسين هيكل من حذف ما دوّنه في كتابه في طبعته الأولى

الفداء ج ١ ص ١١٩ ط القسطنطينية، الدر المنثور للسيوطي ج ٥ ص ٩٧ ط مصر، تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٣٥١ ط مصر. ولفظ ثالث يوجد في: خصائص أمير المؤمنين للنسائي ص ٨٦ ط الحيدرية و ص ٣٠ ط بيروت، نظم درر السطين للزرتدي الحنفي ص ٨٣ ط النجف، مجمع الزوائد للحافظ الهيثمي ج ٨ ص ٣٠٢ و ج ٩ ص ١١٣ ط القدسي. ولأجل المزيد من المصادر راجع (سبيل النجاة في تمة المراجعات) تحت رقم - ٧١١ - ط بيروت.

١ - نسيم الرياض شرح الشفاء للقاضي عياض ج ٣ ص ٣٥ .

٢ - راجع القدير للاميني ج ٢ ص ٢٧٨ - ٢٨٣ .

٣ - لاحظ، تفسير الطبري ج ١٩ ص ١٢١ و تاريخه ج ٢ ص ٣١٩ .

عندما طبعه ثانياً^(١).

وملخص الكلام - وهو بيت القصيد- إن حديث يوم الدار هو حديث آية الإنذار وهو الحديث الصحيح وليس غيره.

الاستفسار الثاني: ألم يكن الإمام صبياً؟

ربما يقال: إن الإمام علياً عليه السلام حين نزول الآية كان صبياً، فكيف يعينه النبي صلى الله عليه وسلم خليفة ووصياً ووزيراً و.. الخ؟

الجواب:

أولاً: إن موضوع الخلافة والإمامة بما أنها يجعل من الله تعالى فلا يلاحظ فيها موضوع السن والعمر، أما نقرأ قوله تعالى في شأن يحيى النبي عليه السلام: ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾^(٢)، وكذلك بالنسبة للنبي عيسى عليه السلام نقرأ قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾^(٣) قالها عيسى عليه السلام وهو بعد في المهد، فلا يستغرب الإنسان المؤمن بالله تعالى من ذلك.

ثانياً: لقد صدر هذا الأمر من النبي الذي ما ينطق عن الهوى، فإذا

١ - حياة محمد لمحمد حسين هيكل ص ١٠٤ الطبعة الأولى سنة ١٣٥٤ هـ وفي الطبعة الثانية وما بعدها من طبعات الكتاب حذف من الحديث قوله صلى الله عليه وسلم: (وأن يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم)؛ وأكبر شاهد مراجعة الطبعة الأولى والطبعات الأخرى، جريدة السياسة المصرية لمحمد حسين هيكل ملحق عدد - ٢٧٥١ - بتاريخ ١٢ ذي القعدة ١٣٥٠ هـ ص ٥ و ص ٦ من ملحق عدد:

٢٧٨٥ - ذكر الحديث بتمامه .

٢ - مرجم/١٢.

٣ - مرجم/٣٠.

رفضنا قبوله والإعتراف به نكون مثل أولئك الذين ما قبلوا ذلك من النبي ﷺ وقاموا مستهزئين يضحكون، ونعوذ بالله من ذلك.

ثالثاً: إن من يرجع إلى تاريخ علي عليه السلام والأئمة من أهل البيت عليهم السلام ويقرأ عنهم في صغرهم لا يشك ولا يتردد في أنهم لم يكونوا كسائر صغار الناس وأطفالهم بل كانت أفعالهم وأقوالهم تفوق أقوال وأفعال الرجال الكبار العاديين من الناس فلا تفتأ أقوالهم وأفعالهم ملازمة للحكمة والصواب.

وقد تقل العلامة الأميني - في الغدير - كلمة الإسكافي في ردّه على الجاحظ في كتابه (التنقض على العثمانية) بعد ما ذكر حديث الدار، فقال:
فهل يُكَلِّف عمل الطعام ودعاء القوم صغير غير مميّز و غير عاقل؟!!

وهل يُؤتمن على سرّ النبوة طفل ابن خمس سنين أو ابن سبع سنين؟!؟!
وهل يُدعى في جملة الشيوخ والكهول إلاّ عاقل لبيب؟!
وهل يضع رسول الله ﷺ يده في يده ويعطيه صفقة يمينه بالأخوة والوصية والخلافة إلاّ وهو أهل لذلك، بالغ حد التكليف، محتمل لولاية الله و
عداوة أعدائه؟!!

وما بال هذا الطفل لم يأنس بأقرانه؟! ولم يلصق بأشكاله؟! ولم يرمع الصبيان في
ملاعبهم بعد إسلامه؟! وهو كأحدهم في طبقتهم، كبعضهم في معرفته؟!
وكيف لم يتزع إليهم في ساعة من ساعاته، فيقال: وعاه بعض الصبا، وخاطر
من خواطر الدنيا، وعملته الغرّة والحدّثة على حضور هههم، والدخول في
حالهم؟!!

بل ما رأيناه إلاّ ماضياً على إسلامه، مصمماً في أمره، محققاً لقوله بفعله، قد

٢٤٠أربعون آية

صدق إسلامه بعفاهه وزهده، ولصق برسول الله ﷺ من بين جميع من بحضرتة، فهو أمينه وأليفه في دنياه وآخرته.. إلى آخر كلامه^(١).
فلا يقاس أمير المؤمنين عليه السلام بغيره من سائر الناس.

رابعاً: ثم إن الإمام علياً عليه السلام وإن كان حينها صبيّاً إلا أن الخلافة التي كان على المسلمين أن يسندوها إليه هي بعد ارتحال النبي ﷺ وحينها قد تجاوز سنّه الثلاثين من العمر فلا مانع من أن يعلن النبي ﷺ خلافته ووصايته في بدايات الدعوة، وقد يكون النبي ﷺ أراد أن يشير من بداية الأمر إلى موضوع الإمامة كما أشار إلى موضوع التوحيد والنبوة.

الاستفسار الثالث: هل الوصيّة في أهل النبي فقط؟

قد يقول قائل: إن الخلافة والوصاية التي أرادها النبي ﷺ للإمام علي عليه السلام في هذه الرواية قد تكون في خصوص أهله وعياله فما هي العلاقة بين آية الإنذار والخلافة العامّة على سائر المسلمين؟

الجواب:

إذا تأملنا كلام النبي ﷺ مع القوم نجده صريحاً في الخلافة العامّة لأنه ﷺ يقول: (من يؤازرني ويؤازرني على هذا الأمر).. فما هو هذا الأمر؟ لاشك أنه أمر الإنذار والرسالة العامّة لجميع الناس، ثمّ يؤكد بعد ذلك قائلاً: (يكون وليّ ووصيّ بعدي وخليفتي في أهلي ويقضي ديني) يعني يخلفه في مهمّته وهي الرسالة والقيادة، وقد وضّح هذا الأمر أكثر حينما قال لهم بعد

١ - الغدير للشيخ الأميني - ج ٢ - ص ٢٨٧. كلمة الإسكافي حول الحديث في كتابه - النض على العثمانية - قال بعد ذكر الحديث باللفظ المذكور ص ٢٧٨.

إعلان علي عليه السلام مؤازرته له: (إن هذا أخي ووصي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا) ولو لم يقصد الخلافة العامة من كلامه لما ضحك المشركون، فقد هزؤوا من عظيم طموح النبي صلى الله عليه وآله حيث يرى أن مهمته ورسالته تامة وهو ماضٍ فيها إلى حيث انه استخلف عليهم خليفة، فقالوا لأبي طالب عليه السلام: أطمع ابنك فقد أمرّ عليك.

هذا.. إضافة إلى أن الخلافة على أهله من بعده أيضاً تستلزم الخلافة على الجميع إذ لا تكون خلافتان في آن واحد^(١).

ولعله صلى الله عليه وآله ذكر أهله في الكلام باعتبار أن الدعوة كانت لعشيرته الأقربين وباعتبار أن الإنذار كان لهم أولاً وليس لتخصيص الخلافة عليهم. هذا، واعلم - أيها القارئ الكريم - أن بعض أعداء أهل البيت كذب الخبر من أساسه كعادته في تكذيب الكثير من مناقب أمير المؤمنين عليه السلام وقال إن مجرد الإجابة إلى مثل ذلك لا يوجب الخلافة فان جميع المسلمين آزره ولم يكن منهم احد خليفة له، ومن الجائز أن يجيبه جماعة منهم فحيثئذ من يكون خليفة منهم؟^(٢)

والجواب هو أن النبي صلى الله عليه وآله لم يعتبر مجرد الإجابة لدعوته علة تامة للخلافة من بعده حتى تلزم الخلافة لكل من أجابه حتى ولو لم يكن من عشيرته! بل كان الخطاب موجهاً إلى عشيرته بأمر من الله تعالى.

ثم إنه لو أجابه جمع منهم - فرضاً - أمكن أن يختار واحداً منهم بأمر

١ - يمكن مراجعة كتاب مصباح الهداية في إثبات الولاية للسيد علي البهبهاني ص ١٥٠.

٢ - منهاج السنة لابن تيمية ج ٤ ص ٨٢.

من الله تعالى أيضاً وكان يقع الاختيار على الإمام علي عليه السلام لما يعلم الله تعالى من كفاءته وما أودعه فيه من مزايا كثيرة.

هذا.. والجدير بالذكر أن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام استدللّ بحديث الدار على اولويّته برسول الله وأنه وارثه، ومن الواضح أنه لا يقصد الوراثه الماليّة، بل يقصد الوراثه القياديّة، فقد نقل الطبري في تاريخه والنسائي في خصائص أمير المؤمنين عليه السلام ، أن رجلاً سأل الإمام علياً عليه السلام قائلاً: يا أمير المؤمنين بم ورثت ابن عمك دون عمك ؟

فقال عليه السلام: هاؤم، ثلاث مرات، حتى اشرب الناس وأصفوا إليه، ثم ذكر عليه السلام حديث الدار إلى أن نقل قول النبي صلى الله عليه وآله: (يا بني عبد المطلب إني بعثت إليكم خاصّة وإلى الناس عامّة، فأيكم يباعدني علي أن يكون أخي وصاحبي ووارثي)، فلم يقم إليه احد، فقامت إليه وكنت اصغر القوم فقال صلى الله عليه وآله: إجلس، ثم قال ذلك ثلاث مرات، كل ذلك أقوم إليه فيقول إجلس، حتى كان الثالثة فضرب بيده على يدي ثم قال: فبذلك ورثت ابن عمي دون عمي ^(١).

الخلاصة:

لقد دلّ ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿وأنذر عشيرتَك الأقرين﴾ ممّا فعله النبي صلى الله عليه وآله وصرّح به لعشيرته، دلّ على خلافة الإمام علي عليه السلام من بعد النبي صلى الله عليه وآله وبذلك عُدّت هذه الآية من آيات الإمامة والولاية لأمر المؤمنين عليه السلام وهذا ما أردنا بيانه في هذا الفصل .

والحمد لله ربّ العالمين .

الفصل الحادي عشر

آية الإمام المبين

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ
أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾^(١).

تُعَدُّ هذه الآية المباركة من آيات الولاية والإمامة الإمام علي عليه السلام .

وقبل الخوض في الاستدلال بها على ذلك نقف قليلاً على بيان بعض معانيها وشأن نزولها.

معنى الآية:

لقد جاء في تفسير الآية: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ﴾ أي أن الله سبحانه وتعالى يحيي الموتى في يوم القيامة للجزاء من ثواب وعقاب للعباد.

﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا﴾ أي أن الله تعالى يكتب ما قدم الناس من طاعتهم ومعاصيهم في دار الدنيا، و قيل: يكتب ما قدموه من عمل ليس له أثر ﴿وَآثَارَهُمْ﴾ أي يكتب سبحانه ما يكون له أثر أيضاً، و قيل: يعني

٢٤٦أربعون آية

بسبب آثارهم يكتب لهم أعمالهم التي صارت سُنَّة بعدهم يُقتدى فيها بهم، حسنة كانت أم قبيحة، وقيل: معناه ونكتب خطاهم إلى المسجد، على ما ذكروا من شأن لنزول الآية، وسيأتي ذلك.

﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ أي وأحصينا و عددنا كل شيء من الحوادث في كتاب ظاهر و هو اللُّوح المحفوظ، و الوجه في إحصاء ذلك فيه اعتبار الملائكة به إذ قابلوا به ما يحدث من الأمور و يكون فيه دلالة على معلومات الله سبحانه على التفصيل، و قيل: أراد به صحائف الأعمال و سُمي ذلك مبيناً لأنه لا يُدرس أثره، هذا هو معنى الآية ظاهراً، - على ما في تفسير مجمع البيان للطبرسي - بتصرف و توضيح منا..

وقد جاءت الآية تنذر الذي لا يهتم بإرشادات النبي وتبشّر بالمغفرة لمن يؤمن بالله تعالى ويستجيب للنبي ﷺ.

شأن نزول الآية:

روى أبو سعيد الخدري أن بني سلمة كانوا في ناحية المدينة فشكوا إلى رسول الله ﷺ بعد منازلهم من المسجد و الصلاة معه فنزلت الآية، وفي الحديث عن رسول الله ﷺ: إن أعظم الناس أجراً في الصلاة أبعدهم إليها محشىً فأبعدهم.. كما ورد ذلك في تفسير مجمع البيان وفي البخاري أيضاً.

الاستدلال بالآية

بعد التأمل في هذه الآية المباركة و مراجعة الروايات الواردة فيها يتبين لنا دلالة الآية على ولاية الإمام علي عليه السلام، وذلك من خلال دالتين:

الفصل الحادي عشر: آية الإحصاء في كل شيء ٢٤٧

الدلالة الأولى: من جهة تعبير الآية بعبارة (الإمام) وكان هو المراد - كما سنلاحظ ذلك في الروايات الآتية - فإذا عبّر في الآية عن علي عليه السلام بعبارة الإمام - كما في تفسير الآية - تعيّن أن يكون هو الإمام بالفعل.
الدلالة الثانية: من جهة إحصاء كل شيء فيه، حيث دلّ ذلك على أفضليته على من سواه، ممّا يلزم إمامته على من سواه بعد رسول الله صلى الله عليه وآله.

التفسير الروائي للآية

وقبل مناقشة الموضوع نتوقف عند ذكر بعض الروايات في تفسير هذه الآية في كتب الفريقين.

أولاً: ممّا جاء في مصادر غير الإمامية

١ - ذكر القندوزي الحنفي في كتابه ينابيع المودة قال:
في المناقب: بالسند عن أبي الجارود، عن محمد الباقر، عن أبيه، عن جده الحسين عليه السلام لما نزلت هذه الآية: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ قالوا: يا رسول الله هو التوراة أو الإنجيل أو القرآن؟ قال: لا، فأقبل إليه أبي عليه السلام فقال صلى الله عليه وآله: هو هذا الإمام الذي أحصى الله فيه علم كل شيء^(١).

٢ - العلامة ابن حسنويه قال: عن عمار بن ياسر رضي الله عنه قال: كنت مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) في بعض غزواته، فمررنا بواد مملوء نملًا، فقلت: يا أمير المؤمنين ترى يكون أحدٌ من خلق الله

١ - ينابيع المودة لذوي القربى - القندوزي - ج ١ - ص ٢٣ .

يعلم كم عدد هذا النمل؟

قال: نعم، يا عمّار أنا أعرف رجلاً يعرف كم عدده، وكم فيه ذكر، وكم فيه أنثى، فقلت: مَنْ ذلك يا مولاي الرجل؟

فقال: يا عمار ما قرأتَ في سورة يس: ﴿وَ كُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ فقلت: بلى يا مولاي.

فقال: أنا ذلك الرجل الإمام المبين^(١).

والشيخ القندوزي يذكر هذه الرواية عن أبي ذر، وربما هي في واقعة أخرى فيقول: (عن أبي ذر رضي الله عنه قال: كنت سائراً مع علي عليه السلام إذ مررنا بواد نخل كالسَّيل، فقلت: الله أكبر جلَّ محصيه، فقال عليه السلام: لا تقل ذلك ولكن قل جلَّ بارئه، فوالذي صوَّرني وصوَّرك إني أحصي عددهم، وأعلم الذكر منهم والأنثى بإذن الله (عزَّ وجلَّ))^(٢).

ونلاحظ كلمة الإمام عليه السلام (بإذن الله) فلعله يريد أن لا يغلو فيه الغالون فيتوهّموا فيه ما لا ينبغي من الغلو، ولعله يريد أيضاً أن لا يتقل ذلك على بعض الناس، فانه علم معتمد على قدرة الله وإذنه سبحانه وتعالى وليس أمراً ذاتياً ومستقلاً عن قدرة الله تعالى.

ثانياً: بعض روايات الإمامية

١ - عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر، عن أبيه عن جده عليه السلام قال:

١ - كتاب درّ بحر المناقب للحافظ ابن حسنويه الموصلي الحنفي ص ٤ ، عنه كتاب شرح احقاق الحق للسيد المرعشي ج ٨ ص ١٠٤ .

٢ - العلامة القندوزي في ينابيع المودة (ص ٧٧ ط اسلامبول).

(لما نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ قام أبو بكر وعمر من مجلسهما فقالا: يا رسول الله هو التوراة؟ قال: لا، قال: فهو الإنجيل؟ قال: لا قالوا: فهو القرآن؟ قال: لا، قال فأقبل أمير المؤمنين عليه السلام فقال رسول الله ﷺ: هو هذا، إنه الإمام الذي أحصى الله تبارك وتعالى فيه علم كل شيء) (١).

٢- ذكر في تفسير الثقلين عن ابن عباس عن أمير المؤمنين صلوات الله عليه أنه قال: (أنا والله الإمام المبين، أبين الحق من الباطل، ورثته من رسول الله ﷺ. وفيه أيضاً عن النبي ﷺ حديثاً طويلاً يقول فيه: (معاشر الناس ما من علم إلا علمنيه ربي وأنا علمته علياً وقد أحصاه الله في، وكل علم علمته فقد أحصيته في إمام المتقين، وما من علم إلا علمته علياً) (٢).

بعد مراجعة هذه الأحاديث يتجلى بوضوح: أن علي بن أبي طالب عليه السلام هو الإمام - كما عبرت الآية- وهو المفضل على غيره بعد رسول الله ﷺ في الإمامة لأنه هو الذي أحصى الله فيه علم كل شيء مما يحتاجه العباد في أمور الدين والدنيا.

سؤال: أليس الإمام المبين هو اللوح المحفوظ ؟

ربما يسأل سائل: اليس الإمام المبين هو اللوح المحفوظ؟ وذلك لان كثيراً من المفسرين ذكروا هذا المعنى في تفسير الآية.

١- بحار الانوار للعلامة المجلسي جزء ٣٥ صفحة ٤٢٨ .

٢- تفسير نور الثقلين للحويزي ج ٤ ص ٧.

يقال في الجواب : يمكن الإجابة على هذا السؤال من جهات عديدة:
أولاً: إن تفسير رسول الله ﷺ - الذي نزل القرآن على صدره -
 يجب أن يقدم على غيره من التفاسير، فلما وصلنا رواية صحيحة وصریحة في
 تفسير الآية عن لسان المعصوم عليه السلام ينبغي أن تقدم على الأقوال الأخرى.

ثانياً: لا مانع عقلاً من الأمرين، فأی مانع من أن يعلم الله نبيه كل
 شيء ثم إن نبيه يعلم وصيه كل شيء ويكون هو الإمام الذي أحصى الله فيه
 علم كل شيء، ومن ذلك ما هو محفوظ في اللوح المحفوظ؟! فان الله تعالى كما
 حفظ ذلك في اللوح جعله عند النبي ووصيه وأوصيائه من بعده عليهم السلام، فيكون
 اللوح مصداقاً لذلك والإمام المعصوم عليه السلام مصداقاً لذلك أيضاً.

وحديث أمير المؤمنين عليه السلام يدل على أنه ورث ذلك من النبي ﷺ
 حيث قال: (أنا والله الإمام المبين، أبين الحق من الباطل، ورثته من رسول
 الله ﷺ) ^(١).

كما إنه قد يشير إلى ذلك أيضاً ما جاء عن الإمام الصادق عليه السلام حيث
 يقول سدير الصيرفي: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام وقد اجتمع إلي ماله
 فأحببت دفعه إليه، وكنت حبست منه ديناراً، لكي أعلم أقاويل الناس،
 فوضعت المال بين يديه فقال لي: يا سدير خُتنتنا، ولم تُرد بخيانتك إيانا
 قطيعتنا.

قلت: جعلت فداك وما ذاك؟

قال: أخذت شيئاً من حقنا لتعلم كيف مذهبنا.

قلت: صدقت جعلتُ فداك، إنما أردتُ أن أعلم قول أصحابي.
 فقال لي: أما علمتَ أن كلَّ ما يُحتاج إليه نعلمه، وعندنا ذلك؟! أما سمعت
 قول الله تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾؟! اعلم أن علم
 الأنبياء محفوظ في علمنا، مجتمع عندنا وعلمنا من علم الأنبياء، فأين يذهب
 بك؟!!

قلت: صدقتُ جعلتُ فداك (١).

ثالثاً: ومما يدلُّ على هذا المعنى ويدعمه هو ما جاء في تفسير الآية
 المباركة: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي
 وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ (٢).

حيث فسرت هذه الآية بالإمام علي عليه السلام أيضاً فهو الذي عنده علم
 الكتاب، الكتاب الذي فيه تبيان كلِّ شيء كما قال سبحانه: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ
 الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ (٣) فان من
 عنده علم كتاب فيه تبيان كلِّ شيء يعني هو من احصى الله تعالى فيه كلَّ
 شيء، فهذه الآية المباركة تدعم تلك الآية الأخرى..

بعض أحاديث الفريقين أيضاً

وقد بيّنت الأحاديث عند الفريقين أيضاً هذا المعنى فنلاحظ ذلك في:

١ - بحار الأنوار للمجلسي جزء ٤٧ / صفحة ١٣٦.

٢ - الرعد/٤٣.

٣ - النحل/٨٩.

المصادر عند غير الامامية

اولاً: ذكر الحاكم المسكاني في شواهد التنزيل رواية عن ابي سعيد الخدري وأخرى عن ابن عباس وثالثة عن محمد بن الحنفية عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ قال: ذاك اخي علي بن ابي طالب^(١).

كما نقل الحاكم أيضاً عن ابي صالح في الآية المباركة انه قال: علي بن ابي طالب كان عالماً بالتفسير والتأويل والناسخ والمنسوخ والحلال والحرام^(٢).
ثانياً: وروى ذلك أيضاً القندوزي الحنفي^(٣).

ثالثاً: ذكر شهاب الدين في كتابه توضيح الدلائل عن عبد الله بن سلام في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ قال: سألت رسول الله ﷺ فقال: أما ذلك علي بن ابي طالب^(٤).

هذه بعض الروايات في مصادر العامة.

واماً في مصادر الامامية

فأكتفي بما رواه الشيخ الكليني عن بريد بن معاوية قال: قلت لابي جعفر - اي الإمام السباقر - عليه السلام: ﴿قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب﴾ قال عليه السلام: ايانا عنى وعليّ أولنا وأفضلنا وخيرنا بعد النبي ﷺ^(٥).

١ - شواهد التنزيل للحاكم المسكاني ج ١ ص ٤٠٠.

٢ - شواهد التنزيل للحاكم المسكاني ج ١ ص ٣٠٧.

٣ - ينابيع المودة للقندوزي ص ١٠٣.

٤ - توضيح الدلائل لأحمد شهاب الدين ص ١٦٣.

٥ - الكافي للشيخ الكليني ج ١ ص ٧٢٨.

أيها القارئ الكريم: هذه بعض الاحاديث وقد دلت بمجموعها على أن الآية: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ هي من الآيات الدالة على امامة امير المؤمنين عليه السلام.

علم الكتاب عند الأئمة أيضاً

وللعلم، نقول في ختام هذا الفصل : لاشك أن ما ثبتَ لأمر المؤمنين عليه السلام باعتباره إماماً ثابتاً لأولاده الأئمة الأطهار عليهم السلام باعتبارهم خلفاء وأئمة من بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وفي بعض الاحاديث ما يشير إلى ذلك فمثلاً:
١ - عن الإمام الصادق عليه السلام قال: (والله إني لأعلم كتاب الله من أوّله إلى آخره، كأنه في كفي، فيه خبر السماء وخبر الارض وخبر ما كان وخبر ما هو كائن، قال الله عزوجل: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾^(١).
٢ - وأيضاً عنه عليه السلام عند قوله تعالى: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾^(٢) قال الراوي: ففرّج الإمام ابو عبد الله عليه السلام بين اصابعه فوضعها في صدره ثم قال: وعندنا والله علم الكتاب كله^(٣).

ومما يلفت النظر: إن الذي عنده علم من الكتاب هو آصف وصي النبي سليمان عليه السلام وقد قام هذا الوصي بعمل جبّار وعظيم حيث جلب عرش بلقيس من الاردن إلى اليمن خلال طرفة عين (قبل ان يرتدّ طرف سليمان) كما قالت الآية بعد ذلك: ﴿فَلَمَّا رَأَاهُ مُسْتَقَرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ

١ - الكافي للشيخ الكليني ج ١ ص ٧٢٨، النحل / ٨٩.

٢ - النمل / ٤٠.

٣ - الكافي للشيخ الكليني ج ١ ص ٧٢٨.

رَبِّي.. ﴿﴾ وكان عنده بعض علم الكتاب بدلالة (من) التبعية، فياترى ماهي القدرة التي اودعها الله تعالى فيمن عنده علم الكتاب كله وهو أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام كما تبين ذلك من خلال الأحاديث !!

وصيُّ محمد اعظم من وصيِّ سليمان

ومن طريف ما يُنقل في هذا المجال أن المتوكل العباسي مرَّ على قبر سلمان الفارسي (المحمدي) صاحب رسول الله ﷺ في المدائن على مقربة من مدينة بغداد فقال: يزعم الشيعة أن علياً جاء من المدينة إلى المدائن في ليلة ليغسل جثمان سلمان بعد موته ويكفنه ويدفنه، ثم رجع إلى المدينة قبل أن يصبح الصباح، فكيف يمكن ذلك مع بعد المسافة بين المدينة والمدائن؟!

والحال إن مَنْ يتأمل هذه الآيات وتلك الاحاديث لا يستغرب شيئاً

من امثال هذا.. وقد اجابه بعضهم بأبيات من الشعر قال فيها:

أنكرت ليلةً إذ سار الوصيُّ إلى	أرض المدائن لما أن لها طلبا
وغسّل الظهرَ سلماناً وعاد إلى	عراص يثرب والإصباح ما وجبا
وقلتَ ذلكِ من قول الغلاة وما	ذنب الغلاة إذا لم يُوردوا كذبا
فأصفُ قبل ردِّ الطرف من سبأ	بعرش بلقيس وافي يخرق الحُجبا
فأنتَ في آصفٍ لم تغلُ فيه بلى	في حيدر أنا غالٍ ليس ذا عَجبا
إن كان احمدُ خيرَ المرسلين فذا	خيرُ الوصيِّين أو كلُّ الحديثِ هُبا

نعم ليس ذلك غلواً من الشيعة في ائمتهم بل هو اعتقاد منهم بما جاء في القرآن والاحاديث عن منزلتهم وقدرتهم التي هي من قدرة الله تعالى

وليس باستقلالية منهم، فهم خلفاء الله في الارض والخليفة المجمعول من عند الله تعالى يؤتية الله تعالى علم كل شيء، قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾^(١) فالألف واللام في الاسماء فيها دلالة الاستغراق وكلمة (كلها) تفيد العموم وتؤكد ذلك الاستغراق، فأدم عليه السلام خليفة الله علمه الله تعالى كل شيء، كذلك الإمام المعصوم الذي هو خليفته أيضاً.

والحمد لله رب العالمين

الفصل الثاني عشر

آية الإنذار والهداية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ
وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾^(١)

من الآيات التي يُستدلُّ بها على إمامة الإمام علي أمير المؤمنين
والأئمة المعصومين عليهم السلام هي الجملة الأخيرة من الآية السابعة من سورة
الرعد، حيث صرّحت الأحاديث المتعدّدة بذلك.
ولكن وقبل الخوض في الاستدلال بها على الإمامة نلقي نظرة على
الجوِّ العام للآية المباركة وما فيها من مضامين وإشارات.

مثال الآية المباركة:

لقد جاء النبي صلى الله عليه وآله بدلائل كثيرة وآيات عظيمة دلّت على رسالته
السماوية، وكان القرآن الكريم معجزته الأولى ودلالته الكبرى والتي عجز
المشركون عن أن يأتوا بسورة من مثله، إلا أن بعض المشركين والمتماذيين في

٢٦٠أربعون آية

عنادهم كانوا ربما يطلبون من النبي معاجز وآيات أخرى لا ينوون من وراءها الإيمان والتصديق وإنما يريدون اللجاج والعناد، فجاءت الآية المباركة لتقول للنبي ﷺ يا رسول الله إنما أنت منذر لهؤلاء وما عليك إلا أن تنذرهم وتؤدّي الذي عليك وتخبرهم بالحقيقة والواقع.

ثم إن الآية أخبرت النبي ﷺ بأن لكلّ قوم هادي - سواء هؤلاء القوم أم الذين من قبلهم أم الذين بعدهم - يقوم ذلك الهادي بدور الهداية لهم ويدعوهم إلى الحق.

وكما يقول السيد الطباطبائي في تفسيره (فالمعنى: أنهم يقترحون عليك آية - و عندهم القرآن أفضل آية - وليس إليك شيء من ذلك و إنما أنت هاد تهديهم من طريق الإنذار، و قد جرت سُنَّة الله في عباده أن يبعث في كلّ قوم هادياً يهديهم. و الآية تدلُّ على أن الأرض لا تخلو من هاد يهدي الناس إلى الحق إمّا نبي منذر و إمّا هاد غيره يهدي بأمر الله) (١)
فنلاحظ أن الآية تشير إلى هذه الحقيقة من ان لكلّ قوم هاد، وبذلك يتمُّ الاستدلال بها على ولاية الإمام امير المؤمنين والائمة المعصومين من بعده ﷺ، وأمّا كيفية الاستدلال فنقول:

الاستدلال بالآية

يتمُّ الاستدلال بهذه الآية من جهتين :

الجهة الأولى: هو الوقوف والتأمّل بهذا المقطع من الآية (لكلّ قوم هاد) حيث نرى مجموعة من النقاط المهمة التي تدلُّ بمجموعها على الإمامة

والولاية للائمة الاطهار عليهم السلام.

النقطة الاولى: إن هذه العبارة واضحة في مدلولها من أن هناك في كل قوم هادياً يقوم بدور الهداية للناس، فلا يكون زمان فيه قوم إلا وفيهم هاد أيضاً يقوم بدور الهداية لهم، ومن الواضح أن ظاهر القرآن حجة علينا ومفرداته دليل يستدل بها

النقطة الثانية: يلاحظ ان الهداية من ذلك الهادي لأولئك القوم تأتي مطلقة ودائمة وشاملة لجميع الجوانب ولكل أشكال الهداية، وذلك لأن مفردة (هاد) في الآية المباركة جاءت مطلقة وغير مقيدة في موضوع خاص او في حالة خاصة او بزمن خاص بل جاءت مطلقة وشاملة.

النقطة الثالثة: وبناءً على هذا ينبغي أن تتوفر عند ذلك الشخص الهادي لأولئك القوم مجموعة من الصفات حتى يكون هادياً مطلقاً لهم أيضاً.. فيلزم أن يكون اعلم القوم على الاطلاق حتى يكون هو الهادي لهم إلى الحق لا أن يكون محتاجاً إلى واحد منهم لمعرفة الحق، وينبغي أن يكون اعلمهم بالشرعية والقضاء والعقيدة وحتى باجراء الاحكام والقوانين.. وأيضاً لا بد أن يكون مصيباً في هديه بصورة دائمة ومطلقة، اي لا يخطأ في افعاله ولا اقواله واوامره ونواهيه ولا يتصور منه مجانبة الحق واشتباه الطريق بل يكون عارفاً بالحق وداعياً اليه في كل الحالات دون استثناء، لانه يفترض ان تكون هدايته لهم دائمة وشاملة ومطلقة.

النقطة الرابعة: بعد ملاحظة تلك النقاط نستنتج ان هذا الهادي ينبغي ان يكون معصوماً من الزلل والذنب والخطا حتى يكون هادياً دائماً والأماً امكن ان يُخطأ ويضل الطريق فيكون ضالاً مُضلاً، وهو خلاف ما اشارت

إليه الآية من كونه هادياً.

وبهذا الاستنتاج يتأكد صحة القول بالإمامة والولاية لأمر المؤمنين والائمة اجمعين عليهم السلام، وإنه ليس ذلك الهادي الذي اشارت إليه الآية سوى الإمام المعصوم كما صرّحت الاحاديث الآتية في تفسير الآية المباركة. أيها القارئ الكريم : هذه هي الجهة الأولى من الاستدلال بالآية المباركة.

الجهة الثانية: هي ما جاء من روايات عن النبي صلى الله عليه وآله في بيان المقصود من الآية وأن المراد من المنذر هو شخصه الكريم صلى الله عليه وآله وأن المراد من الهادي هو الإمام علي بن ابي طالب عليه السلام.

بعض الروايات في الآية

ونلاحظ هذه الروايات في كتب الفريقين سنة وشيعة بمضامين متقاربة، ونبدأ ببعض ذلك في كتب الفريق الأول:

من روايات غير الإمامية

١- عن ابن عباس قال: لما نزلت ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾، وَضَعَ صلى الله عليه وآله يده على صدره فقال: أنا المنذر ﴿ولكل قوم هاد﴾، وأوماً بيده إلى منكب عليّ، فقال: أنت الهادي يا عليّ، بك يهتدي المهتدون بعدي ^(١).
وأيضاً عن ابن عباس قال: لما نزلت هذه الآية وضع رسول الله صلى الله عليه وآله

١ - تفسير الطبري ج ١٦ ص ٣٥٧ وذكر عبد المجيد الشيخ عبد الباري الحديث في رقم ١١٣٦ وقال
أخرج الطبري بإسناد حسن من طريق سعيد بن جبیر .

يده على صدره وقال: أنا المنذر، وأوماً إلى عليّ وقال: أنت الهادي، بك يهتدي المهتدون بعدي^(١).

٢- أخرج السيوطي عن ابن مردويه عن أبي برزة الأسلمي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مَنْذِرٌ﴾ ووضع يده على صدر نفسه ثم وضعها على صدر عليّ وقال: ﴿لِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾^(٢).

٣- عن أبي هريرة قال: سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية: (إنما أنت منذر لكل قوم هاد) فقال لي: هادي هذه الأمة علي بن أبي طالب^(٣).

٤- قال الإمام السيوطي في الدر المنثور: وأخرج عبد الله بن أحمد في زوائد المسند، وابن أبي حاتم والطبراني في الأوسط، والحاكم وصححه وابن مردويه وابن عساكر، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه في قوله: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مَنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ قال: رسول الله ﷺ المنذر، وأنا الهادي. وفي لفظ: والهادي: رجل من بني هاشم. يعني نفسه^(٤).

٥- ذكر الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: (لَمَّا أُسْرِي بِي إِلَى السَّمَاءِ لَمْ يَكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَ رَبِّي مَلَكٌ مَقْرَبٌ وَلَا نَبِيٌّ مَرْسَلٌ وَلَا حَاجَةٌ سَأَلْتُ إِلَّا أَعْطَانِي خَيْرًا مِنْهَا، فَوَقَعَ فِي مَسَامِعِي: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مَنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ فقلت: الهي أنا المنذر، فمن الهادي؟ فقال: يا

١- الروايات التفسيرية في فتح الباري ج ٢ ص ٥٩٥ عن كتاب فتح الباري ج ٨ ص ٣٧٦.

٢- الدر المنثور للسيوطي ج ٥ ص ٤٧٦ وفرادئ السطيين للحموي ج ١ ص ١٤٨ باب ٢٨ ح ١١١

٣- شواهد التنزيل للحسكاني ج ١ ص ٢٨٧ حديث ٤٠٦.

٤- الدر المنثور ج ٥ ص ٤٧٦ للسيوطي وأيضاً الحديث في مستدرک الصحيحين ج ٣ ص ١٢٩.

محمد ذاك علي بن ابي طالب غاية المهتدين وامام المتقين..^(١).

أيها القارئ الكريم: هذه بعض الروايات وهناك أخرى نفس المضمون في مصادر أخرى أيضاً^(٢).

من أحاديث الإمامية:

وأما الروايات التي جاءت في مصادر اتباع اهل البيت عليهم السلام فمنها.

١- عن أبي هريرة قال: دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وقد نزلت هذه الآية: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾. فقرأها علينا رسول الله صلى الله عليه وآله ثم

قال: أنا المنذر، أتعرفون الهاد؟

قلنا: لا يا رسول الله،

قال: هو خاصف النعل، فطوَّلت الاعناق إذ خرج علينا علي عليه السلام من

بعض الحجر ويده نعل رسول الله صلى الله عليه وآله ثم التفت إلينا رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: ألا إنه المبلِّغ عني والإمام بعدي وزوج ابنتي وأبو سبطي، فنحن أهل بيت أذهب الله عنا الرجس وطهرنا من الدُّنس، يقاتل بعدي على التأويل كما قاتلتُ على التنزيل، هو الإمام أبو الأئمة الزُّهر،

فقيل: يارسول الله وكم الائمة بعدك؟

قال: اثنا عشر عدد نقباء بني إسرائيل،.... الخ^(٣).

٢- عن أبي بصير قال: قلت لابي عبدالله عليه السلام: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ

١- شواهد التنزيل المحاكم المسكاني ج ١ ص ٢٩٦ .

٢- يراجع كتاب سبيل النجاة في تنمة المراجعات للشيخ حسين آل راضي ص ٥١-٥٢-١٥٦.

٣- بحار الأنوار للمجلسي / جزء ٣٦ / صفحة ٣١٥ .

ولكلِّ قوم هادٍ؟

فقال: رسول الله ﷺ المنذر وعلي الهادي.

يا أبا محمد هل من هادٍ اليوم؟

قلت: بلى جُعِلت فداك، ما زال منكم هاد بعد هاد حتى دُفعت إليك.

فقال: رحمك الله يا أبا محمد، لو كانت إذا نزلت آية على رجل ثم مات

ذلك الرجل ماتت الآية مات الكتاب، ولكنه حيٌ يجري فيمن بقي كما جرى

فيمن مضى. (١).

٣ - عن محمد بن مسلم: قلت لأبي عبد الله عليه السلام في قول الله

عزّوجلّ: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾، فقال: كلُّ إمام هادٍ لكلِّ

قوم في زمانهم. (٢).

٤ - عن الإمام الباقر عليه السلام - في قول الله عزّوجلّ: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ

وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ - : رسول الله ﷺ المنذر، ولكلِّ زمانٍ منّا هادٍ، يهديهم

إلى ما جاء به نبي الله ﷺ، ثم الهداة من بعده: عليٌّ ثم الأوصياء واحداً بعد

واحد (٣).

٥ - و عن بريد بن معاوية قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: ما معنى ﴿إِنَّمَا

أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾؟ فقال: المنذر رسول الله ﷺ، وعليُّ الهادي،

وفي كلِّ وقتٍ وزمانٍ إمامٌ منّا يهديهم إلى ما جاء به رسول الله ﷺ. (٤).

١ - الكافي للكليني ج ١ ص ٢٨٤ .

٢ - كمال الدين للصدوق ص ٦٦٧ .

٣ - الكافي للكليني ج ١ ص ١٩٢ .

٤ - كمال الدين للصدوق ص ٦٦٧ .

٦ - وعن الإمام الباقر عليه السلام - في قول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ - : قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أنا المنذر، وعليُّ الهادي، وكلُّ إمام هادٍ للقرن الذي هو فيه..^(١) .

هذه بعض الروايات في هذا المعنى وطبعاً ليس المقصود فيها نفي دور الهداية للنبي صلى الله عليه وآله وتخصيصه بالإمام من بعده، لا، وذلك لأن الانذار يتضمن معنى الهداية أيضاً..

قال الطباطبائي في الميزان معلقاً على مثل هذه الروايات: (ومعنى قوله صلى الله عليه وآله: (أنا المنذر وعلي الهادي) أي مصداق المنذر والانذار هداية مع دعوة وعلي مصداق للهادي من غير دعوة وهو الامام).. الخ^(٢) .

هذه بعض الروايات من الفريقين دلّت على أن المراد من الهادي في الآية المباركة هو الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وفي بعضها تصريح بمفردة الإمام أيضاً اضافة إلى أن نفس كلمة هاد او الهادي باطلاقها تدلُّ على العصمة والإمامة.. ورحم الله السيد الحميري حيث يقول

هما أخوان ذا هادٍ إلى ذا وذا فينا لأُمَّته نذير
فاحمدُ منذرٌ وأخوه هاد دليل لا يضلُّ ولا يجور

بعض الاستفسارات

ربما هناك بعض الاستفسارات حول هذه الآية فنناقش بعضها:

١ - تفسير العياشي ج ٢ ص ٢٠٤ .

٢ - تفسير الميزان للطباطبائي ج ١١ ص ٣٢٧ .

الاستفسار الأول: الأقوال الأخرى في الآية

لقد ذكرت أقوال أخرى في الآية كما ذكر الرازي في تفسيره فقد قال: واعلم أن أهل الظاهر من المفسرين ذكروا ههنا أقوالاً: الأول: المنذر والهادي شيء واحد والتقدير: إنما أنت منذر ولكل قوم منذر على حدة، ومعجزة كل واحد منهم غير معجزة الآخر. الثاني: المنذر محمد ﷺ والهادي هو الله تعالى، روي ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما وسعيد بن جبير، ومجاهد، والضحاك. والثالث: المنذر النبي. والهادي علي. قال ابن عباس رضي الله عنهما: وضع رسول الله ﷺ يده على صدره فقال: أنا المنذر، ثم أوماً إلى منكب علي رضي الله عنه وقال: أنت الهادي يا علي بك يهتدي المهتدون من بعدي^(١).

فما هو الجواب على هذه الأقوال؟

أجيب عن القول الأول: بان هذا المعنى مناف لظاهر الآية، فانه لو أريد هذا المعنى كان من الأبلغ التعبير بشكل آخر بان تكون الآية هكذا (إنما أنت منذر وهاد لكل قوم) أو (إنما أنت لكل قوم منذر وهاد) بان تكون الصفتان للنبي ﷺ متعاقبتين حتى تكون صفة الهداية والإنذار لشخص واحد، بينما كان التعبير القرآني ﴿إنما أنت منذر ولكل قوم هاد﴾ هو الأبلغ والمناسب لإرادة أكثر من شخص واحد.

وأما القول الثاني فأجيب عنه أيضاً: بأنه مما لا شك فيه أن الله سبحانه

وتعالى هو الهادي المطلق، وكلّ هداية يرجع أصلها إليه سبحانه، ولعلّ ما أشير في بعض الروايات إلى ذلك أريد منه هذا المعنى، فالهداية أولاً وآخرأ تعود إليه سبحانه وتعالى، ولكن الآية تشير بظاهرها إلى تعدد الهادين حيث قالت: (لكلّ قوم هاد) فهناك أقوام متعدّدون ولكلّ منهم هاد على حدة فيتعدد الهادون أيضاً وجلّ الله سبحانه وتعالى عن وصف التعدد وهو الواحد الأحد. كما إن المتأمل للآية يجد أن ذلك الوصف (هاد) هو لعبد مقرّب إلى الله تعالى ومختار منه، لأنه (عزّ وجل) قد قرّنه إلى جنب وصف نبيّه ﷺ وهو المصطفى المختار للنبوّة فيكون قرينه هو المختار للخلافة والولاية من بعده.

هذا.. فضلاً عن كثرة الروايات الصحيحة والصريحة في توضيح المراد من الآية بان الهادي هو الإمام عليّ أمير المؤمنين عليه السلام والأئمة الهادون من ولده عليه السلام.

الاستفسار الثاني: الآية تشير للمصداق

ذكر بعض المفسّرين أن المراد من هذه الروايات التي أشارت إلى أمير المؤمنين عليه السلام هو من باب المصداق والجري، أي أن الإمام علياً عليه السلام هو أحد مصاديق الآية وهو أحد الهداة وكذلك النبي ﷺ هو أحد المنذرين، وليس المعنى أن المراد من المنذر هو شخص رسول الله ﷺ دون غيره وإن المراد من الهادي هو شخص علي عليه السلام.

قال السيد الطباطبائي: ومعنى قوله ﷺ (أنا المنذر وعلي الهادي) إني مصداق المنذر والإنذار هداية مع دعوة وعلي مصداق للهادي من غير دعوة

وهو الإمام لا أن المراد بالمنذر هو رسول الله ﷺ والمراد بالهادي هو علي عليه السلام فان ذلك مناف لظاهر الآية البتة^(١).

تمّا يمكن أن يقال في الجواب: إننا إذا أخذنا الهداية هنا بمعناها المطلق والشامل لجميع أبعاد وجوانب حياة الإنسان فانه لا يمكن أن يراد منها غير المعصومين عليه السلام لان غيرهم معرض للخطأ والضلال - قصوراً أم تقصيراً - ومثل هذا لا يمكن أن يكون هادياً بصورة مطلقة ودائمة بل هو بحاجة إلى هداية هاد له كما قالت الآية: ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾^(٢) فان أمير المؤمنين علياً عليه السلام حينما يكون مصداقاً للآية بهذا المعنى إنما يكون لأنه إمام معصوم، كذلك الآية جارية على الأئمة عليهم السلام من ولده باعتبارهم أئمة معصومين.

و لعلّ السيد الطباطبائي أراد من الجري جري الآية على الأئمة فحسب، باعتبارهم أئمة معصومين فهم مشمولون بالآية المباركة، فمما ذكر السيد نفسه - فيما ذكر من الروايات - حديث الإمام الصادق عليه السلام - الآنف الذكر - والذي يقول فيه لأبي بصير: (رحمك الله يا أبا محمد، لو كانت إذا نزلت آية على رجل ثم مات ذلك الرجل ماتت الآية مات الكتاب، ولكنه حيٌّ يجرى فيمن بقي كما جرى فيما مضى).

ثم قال السيد: أقول والرواية تشهد على ما قدمناه أن شمول الآية للإمام

١ - تفسير الميزان - السيد الطباطبائي - ج ١١ - ص ٣٢٧ .

٢٧٠.....أربعون آية

علي عليه السلام من الجري وكذلك يجري في باقي الأئمة وهذا الجري هو المراد مما ورد أنها نزلت في الإمام علي عليه السلام ^(١).

فنقول إن الآية جرت وصدقت عليهم عليهم السلام باعتبارهم أئمة معصومين،

فتبقى الآية آية على إمامة أمير المؤمنين عليه السلام والأئمة الميامين، وهو ما أردناه.

والحمد لله رب العالمين.

الفصل الثالث عشر

آية المودة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَعْتَرِفْ
حَسَنَةً نَّزَدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾^(١)

الآية وقربى النبي:

لقد جاءت النصوص والأخبار الكثيرة والصحيحة في كتب المسلمين عامة من أن المراد من (القربى) الذين تجب مودتهم هم قربي النبي ﷺ وهم آله الأطهار عليهم السلام، وإذا وجبت مودتهم بصورة مطلقة ودائمة فقد وجبت طاعتهم وتصديقهم فيما ادَّعوا من القول بالإمامة لهم، فالعمل بالآية - بضميمة إدعائهم الإمامة - يستلزم القول بإمامتهم عليهم السلام.

وأما الدليل على أنهم ادَّعوا الإمامة لهم فقد جاء أكثر من نص في ضمن البحوث التي مرَّت في الآيات، كآية الغدير وآية التطهير وغيرهما كما في الخطبة الشقشقية للإمام علي عليه السلام وكما في خطبة الزهراء عليها السلام في نساء المهاجرين والأنصار.

الاستدلال بالآية من خلال الروايات

وأما الدليل على أن الآية بالفعل أمرت بالموذّة لأهل البيت عليهم السلام فأليك بعض هذه الأخبار من كتب القوم وغيرهم.

١ - روى الإمام الطبري في تفسيره عن ابن أبي الديلم قال: لما جيئ بعلي بن الحسين، عليه السلام، أسيراً، فأقيم على درج دمشق، قام رجل من أهل الشام، فقال: الحمد لله الذي قتلكم واستأصلكم وقطع قرني الفتنة، فقال له علي بن الحسين عليه السلام: أقرأت القرآن؟ قال: نعم، قال: أقرأت آل حم؟ قال: قرأت القرآن، ولم أقرأ آل حم؟! قال: ما قرأت **﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾** قال: وإنكم لأنتم هم؟ قال: نعم ^(١).

٢ - أخرج الحاكم بسند ينتهي إلى عمر بن علي، عن أبيه علي بن الحسين، قال: خطب الحسن بن علي الناس حين قُتل علي، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: لقد قبضَ في هذه الليلة رجل لا يسبقه الأولون بعمل ولا يدركه الآخرون، وقد كان رسول الله ﷺ يعطيه رايته فيقاتل وجبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره، فما يرجع حتى يفتح الله عليه، وما ترك على أهل الأرض صفراء ولا بيضاء إلا سبعمائة درهم فضلت من عطاياه أراد أن يبتاع بها خادماً لأهله..

ثم قال: أيها الناس! من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن علي، وأنا ابن النبي، وأنا ابن الوصي، وأنا ابن البشير، وأنا ابن النذير، وأنا ابن الداعي إلى الله بإذنه، وأنا ابن السراج المنير، وأنا من أهل البيت

الذي كان جبريل ينزل إلينا ويصعد من عندنا، وأنا من أهل البيت الذي أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، وأنا من أهل البيت الذي افترض الله مودّتهم على كل مسلم فقال تبارك وتعالى لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حَسَنًا﴾ فافتراق المحسنة مودتنا أهل البيت ^(١) .

٣- كما ذكر العلامة الحلبي في نهج الحق وكشف الصدق عن الصحيحين، و عن مسند احمد بن حنبل والثعلبي في تفسيره، عن ابن عباس، قال: لما نزل: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾، قالوا: يا رسول الله، من قرابتك الذين وجبت علينا مودتهم؟

قال: علي، وفاطمة، والحسن، والحسين ^(٢) .

٤- وروى أبو نعيم في الحلية بسنده عن الإمام جعفر الصادق عن أبيه الإمام محمد الباقر عن جابر قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ، فقال: يا محمد، أعرض عليّ الإسلام .

فقال: تشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده

١- المستدرک علی الصحیحین للحاکم الحسکانی ٣ / ١٧٢ .

٢- نزول آية المودة في فضلهم، مما لا يرتاب فيه أحد إلا من كابر، وقد تواترت الروايات بهذا المعنى في الكتب المعتبرة عندهم. فراجع: الدر المنثور ج ٦ ص ٧، وتفسير الطبري ج ٢٥ ص ١٤ و ١٥، ومستدرک الحاکم ج ٢ ص ٤٤٤ عن الصحیحین، ومسند أحمد ج ١ ص ١٩٩ ونبایع المودة ص ١٥ عن مسند أحمد وغيره، والصواعق المحرقة ص ١١ و ١٠٢ وذخائر العقبى ص ٢٥. راجع كتاب تشييد المراجعات و تفنيد المكابرات - للسيد علي الميلاني - ج ١ وكتاب نهج الحق وكشف الصدق - للعلامة الحلبي - ص ١٧٥ .

ورسوله .

قال: تسألني عليه أجراً؟

قال: لا، إلا المودة في القربى.

قال: قرباي أو قرباك؟

قال: قرباي.

قال: هات أبايعك، فعلى من لا يحبك، ولا يحب قرباك لعنة الله.

قال ﷺ: آمين^(١).

استفسار: ألا يراد من الآية قرابات سائر الناس؟

قد يقول قائل: إن في الآية قولاً آخر وهو أن القربى المراد مودتهم هم

سائر قرابات الناس .

يقال في الجواب عن ذلك:

أولاً: إن ما ذكر من كون الآية في قربي النبي ﷺ هو مُصَحَّح عند

الفريقين بينما تلك الأخرى غير صحيحة عند الجميع.

ثانياً: دلائل القرائن الأخرى على أنها في آل بيت النبي (صلوات الله

عليه وعليهم) ومن ذلك خطبة الإمام الحسن عليه السلام وكلام الإمام علي بن

الحسين عليه السلام مع الشيخ الشامي وغير ذلك.

ثالثاً: أي ارتباط وعلاقة بين أجر النبي ﷺ وبين أن يود الإنسان

قربته نفسه؟ حتى تكون صلة الأرحام بين الناس أجراً للنبي؟!.

سؤال: لم يُعهد من الأنبياء الآخرين أن يسألوا أجراً على الرسالة،

فما بال نبي الإسلام سأل الأجر؟

الجواب: إن النبي ﷺ طالب بمودة أهل بيته كأجر على رسالته لأنه خلفهم من بعده ثقلاً موازياً للقرآن الكريم وألزم الرجوع إليهم كالرجوع للقرآن الكريم باعتبارهم الامتداد لرسالته وسنته، وفي الحقيقة ليس ذلك أجراً يعود عليه وإنما يعود على الأمة، قال تعالى: ﴿ما سالتكم من أجرٍ فهو لكم﴾ فالأمة الإسلامية تُعصم بذلك من الضلال، كما بيّن ذلك في حديث الثقلين المشهور بصحته فقد قال ﷺ: (إني تارك فيكم الثقلين ما أن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أحدهما أعظم من الآخر كتاب الله وعترتي أهل بيتي)^(١).

ولنعم من قال في ذلك :

رأيت ولائي آل طه فريضة على رغم أهل البُعد يورثني القربا
فما طلب المبعوث أجراً على الهدى بتبليغسه إلاّ المسودة في القسربى

الخلاصة :

الآية أوجبت مودة أهل البيت ﷺ دائماً .
وبضمنية ادّعائهم الإمامة يلزم القول بإمامتهم .
وقد ادّعوا الإمامة لهم، فتكون هذه الآية من آيات الولاية والإمامة .
والحمد لله رب العالمين .

الفصل الرابع عشر

آية لسان الصدق

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾^(١).

وهذه آية أخرى من الآيات التي تدلُّ على إمامة الإمام علي أمير المؤمنين عليه السلام.

دلالة الآية:

ودلالاتها من جهتين:

الجهة الأولى: من حيث ما جاء في بعض الروايات من أن المراد من (عليا) هو اسم علم ومفعول ثاني للكلمة (جعلنا) أريد منه علي بن أبي طالب عليه السلام فيكون الله تعالى قد جعله لسان صدق.

والجهة الثانية: هي كونه هو الموصوف بهذا الوصف حيث له لسان صدق وعلي كما في قوله ﴿وَاجْعَلْ لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾^(٢) وعلي كلا الوجهين يدلُّ ذلك على إمامته الشرعية من الله تعالى وذلك أيضاً لأمرين:

١ - مريم / ٥٠.

٢ - الشعراء / ٨٤.

فالأول: لأنه هو الصادق، بإطلاق لفظ الصدق في الآية وهو يعني العصمة وهي ملازمة للأفضلية وللإمامة، فإذا كان صادقاً في كل شيء لزم أن يكون معصوماً من الخطأ، وما دام كذلك لزم أن يكون متبوعاً وإماماً لا تابعاً ومأموماً.

والثاني: لأنه عليه السلام ادعى الإمامة لنفسه، وبما أن الآية شهدت بصدقه مطلقاً لزم تصديق قوله في الإمامة، والقول بإمامته عليه السلام، وقد ذكرنا دعواه ودعوى أولاده عليهم السلام في ذلك.

ولنلاحظ هذا المعنى فيما ورد من روايات في تفسير الآية وتأويلها:

مما روي في تفسير الآية عند الضريقين

١ - لقد روى الصدوق بسند ينتهي إلى أبي بصير عن الإمام الصادق عليه السلام رواية طويلة يتحدث فيها الإمام عليه السلام عن النبي إبراهيم عليه السلام .. وجاء فيها: (ثم غاب - أي إبراهيم عليه السلام - الغيبة الثانية، وذلك حين نفاه الطاغوت عن مصر فقال: ﴿وَأَعْتَزَلَكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾ قال الله (عزَّ وجل): ﴿فَلَمَّا أَعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا * وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾^(١) يعني به علي بن أبي طالب عليه السلام لأن إبراهيم قد كان دعا الله (عزَّ وجل) أن يجعل له لسان صدق في الآخرين فجعل الله تبارك وتعالى له وإسحاق ويعقوب

لسان صدق علي^(١).

٢- و ورد أيضاً عن الإمام العسكري عليه السلام في تفسير علي بن إبراهيم عليه السلام ﴿فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ﴾ يعني إبراهيم عليه السلام ﴿وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ اسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَكَلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا وَوَهَبْنَا لَهُمْ﴾ يعني لإبراهيم واسحق ويعقوب ﴿مَنْ رَحِمْنَا﴾ رسول الله ﷺ ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ يعني أمير المؤمنين صلوات الله عليه.

قال علي بن إبراهيم: حدثني بذلك أبي عن الحسن بن علي العسكري عليه السلام ^(٢).

تُعد هاتان الروايتان من الروايات الصحيحة في اصطلاح علماء رجال الحديث عند أتباع أهل البيت عليهم السلام وعليه فقد ذكر اسم الإمام علي عليه السلام في القرآن وكونه عليه السلام معمولاً من قبل الله تعالى، هذا بناءً على أن المراد من (عليا) العَلَمِيَّة أو انه عليه السلام هو المقصود من هذا الوصف بناءً على أن المراد من (عليا) الوصفية .

وعلى أي حال تكون هذه الآية أيضاً من آيات الإمامة والولاية للإمام علي أمير المؤمنين عليه السلام.

وُتسند هاتين الروايتين روايات أخرى منها:

٣- روى في البحار عن كنز جامع الفوائد وتأويل الآيات الظاهرة: محمد بن العباس، عن السيارى، عن يونس بن عبد الرحمان، قال: قلت لأبي

١- قام الحديث في كمال الدين وقام النعمة للشيخ الصدوق - ص ١٣٩ .

٢- تفسير نور الثقلين للشيخ الحوزي ج ٣ - ص ٣٣٩ كما ورد في تفسير الصافي والقمي.

الحسن الرضا عليه السلام: إن قوماً طالبوني باسم أمير المؤمنين عليه السلام في كتاب الله (عزاً وجل)، فقلت لهم من قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ .
فقال: (صدقته هو هكذا).

ثم ذكر المجلسي عن مؤلف كتاب جامع الفوائد: ومعنى قوله: (لسان صدق) أي جعلنا لهم ولداً ذا لسان أي قول صدق، وكلُّ ذي قول صدق فهو صادق معصوم، وهو علي بن أبي طالب عليه السلام.

ثم قال العلامة المجلسي في الهامش: (أقول: بل المراد أنه قد حكى الله (عزاً وجل) عن إبراهيم دعاءه: ﴿وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ أي في المتأخرين من أولادي، فأجاب الله له ذلك ثم حكى ذلك لنا بقوله: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ﴾ أي لإبراهيم وآله ﴿لِسَانَ صِدْقٍ﴾ الذي تمناه منا ﴿عَلِيًّا﴾^(١).

٤ - وأيضاً في البحار عن كتاب كشف الغمة عن ابن مردويه في قوله: ﴿وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ عن أبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام قال: هو علي بن أبي طالب عليه السلام عرضت ولايته على إبراهيم عليه السلام. فقال: اللهم اجعله من ذريتي، ففعل الله ذلك^(٢).

٥ - ومما روي عند غير الإمامية هو ما رواه الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل عن علي بن أبي طالب قال: قال رسول الله ﷺ: ليلة عُرِج بي إلى السماء حملني جبرائيل على جناحه الأيمن فقيل لي: من استخلفته على أهل الأرض؟ فقلت: خير أهلها لها أهلاً: علي بن أبي طالب أخي

١ - البحار للمجلسي ج ٣٦ ص ٥٧ .

٢ - البحار للمجلسي ج ٣٦ ص ٥٨. عن كشف الغمة لابن أبي الفتح الإربلي ص ٩٤.

وحبيبي وصهري يعني ابن عمي. فقال لي: يا محمد أتُحِبُّه؟ فقلت: نعم يا رب العالمين. فقال لي: أحبه ومُرْ أُمَّتَكَ بِحُبِّهِ، فَإِنِّي أَنَا الْعَلِيُّ الْأَعْلَى اشْتَقَقْتُ لَهُ مِنْ أَسْمَائِي اسْمًا فَسَمَّيْتَهُ عَلِيًّا، فَهَبْطَ جِبْرَائِيلُ فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ وَيَقُولُ لَكَ: إِقْرَأْ. قُلْتَ: وَمَا أَقْرَأُ؟ قَالَ: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾^(١).

هذا وقد ورد في دعاء الندبة ما يؤيد ذلك أيضاً فقد جاء فيه: (وبعضُ اتخذته خليلاً، وسألك لسان صدق في الآخرين فأجبتَه، وجعلت ذلك علياً)^(٢).

وعلى أي حال إننا نلاحظ في هذه الروايات ما يدعم القول بان للآية المباركة علاقة مباشرة بأمر المؤمنين علي عليه السلام حيث أريد من (علياً) اسم الإمام عليه السلام تارةً، وأخرى أريد من ذلك إجابة دعوة إبراهيم عليه السلام في دعائه إلى الله تعالى بان يجعل له لسان صدق في الآخرين فكان علي عليه السلام هو اللسان الصدق، وعلى كل حال فللآية دلالة على ما نريد.

بعض القرائن المؤيدة:

هناك بعض القرائن والمؤيدات التي تدلُّ على ذلك :
أولاً: إن كلمة (وهبنا) أتت كراراً في القرآن الكريم لجعل الخلفاء وذكر

١ - المحاكم المسكاني في شواهد التنزيل ج ١ ص ٣٥٧ ط بيروت، نقله عنه السيد المرعشي في

شرح إحقاق الحق ج ١٤ ص ٥٤٨ .

٢ - أقبال الأعمال لابن طاوس ج ١ / ص ٤٩٥.

الأشخاص لا للأوصاف، مما يقرب ويؤيد القول بان المراد من (رحمتنا) هو النبي ﷺ ومن (علياً) في الآية المباركة هو الإمام علي عليه السلام سواء أريد منها العلمية أم الوصفية فمثلاً: تأمل هذه الآيات:

قال تعالى في سورة الأنعام: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا

هَدَيْنَا﴾^(١).

وفي سورة مريم

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا﴾^(٢).

وفي سورة الأنبياء

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ﴾^(٣).

وفي الأنبياء أيضاً

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى﴾^(٤).

وفي سورة العنكبوت

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ﴾^(٥).

وفي سورة ص

﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾^(٦).

١ - الأنعام / ٨٤ .

٢ - مريم / ٥٣ .

٣ - الأنبياء / ٧٢ .

٤ - الأنبياء / ٩٠ .

٥ - العنكبوت / ٢٧ .

٦ - ص / ٣٠ .

وأيضاً في سورة ص

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾^(١).

فلاحظ أن الموهوب في هذه الآيات كلها هم أشخاص، فلا يبعد ولا يستغرب بيان الإمام العسكري عليه السلام بان الموهوب والمجوعول في هذه الآية ﴿ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان صدق عليا﴾ هما رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي هو رحمة للعالمين وعلي عليه السلام والذي هو من الأئمة الذين وُصفوا بالصادقين في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾^(٢).

وأيضاً: يمكن القول إن كلمة جعلنا جاءت في القرآن لجعل الأشياء غالباً ولاسيما فيما بهم الخلافة كما في قوله تعالى في سورة البقرة في خصوص آدم عليه السلام: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(٣).

وقوله سبحانه في سورة ص في خصوص النبي داود عليه السلام: ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾^(٤).

وقوله تعالى في سورة الفرقان: ﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾^(٥).

وغير ذلك من الآيات، والقصد من ذلك أن لا يُستغرب ويُستبعد أن

١ - ص / ٤٣ .

٢ - التوبة / ١١٩ .

٣ - البقرة / ٣٠ .

٤ - ص / ٢٦ .

٥ - الفرقان / ٧٤ .

تفسر أو تؤول الآية التي نحن بصدها في رسول الله ﷺ وعلي ﷺ .

ثانياً: والمؤيد الثاني انه قد ذكر بعض المفسرين أن العرب قد يعبرون عن الرسالة وتبليغها بكلمة اللسان فيكون المراد من ﴿جعلنا لهم لسان صدق﴾ أي جعلناهم رسلاً، ففي تفسير المارودي في ذيل الآية قال في قوله تعالى ﴿لسان صدق﴾ قال: القول الثاني: جعلناهم رسلاً لله كراماً على الله، ويكون اللسان بمعنى الرسالة: قال الشاعر:

أتنتي لسان بني عامر أحاديثها بعد قول ونكر.

ثالثاً: ونما يؤيد تفسير الإمام الحسن العسكري ﷺ للآية بان المراد من ﴿رحمتنا﴾ هو رسول الله ﷺ وأن المراد من ﴿لسان صدق علياً﴾ هو علي بن أبي طالب ﷺ هو ما عبّر عن النبي ﷺ في القرآن بالرحمة كقوله تعالى: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ وعبّر عن علي ﷺ بللسان الصدق كما في قوله تعالى: ﴿واجعل لى لسان صدق في الآخرين﴾^(١) فقد ورد في الحديث عن الإمام الصادق ﷺ قال: (هو علي بن أبي طالب، عرضت ولايته على إبراهيم ﷺ فقال: اللهم اجعله من ذريتي، ففعل الله ذلك).

فان الآيات حينئذ تفسر بعضها بعضاً، وتنسجم مع بعضها كما يلتقي وينسجم تفسير الإمام الصادق ﷺ مع تفسير الإمام العسكري ﷺ.

رابعاً: السياق القرآني قبل ذلك وبعده، فهو يبرئ على ذكر أشخاص من

ذرية إبراهيم عليه السلام كما نلاحظ ذلك في الآيات المكتنفة لهذه الآية، قال سبحانه وتعالى في سورة مريم:

﴿فَلَمَّا اعْتَزَلْتَهُمْ وَمَا يُعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا * وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُم لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا * وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا * وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا * وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَّحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا * وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا * وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا * وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيْسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا * وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا * أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا بُكِيًّا﴾^(١).

فنلاحظ أن الآية محفوفة بالحديث عن الهبة الإلهية والجعل الإلهي للأشخاص الذين يمتثلونه سبحانه على الأرض وهذا يتناسب مع القول المراد من أن ﴿رحمتنا﴾ في الآية هو رسول الله ﷺ، وأن المراد من ﴿لسان صدق علياً﴾ هو علي بن أبي طالب عليه السلام.

خامساً: والمؤيد الخامس هو ما ذكر أن من يتأمل كلام العرب يجد أن مفردة اللسان تأتي للكناية عن الشخص لا عن اللفظ فمثلاً يقال: هذا

لساني الناطق، كما إن وصف الإنسان بالعلو والعلو هو أقرب إلى بلاغة العرب من وصف اللسان بذلك، لأن اللسان يوصف بالحدّة واللين والطول والقصر والصواب والخطأ وما شاكل، ولا يوصف عادة بالعلو، فيكون حمل هذا الوصف (علياً) - فيما لو فرضَ وصفاً في الآية - حملة على وصف إنسان أولى وأبلغ من حملة على وصف اللسان .

سادساً: ثم إنه حتى لو فرضنا أن قوله تعالى ﴿ عَلِيًّا ﴾ وصف لـ (اللسان) وللدُّكر فلا غرابة أن يكون المراد من صاحب ذلك الوصف هو الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام كما في الرواية، ومن اصدق لساناً وقيلاً من الإمام علي عليه السلام!!!، ويكفي في إطلاق الصديق على لسانه عليه السلام دلالة على إمامته، وذلك لان الإمام علياً عليه السلام ادّعى الإمامة لنفسه، والآية صدّقت لسانه عليه السلام مطلقاً فتكون دعواه حقّة، وتتعين الإمامة له.

وتكون هذه الآية أيضاً من آيات الإمامة من هذه الحيشة والجهة.
والحمد لله رب العالمين.

الفصل الخامس عشر

آية إسهاد ذرية آدم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ
عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا
كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾^(١).

هذه الآية المباركة هي الأخرى من الآيات ذات الدلالة الضمنية على ولاية الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام.

وذلك لما جاء في تفسيرها من الأحاديث المشيرة إلى ذلك في كتب التفسير والحديث، حيث تحدّثت عن لقب أمير المؤمنين الذي لُقّب به علي بن ابي طالب عليه السلام وربطت بين ذلك وبين معنى الآية المباركة. وقبل الخوض في الاستدلال على ذلك نقف قليلاً عند المعنى المراد من الآية المباركة.

معنى الآية :

ذكر المفسّرون في تفسير هذه الآية المباركة واستناداً إلى الروايات عدّة

من الآراء والاقوال.

قال في تفسير الأمثل: إن للمفسرين آراء متعددة تعويلاً منهم على الروايات الإسلامية الواردة عن النبي ﷺ وأهل بيته عليهم السلام ومن أهم هذه الآراء رأيان:

الأول: حين خلق آدم عليه السلام ظهر أبناؤه على صورة الذرّ إلى آخر نسل له من البشر، وطبقاً لبعض الروايات ظهر هذا الذرّ أو الذرات من طينة آدم نفسه وكان لهذا الذرّ عقل وشعور كاف للاستماع والخطاب والجواب، فخطب الله سبحانه الذرّ قائلاً: الستُ بربكم؟ ... فأجاب الذرّ جميعاً: بلى شهدنا. ثم عاد هذا الذرّ أو هذه الذرات جميعاً إلى صلب آدم أو إلى طينته، ومن هنا فقد سُميَ هذا العالم بعالم الذرّ وهذا العهد بعهد (الست)، فبناءً على ذلك، إن هذا العهد المشار إليه آنفاً هو عهد تشريعي، ويقوم على أساس الوعي الذاتي بين الله والناس.

الثاني: إن المراد من هذا العالم وهذا العهد هو عالم الاستعداد والكفاءات، وعهد الفطرة والتكوين والخلق. فعند خروج أبناء آدم من أصلاب آبائهم إلى أرحام الأمّهات، وهم نُطف لا تعدو الذرات الصغار، وهبهم الله الاستعداد لتقبل الحقيقة التوحيدية، وأودع ذلك السر الإلهي في ذاتهم وفطرتهم بصورة إحساس داخلي... كما أودعه في عقولهم وأفكارهم بشكل حقيقة واعية بنفسها. فبناءً على هذا، فإن جميع أبناء البشر يحملون روح التوحيد.

وما أخذه الله من عهد منهم أو سؤاله إياهم: (ألست بربكم) كان بلسان التكوين والخلق، وما أجابوه كان باللسان ذاته!

ومثل هذه التعابير غير قليلة في أحاديثنا اليومية، إذ نقول مثلاً: لون الوجه يُخبر عن سرّه الباطني (سيماهم في وجوههم)، أو نقول: إن عيني فلان المجهدين تنبئان أنه لم ينم الليلة الماضية. وقد روي عن بعض أدباء العرب وخطبائهم أنه قال في بعض كلامه: سل الأرض من شقّ أنهارك وغرس أشجارك وأينع ثمارك؟ فإن لم تجبك حواراً أجابتك اعتباراً!... كما ورد في القرآن الكريم التعبير على لسان الحال، كما في الآية (١١) من سورة فصلت، إذ جاء فيها ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ انتهى^(١).

وذكروا أن الذي تمخّض من ذلك الإقرار في عالم الذر هو أن الله تعالى فطرهم على معرفته واوجد عندهم الفطرة وأودع فيها معرفته، وقد ورد عن النبي ﷺ: (كلُّ مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودّونه وينصرّونه ويمجّسانه)^(٢).

وأيضاً جاء هذا المعنى في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٣)، فقد روي عن الإمام الباقر عليه السلام في حديث يقول في آخره: قال رسول الله ﷺ: كلُّ مولود يولد على الفطرة يعني على المعرفة بان الله (عزّ وجل) خالقه، فذلك قوله (عزّ وجل): ولئن سألتهم من خلق

١ - تفسير الأمل لمكارم الشيرازي ج ٥ ص ٢٨٨ .

٢ - تفسير التبيان للشيخ الطوسي ج ٨ ص ٧٧٧ .

٣ - لقمان / ٢٥ .

السموات والأرض ليقولن الله^(١).

وورد أيضاً هذا المعنى في تفسير قوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٢).

ففي الحديث عن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن قول الله (عزَّ وجل): ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ ما تلك الفطرة؟ قال: هي الإسلام، فطرهم الله حين أخذ ميثاقهم على التوحيد فقال: (ألست بربكم) وفيه المؤمن والكافر^(٣).

روايات الولاية في الآية:

هذا، إلا أن الذي يهمننا هنا هو ما جاء من الروايات في تفسير الآية ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ والتي فيها من الدلالة على إمامة الإمام علي أمير المؤمنين عليه السلام، فقد ذكرت هنا مجموعة من الروايات لدى كتب المسلمين عامة، تطرقت إلى ولاية أمير المؤمنين علي عليه السلام في ضمن الإقرار الذي أخذ من ذريته آدم، واليك بعض هذه الروايات.

١- عن أبي هريرة قال: قيل يا رسول الله متى وجبت لك النبوة؟ قال ﷺ: قبل أن يخلق الله آدم وينفخ فيه الروح وقال: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ

١ - تفسير نور الثقلين للشيخ الحويزي - ج ٤ - ص ٢١٥ .

٢ - الروم/٣٠ .

٣ - التوحيد للشيخ الصدوق - ص ٣٢٩ .

الفصل الخامس عشر: آية اشهاد ذرية آدم ٢٩٧

من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ﴿ قالت الملائكة بلى. فقال: أنا ربكم ومحمد نبيُّكم وعلى أميركم ^(١) .

٢- المحافظ أبو شجاع شيرويه بن شهردار الديلمي الهمداني المتوفى سنة ٥٠٩ في كتابه (الفردوس - مخطوط -) روى بسند يرفعه إلى حذيفة اليماني قال: قال رسول الله ﷺ: لو يعلم الناس متى سُمِّي أمير المؤمنين ما أنكروا فضله، سُمِّي أمير المؤمنين وآدم ﷺ بين الروح والجسد، فقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ ۖ قَالَتْ الْمَلَائِكَةُ: بَلَىٰ، فقال الله تبارك وتعالى: أنا ربكم ومحمد نبيُّكم وعلي وليُّكم وأميركم ^(٢) .

وَأَمَّا مِنْ مِّصَادِرِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ

١- فروي عن الإمام الصادق عليه السلام قال: كان الميثاق مأخوذاً عليهم لله بالربوبية ولرسوله بالنبوة ولأمر المؤمنين والأئمة بالإمامة، فقال: (ألست بربكم ومحمد نبيُّكم وعلي إمامكم والأئمة الهادون أئمتكم؟) فقالوا: بلى شهدنا، فقال الله تعالى: ﴿أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ أي لئلا تقولوا يوم القيامة: ﴿إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ فأول ما أخذ الله (عزاً وجل) الميثاق

١ - ينابيع المودة للقندوزي الحنفي: (٢٤٨) والمناقب المرتضوية للمولى محمد صالح الكشفي الحنفي والمتوفى ١٠٢٥، ص ١٢١ ط الهند .

٢ - شرح إحقاق الحق للسيد المرعشي - ج ٤ - ص ٢٧٤ نقل عنه ونقل أيضاً عن الشيخ جمال الدين محمد بن أحمد الحنفي الموصلية الشهير بابن حسنويه في كتابه (در بحر المناقب) (ص ١٨ مخطوط) وكذلك المغازلي ف مناقبه ص ١٧١ والسيوطي في الإكليل ص ٩٨ ط مصر .

على الأنبياء له بالربوبية وهو قوله : ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ﴾^(١)
 فذكر جملة الأنبياء ثم ابرز أفضلهم بالأسامي فقال: ومنك يا محمد، فقدّم
 رسول الله ﷺ لأنه أفضلهم ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم،
 فهؤلاء الخمسة أفضل الأنبياء ورسول الله ﷺ أفضلهم، ثم اخذ بعد ذلك
 ميثاق رسول الله ﷺ على الأنبياء بالإيمان به وعلى أن ينصروا أمير
 المؤمنين ﷺ فقال ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ
 وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ﴾ يعني رسول الله ﷺ
 ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾^(٢) يعني أمير المؤمنين ﷺ وأخبروا أممكم بخبره
 وخبر وليه من الأئمة عليهم السلام^(٣).

٢- و في الكافي عن بكير بن أعين قال: كان أبو جعفر (الباقر) ﷺ يقول: إن الله أخذ ميثاق شيعتنا بالولاية لنا وهم ذرّ، يوم أخذ الميثاق على
 الذرّ، بالإقرار له بالربوبية ولحمد ﷺ بالنبوة وعرض الله (عزّاً وجل) على
 محمد ﷺ أمته في الطين وهم أظلة وخلقهم من الطينة التي خلق منها آدم
 وخلق الله أرواح شيعتنا قبل أبدانهم بألفي عام وعرضهم عليه وعرفهم
 رسول الله ﷺ وعرفهم علياً ونحن نعرفهم في لحن القول^(٤).

و الروايات في هذا المعنى كثيرة ومن طرق عديدة و اكتفي بهذا

١- الأحزاب / ٧.

٢- آل عمران / ٨١.

٣- تفسير القمي لعلي بن إبراهيم القمي ج ١ - ص ٢٤٧.

٤- الكافي - الشيخ الكليني - ج ١ - ص ٤٢٧.

المختصر.

والخلاصة:

إننا نرى في هذه الروايات في تفسير هذه الآية المباركة ما يدلُّ على
إمامة أمير المؤمنين عليه السلام كما أشارت إلى التوحيد والنبوة.

وبذلك تكون هذه الآية من الآيات الدالَّة على إمامة وإمارة أمير

المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

والحمد لله رب العالمين.

الفصل السادس عشر

آيات الإشهاد والشهادة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمَنْ قَبْلَهُ كِتَابُ
مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ
فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ
النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(١).

في أكثر من آية في القرآن الكريم عُدَّ الإمام علي عليه السلام شاهداً على
رسالة النبي ﷺ، وفي آية ضُمَّت شهادته إلى شهادة القرآن الكريم وفي
أخرى ضُمَّت شهادته إلى شهادة الله سبحانه وتعالى فكانت هذه الشهادة
دلائل تدلُّ على عصمة الإمام عليه السلام وعلى عظيم علمه ومن ثم على لزوم
القول بإمامته عليه السلام.

وبذلك عُدَّت هذه الآيات أيضاً من آيات الإمامة.

فلنلاحظ ذلك في هاتين الآيتين.

الآية الأولى: آية البيّنة

قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِ كِتَابٌ مُّوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(١).

فقد ذكرت التفاسير أن الذي على بيّنة من ربه هو النبي ﷺ وأن البيّنة هي القرآن الكريم الذي أنزل عليه وأن الشاهد الذي يتلوه هو علي بن أبي طالب عليه السلام وهذا الشاهد منه أي من النبي ﷺ وبعض منه، وممن ذكر ذلك هو الرازي في تفسيره حيث يقول: (ونالها (أي : الأقوال) إن المراد هو علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - ، والمعنى أنه يتلو تلك البيّنة. وقوله (منه) أي هذا الشاهد من محمد ﷺ وبعض منه. والمراد منه تشريف هذا الشاهد بأنه بعض من محمد ﷺ^(٢).

احتمالات في تفسير الآية :

لقد ذكر المفسّرون احتمالات كثيرة جداً في معنى الآية بسبب احتمالات عديدة في إرجاع الضميرين في (يتلوه شاهد منه) إلى (من) الموصولة أو إلى (البيّنة) وأن (يتلو) هل بمعنى التلاوة والقراءة أم بمعنى المتابعة؟ ، ولكنه وردت من الأخبار الكثيرة في تفسير الآية ممّا يقتضي تفسيرها بما ذكر، من أن الضميرين في (يتلوه) و(منه) يعودان إلى (من) والتي

١ - هود/١٧.

٢ - التفسير الكبير للرازي ج ١٧ / ص ٢٠٠.

أريد منها النبي ﷺ ، فللنبي بيّنة هي القرآن الكريم وشاهد هو علي عليه السلام يشهدان للنبي بصدق رسالته، ويمكن القول إن علياً عليه السلام عدّ شاهداً للرسالة وعلى صدق النبي، لكونه بنفسه معجزة للنبي فكما، إن الأنبياء جاؤا بمعاجز تبرهن على صحّة ما ادّعوا كذلك النبي أتى بالقرآن واتى بشخص هو بنفسه معجزة يشهد له، وقد روى الصفّار في كتابه بصائر الدرجات عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: (إنّ علياً آيةٌ لمحمد ﷺ) ولا يستغرب ذلك كثيراً من له بعض الإمام بتاريخ الإمام علي عليه السلام وما صدر منه من مواقف وبطولات لا تصدر من رجال عاديين كقلعه باب خيبر ورميه بعيداً وهو الباب الذي لا يفتحه ولا يغلقه إلاّ العصبة أولوا القوّة من الرجال.

وعلى آية حال فالآية وردت في الإمام علي عليه السلام والاستفهام فيها إنكاري أي أن المعنى - حسب بعض التفاسير - هو هكذا: (ليس من كان عنده بيّنة وقرآن من ربّه وعنده شاهد وهذا الشاهد هو بعض من النبي ويتلوه في الرتبة .. ليس هذا كمن يفتقد هذه الأمور).

والاستنكار هنا نظير قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زَيْنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾^(١) لكن الخبر هنا والجواب محذوف أي ليس هو كذلك، وشاهدنا هو في قوله تعالى: ﴿يتلوه شاهد منه﴾ حيث أن الضميرين في (يتلوه ومنه) يعودان إلى (مَن الموصولة) العائدة إلى النبي ﷺ فتكون في الآية أكثر من دلالة على إمامة الإمام عليه السلام وذلك لما يأتي :

دلائل الآية على الولاية

أولاً: لكلمة (يتلوه) ففي ظاهرها أنه عليه السلام يتلو النبي صلى الله عليه وآله رتبة وبلا فصل فهو أحق بمكانته من غيره.

وثانياً: إنه عليه السلام هو الشاهد على النبوة والرسالة ومن الطبيعي أن الله سبحانه وتعالى حينما اتخذ علياً عليه السلام شاهداً على أمر النبوة فلا بد أن يضمن عصمته أيضاً، إذ لو لم يكن معصوماً لجاز عليه الخطأ وأمكن صدور المعصية منه ولو كان كذلك لأمكن أن لا يشهد بالحق وأن يشهد بالباطل، وحاشا ربنا أن يأتي بشاهد للنبي صلى الله عليه وآله يمكن أن يشهد باطلاً بدل الحق، فلا بد من عصمته عليه السلام، والعصمة ملازمة للأفضلية على الغير وملازمة أيضاً لأن يكون هو المتبوع وهو القدوة والإمام لا أن يكون هو التابع للمفضول.

ويدلّ على عصمته أيضاً إقترانه في الآية بالبيّنة الأخرى التي مع النبي وهي القرآن الكريم المعصوم أيضاً، حيث لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وقد أشار النبي صلى الله عليه وآله إلى هذا الاقتران أيضاً في أحاديث كثيرة منها ما روته أم سلمة عنه أنه صلى الله عليه وآله قال: (علي مع القرآن والقرآن مع علي وأنها لن يفترقا)^(١).

١ - ينابيع المودة لذوي القربى - القندوزي - ج ١ - ص ٢٦٩ عن الحموي بسنده عن شهر بن حوشب قال: كنت عند أم سلمة (رضي الله عنها) فبإذنها دخل البيت أبو ثابت مولى علي قال: يا أبا ثابت أين طار قلبك حين طارت القلوب مطاؤها؟ قال: اتبعت علياً. قالت: وفقت بالحق، والذي نفسي بيده، لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: علي مع [الحق و] القرآن و [الحق و] القرآن مع علي، ولن يفترقا حتى يردا على الحوض.

الفصل السادس عشر: آيات الإشهاد والشهادة ٣٠٧

وثالثاً: بيّنت الآية أن علياً عليه السلام من النبي صلى الله عليه وآله، في قوله تعالى (شاهد

منه) كما بيّن النبي نفسه ذلك في أحاديث متعددة.

كقوله صلى الله عليه وآله: (أنا وعليٌّ من شجرة واحدة وسائر الناس من شجر

شتي) ^(١).

وعن علي عليه السلام: أنا من أحمد كالكفّ من اليد، وكالذراع من العضد،

وكالضوء من الضوء ^(٢).

ومن يكون من النبي أولى بمكانته وخلافته ممّن لا يكون منه؟!!!

هذا، ولكن الأصل والأهمّ في الاستدلال هو اتّخاذ الله تعالى علياً

شاهداً على رسالة النبي، فالإتّخاذ هو من الله العليّ الذي جلّت عظمته

ولأجل أمر عظيم هي النبوة والرسالة، فلا بدّ أن يكون هذا الشاهد أيضاً ممّن

لا يمكن عليه الذنب لتكون شهادته مقبولة مطلقاً، وهذا يعني عصمته

وعصمته ملازمة لأفضليّته بعد النبي، وهي ملازمة للخلافة والإمامة له بعد

النبي أيضاً.

وتما يؤكّد هذا المعنى المراد من تفسير الآية هو ما جاء من الروايات في

ذلك، ونذكر ههنا بعضها ممّا ورد في تفسير هذه الآية ممّا يؤيد هذا المعنى.

بعض روايات العامّة:

١ - عن عباد بن عبد الله: سمعت علياً عليه السلام يقول: ما نزلت آية في

كتاب الله (جلّ وعزّ) إلاّ وقد علمتُ متى نزلت، وفيما أنزلت. وما من قريش

١ - مناقب بن المغازلي ص ٤٠٠.

٢ - ينابيع المودة، للقدوزي، ص ١٣٨.

رجل إلا قد نزلت فيه آية من كتاب الله تسوقه إلى جنة أو نار. فقام إليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين، فما نزلت فيك؟ فقال ﷺ: لولا أنك سألتني على رؤوس الملأ ما حدثتك، أما تقراء: ﴿أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه﴾؟ رسول الله ﷺ على بينة من ربه، وأنا الشاهد منه، أتلوه وأتبعه. والله لأن تعلموا ما خصنا الله (عزاً وجل) به أهل البيت أحب إلي مما على الأرض من ذهبه حمراء، أو فضة بيضاء^(١).

٢ - القرطبي في تفسيره قال: (روي عن ابن عباس أنه قال: هو علي بن أبي طالب. وروي عن علي أنه قال: ما من رجل من قريش إلا وقد أنزلت فيه الآية والآيتان، فقال له رجل: أي شيء نزل فيك؟ فقال علي: ﴿ويتلوه شاهد منه﴾^(٢).

٣ - شواهد التنزيل: عن ابن عباس في قول الله تعالى: ﴿أفمن كان على بينة من ربه﴾ قال النبي ﷺ ﴿ويتلوه شاهد منه﴾ قال: هو علي بن أبي طالب^(٣).

٤ - القندوزي عن أبي ذر عن النبي ﷺ: إن الله تبارك وتعالى أيد هذا الدين بعلي، وإنه مني وأنا منه، وفيه أنزل: ﴿أفمن كان على بينة من ربه﴾^(٤).

١ - المناقب لابن المغازلي: ٢٧٠ / ٣١٨ .

٢ - الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ج ٩: ص ١٦ .

٣ - شواهد التنزيل للحسكاني: ١ / ٣٦٥ / ٢٨١ وح ٢٨٢ وفيه (علي خاصة) بدل (هو علي).

٤ - ينابيع المودة، للقندوزي، ص ٢٥٦.

ومما جاء في مصادر أهل البيت:

١- روى الطبرسي بإسناده إلى أمير المؤمنين قوله في ضمن محاجته لزندق فقال له فيما قال: وأما قوله: ﴿ويتلوه شاهد منه﴾ فذلك حجة الله أقامها على خلقه، وعرفهم أنه لا يستحق مجلس النبي إلا من يقوم مقامه، ولا يتلوه إلا من يكون في الطهارة مثله، لئلا يتسع لمن ماسه حس الكفر في وقت من الأوقات انتحال الاستحقاق بمقام رسول الله ﷺ وليضيق العذر على من يُعينه على إثمه وظلمه، إذ كان الله قد حظر على من ماسه الكفر تقلد ما فوضه إلى أنبيائه وأوليائه، بقوله لإبراهيم: ﴿لا ينال عهدي الظالمين﴾ أي المشركين، لأنه سمي الظلم شركاً بقوله: ﴿إن الشرك لظلم عظيم﴾ فلما علم إبراهيم ﷺ أن عهد الله (تبارك وتعالى اسمه) بالإمامة لا ينال عبدة الأصنام، قال: ﴿وأجنبي وبنّي أن نعبد الأصنام﴾. واعلم أن من آثر المنافقين على الصادقين، والكفار على الأبرار، فقد افتري إثماً عظيماً، إذ كان قد بين في كتابه الفرق بين المحقّ والمبطل، والطاهر والنجس، والمؤمن والكافر، وأنه لا يتلو النبي عند فقده إلا من حلّ محله صدقاً وعدلاً وطهارة وفضلاً^(١).

٢- وفي تفسير الثقلين عن الشيخ الطوسي بإسناده إلى أمير المؤمنين ﷺ أنه إذا كان يوم الجمعة يخطب على المنبر فقال: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما من رجل من قريش جرت عليه الموائيق إلا وقد نزلت فيه آية

٣١٠ أربعون آية

من كتاب الله (عزَّ وجل) أعرفها كما أعرفه، فقام إليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين ما آيتك التي نزلت فيك؟
فقال: إذا سألت فافهم ولا عليك إلاّ تسأل عنها غيري، أقرأت سورة هود؟

قال: نعم يا أمير المؤمنين.

قال أفسمعتَ الله (عزَّ وجل) يقول: ﴿أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه﴾؟

قال نعم: فالذي على بينة من ربه محمد ﷺ والذي يتلوه شاهد منه وهو الشاهد وهو منه وأنا علي بن أبي طالب وأنا الشاهد، وأنا منه ﷺ. (١)
٣ - وفيه عن أبي جعفر عليه السلام قال: الذي على بينة من ربه: رسول الله ﷺ، والذي تلاه من بعده الشاهد منه: أمير المؤمنين عليه السلام ثم أوصياؤه واحداً بعد واحد (٢).

٤ - وفيه أيضاً عن جابر عن عبد الله بن يحيى قال: سمعت علياً عليه السلام وهو يقول: ما من رجل من قريش إلاّ وقد أنزل فيه آية أو آيتان من كتاب الله، فقال له رجل من القوم: فما نزل فيك يا أمير المؤمنين؟ فقال: أما تقرأ الآية التي في هود: ﴿أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه﴾؟ محمد ﷺ على بينة من ربه وأنا الشاهد (٣).

١ - تفسير نور الثقلين للحويزي ج ٢ ص ٢٤٥ .

٢ - نفس المصدر ج ٢ ص ٢٤٥ .

٣ - نفس المصدر ج ٢ ص ٢٤٥ .

٥ - وقد نقل العلامة الأميني عن المحافظ أبي العباس بن عقدة فيما ذكره من خطبة الإمام السبط الحسن عليه السلام لما صالح معاوية حيث قال في ضمن خطبته محتجاً بمكانة أبيه عليه السلام إذ قال: (إنا أهل بيت أكرمنا الله بالإسلام واختارنا واصطفانا وأذهب عنا الرجس وطهرنا تطهيراً، لم تفرق الناس فرقتين إلا جعلنا الله في خيرها من آدم إلى جدي محمد. فلما بعث الله محمداً للنبوّة واختاره للرسالة وأنزل عليه كتابه ثم أمره بالدعاء إلى الله (عزّ وجل) فكان أبي أوّل من استجاب لله ولرسوله، وأول من آمن وصدّق الله ورسوله صلى الله عليه وآله وقد قال الله في كتابه المنزل على نبيّه المرسل: ﴿أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه﴾. فجدّي الذي على بينة من ربه وأبي الذي يتلوه وهو شاهد منه.. إلى أن قال: وقد سمعت هذه الأمة جدي صلى الله عليه وآله يقول: ما ولّت أمة أمرها رجلاً وفيهم من هو أعلم منه إلا لم يزل يذهب أمرهم سفالاً حتى يرجعوا إلى ما تركوه^(١).

٦ - وعن الإمام الصادق عليه السلام في قوله تعالى: ﴿أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه﴾: الذي هو على بينة من ربه هاهنا: رسول الله صلى الله عليه وآله، والشاهد الذي يتلوه منه: علي عليه السلام، يتلوه إماماً من بعده، وحجّة على من خلفه من أمته^(٢).

٧ - وعن الإمام الباقر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿أفمن كان على بينة من

١ - الغدير للشيخ الأميني ج ١ - ص ١٩٧.

٢ - دعائم الإسلام للقاضي النعمان المغربي ج ١ - ص ١٤.

٣١٢أربعون آية

رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ: ﴿الَّذِي عَلِيَ بَيْنَهُ مِنْ رَبِّهِ: رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَالَّذِي تَلَاهُ مِنْ بَعْدِهِ الشَّاهِدُ مِنْهُ: أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيًّاؑ، ثُمَّ أَوْصِيَاؤُهُ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ﴾^(١).
وخلاصة القول: إن الآية بيّنت أن الإمام علياًؑ هو شاهد معصوم على الرسالة وهو يتلو النبي ﷺ وهو منه، وبذلك كانت الآية من آيات الولاية.

الآية الثانية: آية علم الكتاب

قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾^(٢).

دلالة الآية

أمر الله سبحانه وتعالى نبيه أن يردّ على الكفار الذين انكروا رسالة النبي بان يقول لهم: يكفيني أن يشهد الله تعالى على صدق دعوتي ويشهد لي أيضاً من عنده علم الكتاب، وقد صرّحت الروايات أن المراد بمن عنده علم الكتاب هو الإمام عليؑ فيكون الله تعالى ورسوله قد اتخذوا علياً شاهداً على صدق دعوة النبي ﷺ ورسالته وبذلك يكون الاستدلال بهذه الآية على إمامة أمير المؤمنين عليؑ شبيهاً بما مضى في الآية الآتفة الذكر من أن اتخذ الله سبحانه وتعالى علياً شاهداً مطلقاً في شهادته على مثل هذا الأمر العظيم يستلزم كونه معصوماً من الخطأ لئلا يشهد بالباطل، وأيضاً ضمّ شهادته إلى جنب شهادة الله تعالى التي هي حقٌّ مطلقاً وأبداً، مما يبيّن أيضاً

١ - بحار الأنوار للمجلسي ج ٣٥ - ص ٢٨٨ .

٢ - الرعد/٤٣ .

حقانية شهادة علي عليه السلام مطلقاً ودائماً، وبذلك تظهر عصمته عليه السلام و يستحق الخلافة لكونه الأفضل من غيره.

ودلالة ثانية

وفي هذه الآية دلالة أخرى على استحقاقه عليه السلام الإمامة، وذلك لأن عنده علم الكتاب، والكتاب فيه تبيان كل شيء، ومن له هذه السعة من العلم المرتبط بكل الشريعة بل بكل شيء لاشك أنه الأجدر بالإمامة والخلافة بعد النبي صلى الله عليه وآله حتى يكون هو المتبوع لا أن يكون الإمام غيره ويكون هو تابعاً لمن يمكن عليه الخطأ والمعصية، وسنقرأ في الروايات الكثيرة ما يدل على أنه عليه السلام الذي عنده علم الكتاب، وتكون الآيتان متعاظمتين على اتحاد هذا الشاهد وعصمته، كما نجد الروايات مستفيضة ومتفقة على وحدة هذا الشاهد الذي هو من النبي صلى الله عليه وآله والذي يتلوه وعنده علم الكتاب كله هو علي بن أبي طالب عليه السلام باب مدينة علم النبي صلى الله عليه وآله.

من الروايات في ذلك:

١ - في الرواية الصحيحة^(١) عن بريد بن معاوية قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: ﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ قال: إيانا عنى، وعلي أولنا وأفضلنا وخيرنا بعد النبي صلى الله عليه وآله.

٢ - عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن قول الله (عز وجل): ﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ هو

١ - الرواية الصحيحة هي ما كان رجال السند فيها من الإمامية الموثوقين.

٢ - الكافي للكليبي ج ١ - ص ٢٢٩ ح ٦.

علي بن أبي طالب عليه السلام؟ قال: فمن عسى أن يكون غيره ^(١).

٣ - عن أبي مریم قال: قلت لأبي جعفر: هذا ابن عبد الله بن سلام يزعم أن أباه الذي يقول الله **﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾** قال كذب، ذاك علي ابن أبي طالب ^(٢).

٤ - عن محمد بن عمرو قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: ما يقول أصحابك في أمير المؤمنين عليه السلام وعيسى وموسى أنهم أعلم؟ قال: قلت: ما يقدمون على أولي العزم أحداً. قال: أما إنك لو حاججتهم بكتاب الله لحججتهم. قال: قلت: وأين هذا في كتاب الله؟

قال: إن الله قال في موسى: **﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً﴾** ^(٣) ولم يقل كل شيء، وقال في عيسى: **﴿وَلَا يَبْنِي لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾** ^(٤) ولم يقل كل شيء، وقال في صاحبكم: **﴿كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾** ^(٥).

والمراد من (صاحبكم) هو أمير المؤمنين عليه السلام

وأما عن طريق غير الشيعة:

١ - ففي ينابيع المودة قال: سئل سعيد بن جبیر: **﴿وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ**

١ - بصائر الدرجات لمحمد بن حسن الصفار القمي ٢٢٥ ج ٥ ب ١ ح ١٥.

٢ - بصائر الدرجات لمحمد بن حسن الصفار القمي ٢٢٥ ج ٥ ب ١ ح ١٦.

٣ - الأعراف / ١٤٥.

٤ - الزخرف / ٦٣.

٥ - بصائر الدرجات لمحمد بن حسن الصفار القمي ٢٤٩ ج ٥ ب ٥ ح ٦.

الْكِتَابِ ﴿عَبْدَ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ؟ قَالَ: لَا، وَكَيْفَ وَهَذِهِ السُّورَةُ مَكِّيَّةٌ وَعَبْدَ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ أَسْلَمَ فِي الْمَدِينَةِ بَعْدَ الْهَجْرَةِ؟!﴾.

وعن ابن عباس قال: ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ إِنْ مَا هُوَ عَلِيٌّ، لَقَدْ كَانَ عَالِمًا بِالتَّفْسِيرِ وَالتَّأْوِيلِ وَالنَّاسِخِ وَالمَنْسُوخِ.

وعن محمد بن الحنفية (رضي الله عنه) قال: عند أبي أمير المؤمنين علي (صلوات الله عليه) علم الكتاب الأوّل والآخِر^(١).

٢ - وفي تفسير القرطبي قال: (قال عبد الله بن عطاء: قلت، لأبي جعفر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (رضي الله عنهم زعموا): أن الذي عنده علم الكتاب عبد الله بن سلام فقال: إِنْ مَا ذَلِكَ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ (رضي الله عنه)

ثم قال القرطبي: وكذلك قال محمد بن الحنفية^(٢).

استفسارات

سؤال: قد يقول قائل: إن المراد من قوله تعالى: ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ هو عبد الله بن سلام، لما ورد في تفاسير القوم، أو أنه بعض أهل الكتاب وما شابه!!

الجواب: إن ذلك أبعد ما يمكن أن يقال:

فأولاً: إن الآية والسورة مكّية وإن الرجل أسلم في المدينة.

وثانياً: كيف نصرف النظر عن الروايات الكثيرة والصحيحة وعن

١ - يتابع المودة لذوي القربى للفتودزي - ج ١ - ص ٣٠٨.

٢ - تفسير القرطبي للقرطبي - ج ٩ - ص ٣٣٦.

لسان أهل البيت المطهرين عليهم السلام وعمّا في كتب الفريقين ونرجع إلى أقوال في ذلك؟!.

ونالئنا: إن من له أدنى معرفة بمقام الإمام علي عليه السلام العلمي ورجوع الجميع إليه في السؤال عن شتى أنواع العلوم وإجابته عليه السلام على كل ما سُئل عنه لا يتردد أبداً انه لا يمكن ترجيح ما قيل إنه ابن سلام على الروايات التي صرّحت انه علي عليه السلام، والغريب أن في الآية الأولى ورد أيضاً قول بأن المراد من الشاهد هو: بن سلام، والحال أن الآية قالت: ﴿شاهد منه﴾ أي من النبي صلى الله عليه وآله، ولاشك أن الإمام علياً عليه السلام هو من النبي وليس ابن سلام .

استفسار آخر

سؤال آخر: قد يقول قائل: كيف يستشهد النبي صلى الله عليه وآله على دعواه برجل هو من صفّه ومن أتباعه ! فان القوم الذين لا يؤمنون به كداعية إلى الله تعالى من الواضح أنهم لا يؤمنون ولا يصدقون بقول أتباعه؟
الجواب: يمكن أن يقال - والله العالم - في رد هذا الإشكال إن هذا الأمر وارد أيضاً على استشهاده صلى الله عليه وآله بالله تعالى، وكونه سبحانه وتعالى شهيداً على دعوته، فان القوم أيضاً لا يقبلون ذلك منه، فهذا محض إدعاء بالنسبة لهم، فكيف يقول الله تعالى له: ﴿قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم﴾.. الآية؟!.

هذا ردُّ نقضي، وفي الواقع هو إشكال آخر، والردّ الحليّ ربما يكون هو: أن النبي صلى الله عليه وآله يستشهد بشهادة الله تعالى على صدق مدّعاه من حيث تمكين الله تعالى له من الكرامات والمعجزات، فان ما يأتي به النبي من إعجاز

يستدلّ به على صدق رسالته، فهو أمر بإذن الله تعالى وقدرته فهو يستدلّ على صدق دعواه بما يشهد له الله تعالى بصدقه من حيث تمكينه من الإتيان بتلك المعاجز والقدرات التي يعجز عنها سائر الناس، كذلك استشهاده بعلي عليه السلام من حيث أنه معجزة من معاجزه التي نصره الله بها.

وكما قلنا - في الآية السابقة - : من أن الإمام علياً عليه السلام هو بنفسه كان معجزة من معاجز النبي ﷺ حتى عدّ شاهداً على صدق رسالته ﷺ نقول هنا أيضاً: إن النبي ﷺ يستشهد به باعتباره آية من الآيات الإلهية التي تصدّقه وتُسنّد دعواه.

ثلاث آيات أخرى:

ولتأييد المعنى المراد في الآيتين الآفتين نذكر آيات أخرى من آيات الشهادة، ممّا استفاد منها شهادة الأئمة عليهم السلام على الناس يوم القيامة، وعلمهم بأعمال الخلق.

وتعدّ هذه الآيات بنفسها دليل آخر على إمامتهم عليهم السلام وذلك لدلالاتها على عصمتهم عليهم السلام - كما سيأتي - وإن العصمة ملازمة لحجّيتهم على الخلق.. وهي:

الأولى: آية الأمة الوسطى

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾^(١)

لقد دلت الآية على العصمة والإمامة للأئمة عليهم السلام من جهتين:
الجهة الأولى: قسّمت الآية الناس الى ثلاثة أصناف: (الأمة الوسطى وهم
 الشهداء على الناس، وسائر الناس، والرسول).

أمّا الرسول فهو رسول الله صلى الله عليه وآله وهو من الناس إلا أنه تميّز عنهم
 برسالته من الله تعالى لهم.

وأما الناس - هنا - فهم جميع الناس باستثناء الرسول والأمة الوسطى.

وأما الأمة الوسطى، فهم جماعة لهم ميزة جعلتهم شهداء على سائر

الناس، فيا ترى من هم هؤلاء!!

مع ملاحظة أن هؤلاء الشهداء معقولون من قبل الله تعالى للشهادة
 على الناس يوم القيامة، وأن شهادتهم مقبولة عنده سبحانه مطلقاً وفي كل
 قضية، كما يدل ذلك على عصمتهم، فمن الواضح أن الله سبحانه وتعالى لا
 يُقدّم شهوداً يمكن عليهم الخطأ، فثبت بذلك عصمة هذه الأمة والجماعة، هذا
 من جهة.

الجهة الثانية: لما وصفت الآية جماعة بالوسطية ميّزتهم عن سائر

الناس، فالأمة الوسطى هي التي تعرف الحق وترعاه دائماً لتشهد على الناس
 أنهم عملوا بالحق أم لا، ولاسيّما إذا أريد منها الوسطية المطلقة، أي دائماً
 وعلى كلّ حال - كما هو الواقع المراد من ذلك - فلا بد أن تكون تلك الأمة
 الوسطى معصومة من الخطأ والإشتباه، وإلا لا يُعوّل على شهادتها ولا ميزة
 لتلك الشهادة.

ومن هاتين الجهتين دلت الآية على عصمة هذه الأمة، وبذلك تستحقّ

الإمامة، لأنها الأعراف للحقّ والملازم له.

ولا يمكن أن يراد من الأُمَّة جميع الناس، لأن من الواضح انه ليس الأُمَّة جميعاً ممّن هم على الحالة الوسطية و لا كلهم على الحق دائماً، بل من المعلوم بالوجدان أن أكثر أُمَّة الإسلام وأهلها غير ملتزمين بالحقّ والتدين به، فضلاً من أن يكونوا مستمرين عليه دائماً، فلا بدّ أن يكون المراد من الأُمَّة الوسطى هم جماعة خاصّة من الناس،

سؤال: هل يمكن أن تطلق كلمة (أُمَّة) ويُراد منها جماعة خاصّة فقط؟

الجواب: نعم لا يضرّ استعمال كلمة (الأُمَّة) وإرادة جماعة خاصّة، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ﴾^(١) فقد أريد من ذلك (أُمَّة) جماعة من الرجال فقط.

وما نريده: هو أن هذه الآية وأشباهاها من آيات الشهادة هي بنفسها دليل على الإمامة، وأيضاً تدعم الآيتين اللتين عقدنا لهما هذا الفصل.

روايات مؤكدة

وفي خصوص هذه الآية جاءت بعض الأحاديث تؤكّد هذا المعنى، وإليك بعضها:

١ - عن الإمام الباقر عليه السلام قال: (إِنَّمَا أَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ يعني: عدولاً، لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَ يَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا، قَالَ: وَ لَا يَكُونُ شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ إِلَّا الْأُمَّةُ عليه السلام وَ

الرسول. فأما الأمة فائه غير جائز أن يستشهدها الله و فيهم من لا تجوز شهادته في الدنيا على حزمة بقل^(١).

٢ - وعن الإمام الصادق عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ قال: فإن ظننت أن الله عنى بهذه الآية جميع أهل القبلة من الموحدّين، أفترى أن من لا يجوز شهادته في الدنيا على صاع تمر، يطلب الله شهادته يوم القيامة و يقبلها منه بحضرة جميع الأمم الماضية؟! كلا! لم يعن الله مثل هذا من خلقه، يعنى الأمة التي وجبت لها دعوة إبراهيم و هم الأمة الوسطى. و هم خير أمة أخرجت للناس^(٢).

٣ - عن بريد العجلي قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله (عزّ وجل): ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ قال: (نحن الأمة الوسطى ونحن شهداء الله على خلقه وحججه في أرضه.. إلى أن قال عليه السلام: فرسول الله صلى الله عليه وآله الشهيد علينا بما بلغنا عن الله (عزّ وجل) ونحن الشهداء على الناس فمن صدّق صدقناه يوم القيامة، ومن كذّب كذّبناه يوم القيامة)^(٣).

هذا.. ويأتي الكلام نفسه في الآيات التي جعلت الشهادة لمن جعلت يوم القيامة.

١ - تفسير نور الثقلين للحويزي ج ١ ص ١٢٥.

٢ - تفسير المياشي ج ١ ص ٦٣.

٣ - الكافي للكليني ج ١ ص ١٩٠.

الثانية: آية الشهيد من كل أمة

قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾^(١).

روي عن الإمام الصادق عليه السلام في قول الله (عزَّ وجل): ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ قال: (نزلت في أمة محمد صلى الله عليه وآله خاصة، في كل قرن منهم إمام منا شاهد عليهم، ومحمد صلى الله عليه وآله شاهد علينا)^(٢).

وفي البخاري:

وفي البخاري ما يدل على أصل هذه الشهادة، حيث روى عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله (يُدعى نوح يوم القيامة، فيقول: لبيك وسعديك يا رب، فيقول: هل بلغت؟ فيقول: نعم، فيقال لأُمَّته: هل بلغتكم؟ فيقولون: ما أتانا من نذير، فيقول: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأُمَّته، فيشهدون أنه قد بلغ ويكون الرسول عليكم شهيداً، فذلك قوله (جل ذكره): ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً﴾ والوسط العدل)^(٣).

ولا تنافي هذه الرواية كون الشهادة للأئمة عليهم السلام لأنهم من الأُمَّة بل سادتها.

ثم إن الشاهد ينبغي أن يكون قد شهد القضية حتى يشهد عليها، وأنى

١ - النساء/ ٤٥ .

٢ - الكافي للشيخ الكليني ج ١ ص ١٩٠ .

٣ - صحيح البخاري ج ٥ ص ١٥١ .

لسائر الأئمة أن تكون قد شهدت أفعال وأقوال سائر الناس حتى تشهد عليهم؟! بل هم الأئمة الذين أطلعهم الله تعالى على أعمال العباد كما اطلع النبي ﷺ على ذلك أيضاً ليشهدوا على الناس يوم القيامة.

الآية الثالثة: آية رؤية الأعمال

قوله تعالى: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾^(١).

لقد مكّن الله تعالى هؤلاء المؤمنين من الوقوف على حقيقة أعمال عباده، ثم يُقدّمهم يوم القيامة للشهادة على الناس.

وهذه الآية هي الأخرى لها دلالتها على الإمامة، إذ لا شكّ ليس كلّ المؤمنين يرون أعمال الخلق ويعرفون حقائقهم حتى يشهدوا عليهم، بل يعرف ذلك بعضهم، ثم إن هذا البعض يمتن رأى وعرف أعمال الناس لا يرى حقيقة عملهم، بل يرى ظاهر العمل، وهذا لا تُراد شهادته بل لا تفيد هذه الشهادة، لأنّ الرؤية بهذا المعنى ليست خاصة للمؤمنين، بل ممكنة لغير المؤمنين أيضاً، فغير المؤمنين من سائر الناس يرى بعض الأعمال من الناس الآخرين فلماذا خصّت الآية الرؤية بالمؤمنين؟! بل المراد هم الأئمة عليهم السلام فهم الذين يُطلعهم الله تعالى على أعمال خلقه لأنهم أئمتهم وقادتهم.

ومن السنن الطبيعية الجارية في الخلق أن يطلع القائد والإمام على أفعال رعيّته، وكذلك يطلع رسول الله ﷺ بصريح هذه الآية، فهو يرى أعمالنا وتُرفع إليه ملقأتنا دائماً، ليكون ذلك في طريق شهادته على سائر الناس وعلى الأئمة يوم القيامة.

ومّا يدلّ على هذا المعنى الواقعي للرؤية هو إقتران هذه الرؤية إلى جنب رؤية الله تعالى، فلا شكّ أنه سبحانه يعلم حقائق أفعال الخلق كما يعلم ظواهرها، وفي الأحاديث ما يؤكّد هذا المعنى.

معرفة المعصوم بأعمال العباد

وإليك - أيها القارئ الكريم - بعضها:

١ - روي عن الإمام الصادق عليه السلام قال: (مالكم تسوؤن رسول

الله صلى الله عليه وآله؟!)

فقال رجل: كيف نسوؤه؟

فقال: (أما تعلمون أن أعمالكم تُعرض عليه، فإذا رأى فيها معصيةً ساءه ذلك، فلا تسوؤوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسرّوه ^(١)).

٢ - وعن يعقوب بن شعيب قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله

(عزّ وجل): ﴿اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾؟ قال: هم الأئمة ^(٢).

٣ - عن عبد الله بن أبان الزيات قال: قلت للرضا عليه السلام: ادعُ الله لي

ولأهل بيتي فقال: (أو لست أفعل؟ والله إن أعمالكم لتعرض عليّ في كلِّ يوم وليلة).

قال: فاستعظمتُ ذلك، فقال لي: (أما تقرأ كتاب الله عزّ وجل):

﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾؟ قال: هو والله علي

١ - الكافي للشيخ الكليني ج ١ ص ١٩٠.

٢ - نفس المصدر.

بن أبي طالب عليه السلام ^(١).

ولعلّ قول الإمام: (هو والله علي بن أبي طالب عليه السلام) يقصد به حين نزول الآية وانه أول الأئمة وأبوهم عليه السلام، إذ لا شك أن المراد في الآية هو الأمام علي وأبنائه المعصومون عليهم السلام.

وعلى أي حال تُعدّ هذه الآيات المتضمنة لمعنى الشهادة والرؤية من الآيات المرتبطة بموضوع العصمة والإمامة، وهي بنفسها أدلة مستقلة على ذلك، كما إنها تعضد بعضها بعضاً في بيان هذا المعنى المراد.

آيات أخرى وأخرى:

ولزيادة العلم والاستدلال على ذلك يمكن مراجعة تفسير بعض تلك الآيات ممّا تركنا التعرّض لها هنا - تجنباً للتفصيل - فمثلاً يمكن ملاحظة تفسير الآيات التالية والوقوف على هذه الحقيقة، فمن ذلك:

قول الله (عزّ وجل) في هذه الآيات:

١ - ﴿وَيَوْمَ نَبِّئُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ ^(٢).

٢ - ﴿وَيَوْمَ نَبِّئُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ ^(٣).

١ - الكافي للشيخ الكليني ج ١ ص ١٩٠.

٢ - النحل / ٨.

٣ - النحل / ٨٩.

٣ - ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مَثَلًا لِبِرِّكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾^(١).

٤ - ﴿وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾^(٢).

٥ - ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾^(٣).

٦ - ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾^(٤).

٧ - ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴾^(٥).

وختلاصة القول:

إن الآيتين - الأولى التي عدت الإمام علياً عليه السلام يتلو النبي ﷺ وشاهداً منه، والثانية التي صرحت أن عنده علم الكتاب، كما في بداية هذا

١ - الحج/ ٧٨ .

٢ - القصص/ ٧٥ .

٣ - الأحزاب/ ٤٥ .

٤ - الفتح/ ٨ .

٥ - المزمل/ ١٥ .

٣٢٦ أربعون آية

الفصل - متعاضدتان في بيان مكانة عظمى للإمام علي عليه السلام مما يلزم القول
بإمامته.

وكذلك الآيات الثلاث الأخرى أكّدت هذا المعنى المراد.

و هكذا آيات أخرى وأخرى.

وبذلك تُعدّ هذه الآيات من آيات الإمامة والولاية، وهذا ما أردناه.

والحمد لله ربّ العالمين.

الفصل السابع عشر

آيات السؤال

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى: ﴿وَقَفُّهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾^(١).

وقوله سبحانه: ﴿ثُمَّ لَتَسْأَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾^(٢).

إنَّ في كُلِّ من هاتين الآيتين المباركتين دلالة على إمامة الإمام عليٍّ عليه السلام. والدلالة تارة من جهة كل آية بانفرادها، وأخرى من حيث تعاضدهما، وتارة ثالثة بسبب تأييد آيتين ثانيتين تطرقت إلى نعمة الله تعالى. ولنلاحظ هذه الآيات منفردة ومرتبطة.

الآية الأولى: آية الوقوف للسؤال

قوله تعالى: ﴿وَقَفُّهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾.

دلَّت الآية المباركة على إمامة الإمام عليٍّ عليه السلام، وذلك لما جاء في تفسيرها من أحاديث عديدة عن السؤال الذي سوف يواجهه الإنسان يوم القيامة، وهو السؤال عن الولاية للإمام عليٍّ أمير المؤمنين عليه السلام. وهذا ما نجده في مصادر المسلمين عامة سنة وشيعة.

١ - الصفات / ٢٤.

٢ - التكاثر / ٨.

أما من مصادر العامة:

١- ذكر الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل بسنده عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَقَفَّوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْتُؤَلُونَ﴾ قال: عن ولاية علي بن أبي طالب عليه السلام^(١).

٢- و ذكر في رواية أخرى لفظ: (الإمام)، فقال مُسنداً إلى أبي سعيد الخدري في قوله: ﴿وَقَفَّوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْتُؤَلُونَ﴾ قال: عن إمامة علي بن أبي طالب^(٢).

٣ - وفي الصواعق لإبن حجر عن الواحدي قال: روي في قوله تعالى: ﴿وَقَفَّوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْتُؤَلُونَ﴾ أي عن ولاية علي وأهل البيت قال - أي الواحدي - : لأنّ الله أمر نبيّه أن يُعرّف الخلق أنه لا يسألهم على تبليغ الرسالة أجراً إلاّ المودّة في القربى.

والمعنى: إنهم يُسألون هل والوهم حقّ الموالاتة كما أوصاهم النبي، أم أضعوها وأهملوها؟، فتكون عليهم المطالبة والتبعية، إنتهى كلام الواحدي^(٣).
وهناك الكثير من المصادر التي تطرقت الى هذا المعنى في تفسير الآيّة^(٤).

١ - شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني - ج ٢ - ص ١٦١.

٢ - شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني - ج ٢ - ١٦٠، حديث رقم ٦٧٨.

٣ - الصواعق المحرقة لإبن حجر الهيتمي ١٤٩.

٤ - منها روح المعاني للألوسي في تفسير هذه الآيّة، فرائد السطين ج ١ / ٧٩، كفاية الطالب للكتنجي الشافعي ص ٢٤٧ ط الحيدرية و ص ١٢٠ ط الغري، نظم درر السطين للزرندي الحنفي ص ١٠٩، تذكرة الخواص المبسط بن الجوزي الحنفي ص ١٧، يتابع المودة للقمندوزي الحنفي ص

وفي مصادر أهل البيت عليهم السلام:

١ - ذكر الشيخ الصدوق عن أبي سعيد عن النبي ﷺ في قول الله (عزَّ وجل): ﴿وَقَفَّوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُؤُونَ﴾^(١) قال: (عن ولاية علي، ما صنعوا في أمره؟ وقد أعلمهم الله (عزَّ وجل) أنه الخليفة بعد رسوله)^(٢).

٢ - ذكر أبو الحسن الفقيه محمد بن أحمد بن شاذان بسنده إلى أبي سعيد الخدري قال: سمعتُ رسول الله ﷺ قال: (إذا كان يوم القيامة أمر الله ملكين يقعدان على الصراط، فلا يجوز أحدٌ إلا براءة أمير المؤمنين، ومن لم تكن له براءة أمير المؤمنين أكبه الله على منخره في النار، وذلك قوله تعالى: ﴿وَقَفَّوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُؤُونَ﴾.

قلت: فذاك أبي وأمي يا رسول الله ما معنى براءة أمير المؤمنين؟

قال: مكتوب بالنور الساطع لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب وصي رسول الله ﷺ)^(٣).

٣ - في تفسير نور الثقلين عن أمالي الشيخ الطوسي بإسناده إلى أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال: إذا كان يوم القيامة ونُصب الصراط على جهنم لم يجز عليه إلا من معه جواز فيه ولاية علي بن أبي طالب عليه السلام، وذلك قوله

١١٢ و ١١٤ و ٢٧٠ و ٢٩٥ ط اسلامبول (مراجع سبيل النجاة في تنمّة المراجعات - الشيخ

حسين آل راضي - ص ٥٦).

١ - لضافات : ٢٤.

٢ - معاني الأخبار - الشيخ الصدوق - ص ٦٧.

٣ - غاية المرام - السيد هاشم البحراني - ج ٢ - ص ٩٧.

٣٣٢ أربعون آية

تعالى: ﴿وَقَفَّوهُمْ إِيَّاهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ يعني عن ولاية علي بن أبي طالب عليه السلام ^(١).

وهكذا ذكر كثير من المفسرين هذا المعنى في تفسير الآية المباركة، وهذا يدلّ على ولاية الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وأن الآية من الآيات الدالة على ذلك.

الآية الثانية: السؤال عن النعيم

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَتَسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ ^(٢).

دلّت هذه الآية أيضاً على المعنى المراد، فقد جاء في تفسيرها: إن المقصود من النعيم الذي سُأل عنه: هو ولاية أمير المؤمنين عليه السلام، وهذا بنفسه يدلّ على الولاية للإمام علي عليه السلام.

كما يؤيد ذلك مقارنتها بالآية الآتية والآيتين التاليتين.

فلنلاحظ بعض الأحاديث عند الفريقين في ذلك:

من مصادر العامة:

١ - في ينابيع المودة: في تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَتَسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ

النَّعِيمِ﴾ بسنده عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام قال: النعيم ولاية أمير

المؤمنين علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه) ^(٣).

١ - تفسير نور الثقلين - الشيخ الحويزي - ج ٤ - ص ٤٠١.

٢ - التكاثر/٨.

٣ - ينابيع المودة لذوي القربى للقدوزي ج ١ ص ٣٣٢ و شواهد التنزيل للحسكاني ج ٢ ص ٤٧٧.

٢ - و في المصدر نفسه عن الإمام الباقر عليه السلام قال: والله ما هو الطعام والشراب، ولكن هو ولايتنا.
وذكر أيضاً عن الإمام الكاظم عليه السلام قال: نحن نعيم المؤمن وعَلَم الكافر^(١).

٣ - في ينابيع المودة ذكر عن الحاكم بن أحمد البيهقي بسنده إلى إبراهيم بن العباس الصولي الكاتب بالأهواز سنة سبع وعشرين ومائتين قال: كنا يوماً بين يدي الإمام علي بن موسى الرضا (رضي الله عنهما) قال له بعض الفقهاء: إن النعيم في هذه الآية هو الماء البارد. فقال له بارتفاع صوته: كذا فسرقوه أنتم وجعلتموه على ضروب، فقالت طائفة: هو الماء البارد، وقال آخرون: هو النوم، وقال غيرهم: هو الطعام الطيب.

ولقد حدّثني أبي عن أبيه جعفر بن محمد عليه السلام، إذ أقوالهم هذه ذُكرت عنده فغضب وقال: إن الله (عزّ وجل) لا يسأل عباده عمّا تفضّل عليهم به، ولا يمينُ بذلك عليهم، وهو مُستقبّح من المخلوقين كيف يُضاف إلى الخالق - جلّت عظمته - ما لا يُرضى للمخلوقين؟!.

ولكن النعيم حبّنا أهل البيت وموالاتنا، يسأل الله عنه بعد التوحيد لله ونبوة رسوله صلى الله عليه وآله، لأن العبد إذا وافى بذلك أدأه إلى نعيم الجنة الذي لا يزول.

قال أبي موسى عليه السلام: لقد حدّثني أبي جعفر عن أبيه محمد بن علي

عن أبيه علي بن الحسين عن أبيه الحسين بن علي عن أبيه علي بن أبي طالب عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا علي إن أول ما يُسأل عنه العبد بعد موته شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وأنت ولي المؤمنين بما جعله الله وجعلته لك ، فمن أقر بذلك وكان معتقده صار إلى النعيم الذي لا زوال له ^(١).

وأما في مصادر الإمامية:

١ - عن الإمام الباقر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾. قال : يعني الأمن والصحة وولاية علي بن أبي طالب ^(٢).

٢ - روي في الكافي عن أبي حمزة قال: كنا عند أبي عبد الله جماعة فدعا بطعام ما لنا عهد بمنله لذاذة وطيباً وأوتينا بتمر، ننظر فيه إلى وجوهنا من صفائه وحسنه، فقال رجل: لتسألن عن هذا النعيم الذي نعمتم به عند ابن رسول الله صلى الله عليه وآله.

فقال أبو عبد الله عليه السلام: إن الله (عزَّ وجل) أكرم وأجل من أن يطعمكم طعاماً فيسوِّغكموه ثم يسألكم عنه، ولكن يسألكم عما أنعم عليكم بمحمد صلى الله عليه وآله وآل محمد عليهم السلام ^(٣).

٣ - وفي الكافي أيضاً عن سُدير الصيرفي عن أبي خالد الكابلي قال: دخلتُ على أبي جعفر عليه السلام، فدعا بالغذاء، فأكلتُ منه طعاماً ما أكلتُ طعاماً

١ - ينابيع المودة لذوي القربى للقدوزي - ج ١ - ص ٣٣٣.

٢ - مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب - ج ٢ - ص ٤.

٣ - الكافي للكليني ج ٦ ص ٢٨٠.

قطّ أنظف منه ولا أطيب فلما فرغنا من الطعام قال: يا أبا خالد كيف رأيت طعامك؟ أو قال: طعامنا؟ قلت: جعلتُ فداك ما رأيتُ أطيب منه ولا أنظف قطّ، ولكنني ذكرتُ الآية التي ذُكرت في كتاب الله (عزَّ وجل) ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ فقال أبو جعفر: لا، إنّما يسألكم عمّا أنتم عليه من الحق^(١).

هل النعيم هو الطيب من الأكل؟

سؤال : قد يسأل سائل ويقول: لقد جاء في تفسير الآية - أيضاً - أن المراد من النعيم هو الأكل الطيب، أو الماء البارد، أو النوم الهنيء، وما شابه، حيث جاء ذلك في بعض الروايات، فلماذا لا تُفسّر الآية بذلك؟

الجواب: نقول - بعد فرض صحّة ذلك - :

أولاً: يمكن الجمع بين هذه الأقوال وبين القول بالولاية، على أن يكون السؤال عن أمور عديدة: ومن أهمّها ما يهّم العقيدة والولاية.

ثانياً: إنّ مَنْ يلاحظ هذا التفسير للنعيم بالولاية يجده مناسباً للآية الأخرى وهي قوله تعالى: ﴿وَقَفَّوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾.

وأيضاً يناسب ما سنذكره من آيات أخرى في هذا المضمار، فيكون هذا التفسير اقرب للواقع.

ثالثاً: لقد ذكرت بعض الأحاديث - كما مرّ - إن الله تعالى أجلّ شأناً من أن يسأل العباد عن نعمة الماء البارد أو النوم أو ما أشبهه، وإنّما السؤال

عن شيء هو في غاية الأهمية، وهي الإمامة والولاية لأهل البيت عليهم السلام، الذين خلفهم الرسول ﷺ وأوصى الأمة بملازمتهم و متابعتهم.

أحاديث المرور على الصراط

وتؤكد هذا المعنى أحاديث المرور على الصراط يوم القيامة، وأنه لا يعبر أحد الصراط إلا من عنده جواز يسمح له بالمرور، وهو كتاب من الإمام علي عليه السلام.

جاء ذلك في مصادر عديدة، منها:

١ - عن عبد الله بن مسعود، قال: قال رسول الله ﷺ: (إذا كان يوم القيامة، يقعد علي بن أبي طالب على الفردوس - وهو جبل قد علا على الجنة، وفوقه عرش رب العالمين، ومن سفحه تتفجر أنهار الجنة وتتفرق في الجنان - وهو جالس على كرسي من نور، يجري من بين يديه التسنيم، لا يجوز أحد الصراط إلا ومعه براءة بولايته وولاية أهل بيته، يُشرف على الجنة، فيدخل محببيه الجنة ومبغضيه النار)^(١).

٢ - عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ: (إذا كان يوم القيامة ونُصب الصراط على جهنم، لم يُجز أحدٌ عليه إلا من معه جواز ولاية علي بن أبي طالب عليه السلام)^(٢).

٣ - عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: (إذا كان يوم القيامة أقف أنا وعلي بن أبي طالب على الصراط، بيد كل واحد منا

١ - غاية المرام للسيد هاشم البحراني ج ٢ ص ٢٩٢.

٢ - كشف الغمّة، لابن أبي الفتح الاربلي، ج ٢ ص ٢٤.

سيف، فما يَرُّ أحد إلا سألناه عن ولاية علي بن أبي طالب، فمن كانت معه وإلا ضربنا عنقه وألقيناه في النار، وذلك قوله تعالى: ﴿وَقَفَّوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْتُوُونَ * مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ﴾ (١).

ويؤيد هذا حديث الثقلين، حيث يؤكد إننا سُئِلَ - لا محالة - عن الولاية لأهل البيت عليهم السلام.

فقد قال النبي صلى الله عليه وآله: (أيها الناس، إني تركتُ فيكم الثقلين: النِثْلَ الأكبر والنِثْلَ الأصغر، فأما النِثْلَ الأكبر هو حبلٌ فيبِيدُ الله طرفه والطرف الآخر بأيديكم، وهو كتاب الله، إن تمسكتُم به فلن تضلُّوا ولن تذلُّوا أبداً، وأما النِثْلَ الأصغر فعترتي أهل بيتي، إن الله اللطيف الخبير أخبرني أنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض، وسألتُ ذلك لهما فأعطاني، والله سائلكم كيف خلقتُموني في كتاب الله وأهل بيتي) (٢).

وذكر ابن حجر في (كتابه الصواعق) حديث الثقلين، ثم قال: رواه ثلاثون صحابياً وإن كثيراً من طرقه صحيح (٣).

و في حديث آخر عن جُبَيْر بن مطعم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (ألسنُ مولاكم، ألسنُ خيركم؟ قالوا: بلى يا رسول الله).

قال: فإني فرط لكم على الحوض يوم القيامة، والله سائلكم عن

١ - بشارة المصطفى لمحمد بن علي الطبري ص ١٨٥.

٢ - ينابيع المودة لذوي القربى للقدوزي - ج ١ - ص ١٢٢.

٣ - ينابيع المودة للقدوزي ج ١ ص ١٢٣ عن الصواعق المحرقة، لابن حجر الهيثمي ص ١٢٢.

اثنين، عن القرآن وعن عترتي^(١).

عزيزي القارئ الكريم: بعد كل هذه الأحاديث التي جاءت في تفسير الآية: ﴿وَقَفَّوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُؤُونَ﴾، والأحاديث التي رُوِيَتْ في الآيات الأخرى لا يبقى مجال للشك في أن السؤال الذي سُيَسأل الناس عنه يوم القيامة هو سؤال عن إمامة الإمام عليّ أمير المؤمنين عليه السلام.

وهذا تكون هذه الآية من الآيات الدالة على إمامة أمير المؤمنين عليه السلام. هاتان آيتان تطرقتا الى وجود ذلك السؤال، وآيتان ثانيتان تحدّثتا عن نعمة الله تعالى قد أنكرها قوم وكفروا بها، وللآيتين علاقة بما نحن فيه من السؤال عن الولاية، فعَدَدْتُهُما ثالثة ورابعة في هذا الفصل، وهما:

الآية الثالثة: آية نكران النعمة:

قوله سبحانه: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا﴾^(٢).

هذه الآية تؤيد القول: بأن السؤال عن النعيم هو سؤال عن الولاية، وذلك لما جاء في تفسيرها من أحاديث في ذلك .
وإليك بعض تلك الأحاديث:

١ - في الكافي عن أحمد بن عيسى قال: حدّثني جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جدّه عليه السلام في قوله (عزّ وجل): ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾

قال: لما نزلت: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ

١ - كتاب السنّة لعمر بن أبي عاصم - ص ٦١٣ .

٢ - النحل/ ٨٣ .

يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿١﴾ اجتمع نفر من أصحاب رسول الله ﷺ في مسجد المدينة.

فقال بعضهم لبعض: ما تقولون في هذه الآية؟

فقال بعضهم: إن كفرنا بهذه الآية نكفر بسائرهما، وإن آمنّا، فإنّ هذا ذلّ حين يُسلط علينا ابن أبي طالب.

فقالوا: قد علمنا أن محمداً صادق فيما يقول، ولكنّا نتولاه ولا نطيعه علماً فيما أمرنا.

قال: فنزلت هذه الآية: (يعرفون نعمة الله ثم يُنكرونها) يعرفون (يعني ولاية علي بن أبي طالب) وأكثرهم الكافرون (بالولاية) ^(٢).

الآية الرابعة: آية تبديل نعمة الله

قوله سبحانه: ﴿الَّذِينَ تَرَى إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾ ^(٣).

عُدَّت هذه الآية أيضاً من آيات الولاية حيث ذكرت النعمة وأولت بالولاية لأهل البيت عليه السلام، كما نلاحظ ذلك في بعض الأحاديث، فمثلاً:

١ - في الكافي عن الأصبع بن نباتة قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: (ما بال أقوام غيروا سنة رسول الله ﷺ وعدلوا عن وصيّه؟ لا يتخوفون أن

١ - المائدة/٥٥.

٢ - الكافي للشيخ الكليني - ج ١ - ص ٤٢٧.

٣ - إبراهيم/٢٨.

ينزل بهم العذاب ؟

ثم تلا هذه الآية: ﴿ألم تر إلى الذين بدلوا نعمتَ الله كُفْرًا وأحلّوا قومهم دار البوار﴾.

ثم قال: نحن النعمة التي أنعم الله بها على عباده، وبنا يفوز من فاز يوم القيامة^(١).

٢ - وفي شرح الكافي: قال علي بن إبراهيم في قوله (عزّ وجل): ﴿يعرفون نعمت الله ثم ينكرونها﴾: نعمة الله هم الأئمة، والدليل على أن الأئمة عليهم السلام نعمة الله جلّ جلاله قولُ الله تعالى: ﴿ألم تر إلى الذين بدلّوا نعمةَ الله كُفْرًا وأحلّوا قومهم دار البوار﴾، قال الصادق عليه السلام: نحن والله نعمة الله التي أنعم بها على عباده وبنا فاز من فاز.^(٢)

أيها القارئ الكريم: لاحظنا الإنسجام والترابط بين هذه الآيات الأربع، وكيف يُفسّر بعضها بعضاً، حيث الإجابة على السؤال المطروح في الآيات وبيانه في الأحاديث.

وبذلك تكون هذه الآيات الأربع من آيات الإمامة والولاية للإمام علي عليه السلام.

نسأل الله تعالى أن ينتبه المسلمون إلى هذا السؤال، ويُمهدوا الجواب عليه، وذلك بالرجوع إلى إمامة أهل البيت عليهم السلام. والحمد لله رب العالمين.

١ - الكافي للكليفي ج ١ ص ٢١٧.

٢ - شرح أصول الكافي لمحمد صالح الملازنداني - ج ٧ - ص ١٠٠.

الفصل الثامن عشر

عشرون آية في الولاية

بسم الله الرحمن الرحيم

في هذا الفصل أقف عند بعض الآيات التي لها إشارات تؤول إلى لزوم القول بإمامة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وهذه الآيات أدرجها العلامة الحلبي في كتابه: (نهج الحق وكشف الصدق)، مستنداً بها على الولاية بإشارة خفية وباختصار بالغ. وقد اقتبستُ بعض استدلاله عليها، وهمشتُ أيضاً بعض التعليقات التي يمكن أن تكون محاولةً في إزاحة بعض الغشاوة عن المعنى المراد إيصاله إليك - أيها القارئ الكريم - وتوجيهاً و تبييناً متواضعاً في وجه دلالة الآيات، فذكرتُ نصّ ما أفاده العلامة (قدّس الله نفسه)، وأضفتُ بعض ما تبادر الى الذهن ممّا يمكن أن يكون توضيحاً لما أراده العلامة أو وجهاً من وجوه الاستدلال بالآية المباركة على المراد.

والآيات المقتبسة هي كالتالي:

١. قوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾^(١).

قال العلامة الحلبي: روى الجمهور عن ابن عباس انه قال: سابق هذه

الأمة علي بن أبي طالب^(١)، انتهى.

وجه الاستدلال:

إن ما يقوله ابن عباس في تفسير القرآن يُعدّ كما يرويه عن رسول الله ﷺ أو عن أمير المؤمنين عليه السلام، وربما لهذا السبب ذكر العلامة الحلّي كلامه واستدلّ به.

ووجه الاستدلال بالآية: إنه إذا كان السابق إلى الإيمان هو المقرّب في القرآن وعند الله تعالى، فيُفترض تقديمه على الآخرين لمنصب الإمامة أيضاً، فإذا كان الإمام عليّ عليه السلام هو سابق هذه الأمة وهو المقرّب عند الله تعالى فهو الأجدر بالإمامة من غيره.

٢. قوله تعالى: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ أَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾^(٢).

قال العلامة: روى الجمهور في الجمع بين الصحاح الستّة: أنها نزلت في علي بن أبي طالب عليه السلام، لما افتخر طلحة بن شيبه والعباس.

فقال طلحة: أنا أولى بالبيت، لأنّ المفتاح بيدي.

وقال العباس: أنا أولى، أنا صاحب السقاية، والقائم عليها.

١ - نهج الحق وكشف الصدق للعلامة الحلّي ص ١٨١ روي في تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٢٨٣، والدر المنثور للسيوطي ج ٦ ص ١٥٤ والصواعق المهرقة لابن حجر ص ١٢٣، وروح المعاني للألوسي ج ٢٧ ص ١١٤، وينابيع المودة للقندوزي المنفي ص ٦٠.

فقال علي عليه السلام: أنا أول الناس إيماناً، وأكثرهم جهاداً.

فأنزل الله تعالى هذه الآية، لبيان أفضليته عليه السلام.

رواه: جمع غفير من الأعلام،^(١) انتهى.

وجه الاستدلال:

لقد جاء في الرواية: فقال علي عليه السلام: أنا أشرف منكما، أنا أول من

آمن، وهاجر، وجاهد في سبيل الله.

فإذا كان الإمام علي عليه السلام هو أول من آمن وهاجر وجاهد فيكون

هو الأعظم في الدرجات، وهو الذي لا يساويه غيره عند الله تعالى، وبالتالي

هو المقدم على غيره.

٣- قوله تعالى: ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا

مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾^(٢).

قال العلامة: روى ابن عبد البر وغيره من السنّة في الآية: إن النبي

صلى الله عليه وآله ليلة أسري به، جمع الله بينه وبين الأنبياء.

ثم قال له: سلهم يا محمد، على ماذا بعثتم؟

قالوا: بعثنا على شهادة أن لا إله إلا الله، وعلى الإقرار بنبوتك،

والولاية لعلي بن أبي طالب.^(٣)

١- نهج الحق وكشف الصدق للحلي ص ١٨٢، (الدر المنثور للسيوطي ج ٣ ص ٣٦٨، ٢١٩.

وتفسير ابن كثير ج ٢ ص ٢٤١، وتفسير الطبري ج ١٠ ص ٦٨، والتفسير الكبير للرازي ج ١٦

ص ١٠ وأسباب النزول للواحي ص ١٣٩.

٢- الزخرف/٤٥.

٣- نهج الحق وكشف الصدق للعلامة الحلي ص ١٨٣ ومناقب الخوارزمي ص ١٢١، وشواهد التنزيل ←

وجه الاستدلال:

من الواضح أن الأنبياء اقرّوا بالولاية للإمام علي عليه السلام لأنهم علموا من قبل - بما أخبرهم الله تعالى - بأنه هو الولي بعد النبي صلى الله عليه وآله، ومعنى هذا أن الله تعالى قد جعله خليفة لخاتم الرسل صلى الله عليه وآله، فلا بد أن يكون هو الإمام والولي بعد نبي الإسلام صلى الله عليه وآله.

٤. قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ (١).

قال العلامة: روى الجمهور عن مجاهد:

إن الذي جاء بالصّدق وصدّق به هو عليّ بن أبي طالب عليه السلام (٢).

وجه الاستدلال:

إنّ هذا الحديث روي بطرق متعددة من طرق العامّة، ومنها عن مجاهد. والمقصود روايته عن النبي صلى الله عليه وآله.

كما روي عن طريق أهل البيت عليهم السلام (٣).

فإذا كان الإمام علي عليه السلام - بشهادة القرآن الكريم - قد جاء بالصّدق،

→ للحاكم المسكاني ج ٢ ص ١٥٦، وذخائر العقبى لمحّب الدين الطبري ص ٦٩، وكنز العمال للمتقي

الهندي ج ٦ ص ١٥٦ وجمع الزوائد للهيتمي ج ٩ ص ١٠٨.

١ - الزمر/٣٣.

٢ - نهج الحق للعلامة الحلّي ص ١٨٥ وروح المعاني للآلوسي ج ٣٠ ص ٣ والنذر المنتور للسيوطي

ج ٥ ص ٣٢٨، وقال: أخرجه ابن مردويه، عن أبي هريرة، وكفاية الطالب ص ٢٣٣ وقال: قلت:

هكذا ذكره ابن عساكر في تاريخه، ورواه عن جماعة من أهل التفسير بطرقه.

٣ - غاية المرام - السيد هاشم البحراني ج ٤ ص ٢٥٢.

الفصل الثامن عشر: عشرون آية في الولاية..... ٣٤٧

فهو صادق بلا شك فيما ادّعه من الإمامة والخلافة لنفسه بعد النبي ﷺ مباشرة.

وقد ثبت أنه ﷺ ادّعا استخلاف النبي ﷺ له، فيكون هو الإمام والخليفة بدعواه ذلك بتأييد وتصديق من القرآن الكريم.

٥. قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾^(١).

قال العلامة: قال الثعلب: نزلت في علي ﷺ^(٢).

وجه الاستدلال:

دلّت الآية - بضميمة الحديث - على الإمامة للإمام عليّ ﷺ من عدة جهات:

أولاً: لأن الله تعالى يحبُّ الإمام عليّاً ﷺ دائماً، وذلك لدلالة الفعل المضارع (يُحِبُّهُمْ) على استمرارية حبِّ الله تعالى له ﷺ، فيدلّ على عصمته ﷺ، لأنه لما يكون محبوباً لله تعالى بصورة مستمرة، فلا بدّ أن يكون دائماً مطيعاً لله أيضاً، لأن الله تعالى لا يحبُّ العاصي له في حال عصيانه.

١ - المائة/٥٤.

٢ - نهج الحق للعلامة الحلبيّ ص ١٨٦ وفي التفسير الكبير للرازي ج ١٢ ص ٢٠، والمستدرک للحاكم الحسكاني ج ٣ ص ١٣٢، وكنز العمال للمقيّ الهندي ج ٥ ص ٤٢٨، وج ٦ ص ٣٩١ و ٣٩٣.

وإذا ثبتت له العصمة ثبتت له الحجية والامامة، فهو الإمام - أولاً - من هذه الجهة.

ثانياً: لأنه ﷺ يحب الله تعالى دائماً أيضاً، بدلالة استمرارية فعل المضارع (يُحِبُّونَهُ)، ويأتي الكلام بعينه فيدل على عصمته أيضاً وإمامته. إضافة إلى أنه هو المجاهد الذي لا يخاف لومة لائم، وهو الذي أوتي فضل الله تعالى، فلا شك - حينئذ - يكون هو الأولى من غيره لإمامة الأمة..

هل رضي الله عن كل أصحاب بيعة الشجرة؟

ويُتَّضح من هذا ضعف الاستدلال بقوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾^(١)، حيث استدل بها على خلافة غير الإمام علي ﷺ أو استدل بها على عدالة الصحابة أجمعهم!!

ويُضَعَّف الاستدلال بهذه الآية على ذلك، لأن كلمة: (رضي) فعل ماض لا يدل على الاستمرارية، فقد يكون الله تعالى رضي عنهم حين مبايعتهم، ورضي لهم المبايعة، ولكنه سبحانه لم يرض عنهم وهم يقتربون المعاصي المسجلة عليهم بعد ذلك، وهي كثيرة لا تحفى على سائر من راجع التاريخ. ثم إنه سبحانه رضي عن المؤمنين منهم وليس عن المناهقين أو الذين لم يشتوا على إيمانهم، فمن الواضح أن الله تعالى لم يرض عن ابن العادية الذي حضر بيعة الشجرة ثم كان في جيش معاوية وقتل (عمار بن ياسر)، فقد صرح النبي ﷺ

بانه من الفئة الباغية، وذلك في خطابه لعمّار بقوله ﷺ: (تقتلك الفئة الباغية).
 فلا تكون كلمة: (رضي) شاملة لرضا الله تعالى عنهم جميعاً ودائماً،
 بخلاف قوله: (يحبهم) الفعل المضارع الدالّ على الاستمرارية لهذه المحبة.
 ٦- قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ
 خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ (١).

قال العلامة: روى الجمهور عن ابن عباس، قال: لما نزلت هذه الآية،
 قال رسول الله ﷺ: (هم أنت يا علي وشيعتك، تأتي أنت وشيعتك راضين
 مرضيين، ويأتي أعداؤك غضاباً مقمحين). (٢)
 وروى عدة من الأعلام والحفاظ، بأسناد وطرق صحيحة، أو موثوقة،
 عن جابر، وابن عباس، وغيرهما: أن الآية نزلت في علي وشيعته. وروى
 الأعلام (٣) عن رسول الله الأعظم ﷺ: بأن (خير البرية علي وشيعته).

وجه الاستدلال:

إن الإمام علياً عليه السلام - بشهادة القرآن والحديث - هو خير البرية، أي
 بعد النبي ﷺ، لأن النبي ﷺ هو الأفضل دون شك، وذلك لنبوته وإمامته
 على الناس وعلى الإمام علي نفسه، ولقول الإمام علي عليه السلام: (أنا عبد من عبيد
 محمد ﷺ).

١ - البينة/٧.

٢ - نهج الحق وكشف الصدق للعلامة الحلبي ص ١٨٩.

٣ - منهم السيوطي في الدر المنثور ج ٦ ص ٣٧٩، وابن حجر في الصواعق ص ١٥٩، ٩٦، والأوسي في تفسيره
 ج ٣٠ ص ٢٠٧، والطبري في تفسيره ج ٣ ص ١٧١، والحسكاني في شواهد التنزيل ج ٢ ص ٣٥٦.

ولاشك أن العقل يحكم بإمامة أفضل البرية على سائر البرية، فيلزم أن يكون الإمام علياً عليه السلام هو الخليفة والإمام على سائر الناس والبرية.
 ٧. قوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ ^(١).

قال العلامة: روى الجمهور، عن ابن عباس، قال: كنت جالساً مع فئة من بني هاشم عند النبي صلى الله عليه وآله، إذ انقضَّ كوكب.
 فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: (مَنْ انقضَّ هذا النَّجْمُ فِي مَنْزِلِهِ، فَهُوَ الْوَصِيُّ مِنْ بَعْدِي).

فقام فئة من بني هاشم، فنظروا فإذا الكوكب قد انقضَّ في منزل علي بن أبي طالب.

فقالوا: يا رسول الله، لقد غُويتَ في حُبِّ علي، فأنزل الله: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ^(٢).

وجه الاستدلال:

لعلَّ المراد من الكوكب المُنْقَضِّ هو شهاب من الشهب التي تهوي إلى الأرض بعض الأحيان.

ووجه الاستدلال: هو تصريح النبي صلى الله عليه وآله بالوصية للإمام علي عليه السلام ثم نزول الآية في هذا الشأن، فيكون الإمام علي عليه السلام وصياً للنبي صلى الله عليه وآله.

١ - النجم / ١.

٢ - نهج الحق للحلي ص ١٩٢ وكفاية الطالب للكنجي الشافعي ص ٢٦١، وقال: هكذا ذكره محدث الشام - أي ابن عساكر - في ترجمة علي، وشواهد التنزيل للحاكم الحسكاني ج ٢ ص ٢٠١، بعدة أسانيد، وميزان الاعتدال للمذهبي ج ٢ ص ٤٥، مناقب ابن المغازلي ص ٢٦٧.

وكان تماماً أوصى له هي الإمامة والخلافة، كما أخبر الإمام عليه السلام بذلك وكما دلت الآيات والروايات الكثيرة.

٨. قوله تعالى: ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا * فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا * فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا * فَأَثَرُنَّ بِهِ نَقْعًا * فَوسَطْنَ بِهِ جَمْعًا * إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ * وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ * وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ * أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعِثَ رَافِعًا فِي الْقُبُورِ * وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ * إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾.

قال العلامة: أقسم الله تعالى بخيل جهاده، في غزوة السلسلة، لما جاء جماعة من العرب واجتمعوا على وادي الرملة، لبييتوا النبي صلى الله عليه وآله بالمدينة. - أي ليغتالوه - .

فقال النبي صلى الله عليه وآله لأصحابه: مَنْ لهؤلاء؟

فقام جماعة من أهل الصفة.

فقالوا: نحن، فوكل علينا مَنْ شئت.

فأقرع بينهم، فخرجت القرعة على ثمانين رجلاً منهم، ومن غيرهم. فأمر أبا بكر بأخذ اللواء، والمضي إلى بني سليم، وهم بطن الوادي، فهزموهم وقتلوا جمعاً من المسلمين، وانهمز أبو بكر. وعقد لعمر، وبعثه، فهزموه، فساء النبي صلى الله عليه وآله.

فقال عمرو بن العاص: إبعثني يا رسول الله، فأنفذه، فهزموه. وقتلوا جماعة من أصحابه.

وبقي النبي صلى الله عليه وآله أياماً يدعو عليهم.

٣٥٢ أربعون آية

ثم طلب أمير المؤمنين عليه السلام وبعثه إليهم، ودعا له، وشيَّعه إلى مسجد الأحزاب، وأنفذ معه جماعة، منهم أبو بكر، وعمر، وعمرو بن العاص، فسار الليل، وكمن النهار، حتى استقبل الوادي من فمه.

فلم يشكَّ عمرو بن العاص: أنه يأخذهم.
فقال لأبي بكر: هذه أرض سباع، وذئاب، وهي أشدُّ علينا من بني سليم، والمصلحة أن نعلو الوادي. وأراد إفساد الحال.

وقال: قل ذلك لأمر المؤمنين.
فقال له أبو بكر، فلم يلتفت إليه.
ثم قال لعمر، فلم يجبه أمير المؤمنين عليه السلام. وكبس على القوم الفجر، فأخذهم..

فأنزل الله تعالى: ﴿والعاديات ضبحاً﴾ .. السورة. واستقبله النبي صلى الله عليه وآله، فنزل أمير المؤمنين.

قال له النبي صلى الله عليه وآله: لولا أن أشفق أن يقول فيك طوائف من أمتي ما قالت النصرارى في المسيح، لقلتُ فيك اليوم مقالاً لا تمرّ بملأ منهم إلا أخذوا التراب من تحت قدميك، اركب، فإن الله ورسوله عنك راضيان^(١).

وجه الاستدلال:

لقد أمرَ النبيُّ الإمامَ علياً عليه السلام على أبي بكر وعمر ولم يأمرهما عليه، لا في هذه الغزوة ولا في غيرها، كما لم يُأمر أحداً عليه عليه السلام في سائر

١ - نهج الحق ص ١٩٢ وتفسير أبي الفتح الرازي ج ١٢ ص ١٥٠. وجمع البيان للطبرسي ج ١٠ ص ٥٢٨. وبحار الأنوار للمجلسي ج ٢١ ص ٦٦ رواه عن الصحابة، وأئمة أهل البيت عليهم السلام.

الفصل الثامن عشر: عشرون آية في الولاية..... ٢٥٢

الغزوات، مما يدلُّ على انه طالما هو معهم فهو الأمير عليهم، ولا يكون احدٌ منهم أميراً عليه، ويدلُّ هذا على إمارته عليه السلام عليهم بعد النبي صلى الله عليه وآله أيضاً.

إضافة إلى أن نهاية الحديث يدلُّ على الأفضلية الكبرى للإمام علي عليه السلام، حيث يخشى النبي صلى الله عليه وآله أن يصرِّح بذلك فيغلو المسلمون، ويقولون فيه عليه السلام ما قالت النصرارى في النبي عيسى عليه السلام من الألوهية.

وأىُّ مكانة هذه للإمام علي عليه السلام اذ لو صرَّح النبي صلى الله عليه وآله بها لأخذ الناس التراب من تحت أقدامه عليه السلام !!

فهذا كلُّه يبيِّن أفضليته على من سواه بعد النبي صلى الله عليه وآله ويدلُّ على إمامته عليه السلام بعده صلى الله عليه وآله.

٩ قوله تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزُرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنَوَانٌ وَغَيْرُ صِنَوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفِّضُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّا فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾^(١).

قال العلامة: قال جابر الأنصاري: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: (الناس من شجر شتى، وأنا وأنت يا علي من شجرة واحدة)^(٢).

١ - الرعد/ ٤.

٢ - نهج الحق للعلامة الحلبي ص ١٩٥ ورواه عدة من الأعلام في كتبهم، منها، الصواعق لإبن حجر ص ٧٣ وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١٧١، ومستدرک الصحيحين للحاكم المسكاني ج ٢ ص ٢٤١، وقال المساكم: هذا حديث صحيح الإسناد، وذخائر العقبى لمحّب الدين الطبري ص ١٦، والذّر المنتور للسيوطي ج ٤ ص ٤٤، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج ٩ ص ٢٨٣.

وجه الاستدلال:

لقد ورد هذا الحديث في تفسير هذه الآية بمناسبة كلمة: (صنوان) فيها، حيث يقال ذلك للنخلتين او الشجرتين اللتين تفرّعتا من أصل واحد. ولقد وردت احاديث بأن الإمام علياً عليه السلام من النبي ﷺ كالصنوّ من الصنوّ او هما صنوان.

و وجه الاستدلال بالآية والحديث هو: لما يكون الإمام علي عليه السلام والنبي ﷺ من شجرة واحدة، فهو الأولى أن يحلّ محلّه في إمامة الأمة. وهذا الحديث وأمثاله يفيد مفاد آية المباهلة، حيث اعتبرت الإمام علياً عليه السلام نفس النبي ﷺ، كما قال تعالى: ﴿وأنفسنا وأنفسكم﴾.

١٠ قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾^(١).

قال العلامة: وهو علي عليه السلام^(٢) انتهى.

وجه الاستدلال:

الإصطفاء يعني: الإختيار، وقد جاءت الروايات بان الذي اصطفاه الله تعالى هو الإمام علي والأئمة عليهم السلام^(٣).

و قد تضافرت الروايات في مصادر الشيعة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام

١ - فاطر/٣٢.

٢ - نهج الحق وكشف الصدق للحلي ص ١٩٦ .

٣ - شواهد التنزيل للحاكم الحسيني ج ٢ ص ١٠٣، وبتايع المؤدّة للقتدوزي الحنفي ص ١٠٣.

في ذلك، ففي الكافي عن سالم قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله (عزَّ وجل): ﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله﴾؟

قال: (السابق بالخيرات: الإمام، والمقتصد: العارف للإمام، والظالم لنفسه: الذي لا يعرف الإمام) ^(١).

فإذا كان الله تعالى قد اختار الإمام علياً عليه السلام و اصطفاه وأورثه علم الكتاب، وكان هو السابق بالخيرات، فهذا دليل على إمامته مباشرة، لأن ما وقع عليه الاختيار من عند الله تعالى فهو المختار.

١١- قوله تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ

عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ ^(٢).
قال العلامة: نزلت في علي عليه السلام ^(٣).

وجه الاستدلال:

جاء في الحديث: سُئِلَ (الإمام علي عليه السلام) - وهو على المنبر في الكوفة- عن قوله تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾، فقال: (اللَّهُمَّ غُفْرًا، هذه الآية نزلت في وفي عمي حمزة وفي ابن عمي عبدة بن الحرث بن عبد المطلب، فأما عبدة فقضى نحبه شهيداً يوم بدر، وحمزة قضى

١- الكافي للشيخ الكليني - ج ١ - ص ٢١٤ .

٢- الأحزاب / ٢٣ .

٣- نهج الحق وكشف الصدق للعلامة الحلبي ص ١٩٦ ويتابع الموثقة للمقدوزي ص ٩٦. والصواعق المحرقة ص ٨٠، وشواهد التنزيل للحسكاني ج ١ ص ١، وكفاية الطالب للكنجي الشافعي ص ١٤٩.

نحبه شهيداً يوم أحد، وأمّا أنا فانتظرُ أشقاها يخضب هذه من هذه - وأشار إلى لحيته ورأسه - عهدُ عهدَه إليَّ حبيبي أبو القاسم عليه السلام.^(١)
 إنّ هذا الحديث وأمثاله ممّا يشير إلى علاقة بين الإمام وآيات القرآن الكريم، يدلّ على شهادة كتاب الله تعالى على صدق الإمام علي عليه السلام، فيلزم تصديق ادّعائه الإمامة باستخلاف النبي صلى الله عليه وآله له والقول بإمامته.

١٢. قوله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا

وَمَنْ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^(٢).

قال العلامة: هو علي عليه السلام.^(٣)

و قال في هامش كتاب (نهج الحقّ وكشف الصدق): وأنت تعلم أن الدعوة على بصيرة، وكمال الإتياع للنبي صلى الله عليه وآله في أقواله وأفعاله، موجبان لانتشار الدعوة للدين، كما يريد الله تعالى، فيكون الكامل الإتياع، الداعي على بصيرة أحقّ بمنصب النبي صلى الله عليه وآله، وأولى بخلافته.

وجه الاستدلال:

لقد جاء في الروايات أن المراد من الآية هو الإمام علي عليه السلام، ففي الكافي عن الإمام الباقر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنْ اتَّبَعَنِي﴾، قال: (ذاك رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام

١ - الصواعق المحرقة لابن حجر الهيتمي ص ٨٠.

٢ - يوسف/١٠٨.

٣ - نهج الحقّ وكشف الصدق ص ١٩٦، شواهد التنزيل للحاكم الحسيني ج ١ ص ٢٨٦، بأسانيد متعددة.

والأوصياء من بعدهم)^(١).

ويتّضح لنا من خلال هذا الحديث والآية الشريفة: أن الله تعالى أمر نبيّه ﷺ أن يُبلِّغَ الناس: بأنّ الذي يتّبعه و يدعو إلى الله على بصيرة هو الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.

ومنّ يكون كذلك فدعوته حقّة، فتكون دعوة الإمام عليه السلام للناس لإمامته هي دعوة حقّة ينبغي تصديقه بها.

وهكذا، يكون الإمام علي عليه السلام هو من يتلو تلوّ الرسول ﷺ وهو من ينبغي أن يحلّ محلّه فيكون هو أولى بخلافته.

١٣. قوله تعالى: ﴿وَأَجْعَلْ لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾^(٢).

قال العلامة: هو علي بن أبي طالب عرضت ولايته على إبراهيم عليه السلام فقال: اللهم اجعله من ذريّتي ففعل الله ذلك^(٣).

وجه الاستدلال:

إنّ ما نقله العلامة هو ما روي نصّاً عن الإمام الصادق عليه السلام في تفسير الآية.

وقد دلّت الآية بضميمة الحديث على إمامة الإمام عليه السلام من جهتين:

أولاً: من حيث ولايته التي عرضت من قبل علي جدّه النبي إبراهيم

١ - الكافي للشيخ الكليني - ج ١ - ص ٤٢٥.

٢ - الشعراء / ٨٤.

٣ - نهج الحق وكشف الصدق للحلي ص ١٩٩ وكشف الغمّة لابن أبي الفتح الإرزبلي - ج ١ - ص ٣٣١، مناقب المرتضوي ص ٥٥.

عليه السلام، فقد اختاره الله تعالى للولاية من قبل.

ثانياً: من حيث تعبير القرآن الكريم عنه عليه السلام بـ (لسان الصدق)، فهو الصادق بهذه الآية، ويلزم تصديق دعواه الإمامة، ولاشك أنه عليه السلام ادعى الإمامة والولاية، فتكون الآية مؤيدة لصدقه في دعواه من انه هو الإمام حقاً.

١٤- قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾^(١).

قال العلامة: دعاكم لولاية علي بن أبي طالب^(٢).

وجه الاستدلال:

روي ذلك عن أبي الربيع الشامي قال: سألتُ أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله (عزَّ وجل): ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾؟ قال: (نزلت في ولاية علي عليه السلام)^(٣).

نلاحظ الآية وهي تُوجب على المؤمنين الاستجابة لدعوة النبي ﷺ. ونلاحظ الحديث يُوضِّح أن الدعوة في ذلك هي إلى الولاية للإمام علي عليه السلام.

فيلزم قبول ولايته عليه السلام.

١ - الأنفال / ٢٤.

٢ - نهج الحق وكشف الصدق للعلامة الحلبي ص ٢١٢.

٣ - تفسير نور الثقلين للشيخ الحويزي ج ٢ ص ١٤١ وروي ذلك عن الإمام الباقر عليه السلام أيضاً.

وتكون هذه الآية من آيات الإمامة الداعية إلى إمامة أمير المؤمنين عليه السلام.

١٥. قوله تعالى: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾^(١)
قال العلامة: عن علي عليه السلام: هم أنا وشيعتي^(٢).

وجه الاستدلال:

دلّت الآية المباركة بضميمة الحديث الشريف على أن الإمام علياً عليه السلام يهدي بالحق.

ثم إنه يلزم عقلاً وشرعاً أن يُتَّخَذَ الهادي بالحق وإلى الحق إماماً ومتبوعاً لا تابعاً ومأموماً، قال الله تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾^(٣).
بناءً على ذلك فعلي بن أبي طالب عليه السلام هو الإمام والخليفة الذي يلزم إتباعه.

١٦. قوله تعالى: ﴿يُنَبِّئُ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ لِأَنَّ تَفْعُلُوا إِلَيَّ أَوْلِيَاءِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾^(٤).

١ - الأعراف / ١٨١.

٢ - نهج الحق وكشف الصدق للعلّمي ص ٢٠٢ و يتابع المودّة ص ١٠٩، وشواهد التنزيل للحسكاني

ج ١ ص ٢٠٤.

٣ - يونس / ٣٥.

٤ - الأحزاب / ٦.

قال العلامة: هو علي لأنه كان مؤمناً مهاجراً ذا رحم^(١).

وجه الاستدلال:

لقد جاء في الحديث عن الإمام الحسين بن علي عليه السلام قال: (لما أنزل الله تعالى: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾، سألت رسول الله عن تأويلها، فقال: (أنتم أولوا الأرحام، فإذا متُّ فأبوك عليّ أولى بي وبمكاني، فإذا مضى أبوك، فأخوك الحسن أولى به، فإذا مضى الحسن، فأنت أولى به.. إلى آخر الحديث).^(٢)

وجه الاستدلال: إن مكانة النبي صلى الله عليه وآله واضحة لدى المسلمين، فهو الأولي بهم من أنفسهم، وقد بينت الآية والحديث أن الإمام علياً عليه السلام أولى بالنبي بمكانه من غيره، فيكون هو الإمام من بعده. كما إن قوله تعالى: ﴿وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾^(٣) - في آية المباهلة - دلّ على أن الإمام علياً عليه السلام هو نفس النبي بالمنزلة، إلا ما خرج بالدليل، فيكون هو الأولي بهم من أنفسهم أيضاً. ويلزم من ذلك إتباعهم له واقتدائهم به واتخاذهم له إماماً، كما هو حالهم مع النبي صلى الله عليه وآله.

١ - نهج الحق ص ٢٠٢ و - راجع: ابن مردويه في كتاب المناقب، ونقله في إحقاق الحق ج ٣ ص ٤١٩ عن الترمذي في مناقب المرتضوي ص ٦٢. اتفاق المفسرين على أن الآية نزلت في علي لأنه هو

الذي كان مؤمناً ومهاجراً وابن عمه صلى الله عليه وآله.

٢ - بحار الأنوار للعلامة للمجلسي ج ٣٦ ص ٣٤٤.

٣ - آل عمران ٦١.

١٧. قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمَشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^(١).

قال العلامة الحلبي: عن الحسن البصري قال: (المشكاة) فاطمة، و(المصباح) الحسن والحسين، و(الزجاجة كأنها كوكب) قال: كانت فاطمة كوكباً درياً بين نساء العالمين، (توقد من شجرة مباركة) قال: الشجرة المباركة: إبراهيم، (لا شرقية ولا غربية)، لا يهودية ولا نصرانية (يكاد زيتها يضيء) قال: يكاد العلم ينطف منها، (ولو لم تمسه نار، نور على نور) قال: فيها إمام بعد إمام، (يهدي الله لنوره من يشاء) قال: يهدي الله لولايتهم من يشاء^(٢).

وجه الاستدلال:

لعلّ العلامة نقل الرواية عن الحسن البصري دون ذكر لمن ينقل عنه البصري، لأنه (رحمه الله) يريد مخاطبة القوم الذين يوثقون البصري ويقبلون كلامه مستنداً أو مُرسلاً.

فإن ما حكاه الحسن البصري هو حديث منسوب إلى عدة من المعصومين، ومن ذلك ما رواه علي بن جعفر، عن الإمام موسى بن جعفر

١ - النور/٣٥.

٢ - نهج الحق وكشف الصدق للحلي ص ٢٠٧.

عليه السلام قال: سألت أبا الحسن عن قول الله (عزَّ وجل): (كمشكاة فيها مصباح المصباح)، قال: (المشكاة) فاطمة عليها السلام، و(المصباح) الحسن والحسين عليهما السلام و(الزجاجة) كأنها كوكب دري) قال: كانت فاطمة كوكباً درياً بين نساء العالمين، (يوقد من شجرة مباركة) إبراهيم (لا شرقية ولا غربية) لا يهودية ولا نصرانية، (يكاد زيتها يضيء) قال: كاد العلم ينطق منها، (ولو لم تمسه نار نور على نور) قال: منها إمام بعد إمام (يهدي الله لنوره من يشاء) يهدي الله لولايتنا من يشاء^(١).

ووجه الاستدلال في ذلك هو أن الحديث أول معنى (النور) إلى معنى (الإمام) وأن الله تعالى يهدي الخلق لولايتهم عليه السلام.

ومعنى هذا: إن الله تعالى يريد لخلقه أن يتخذوا الإمام علياً عليه السلام والمعصومين من بعده عليه السلام أولياء وأئمة إماماً بعد إمام.

١٨- قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٢).

قال العلامة: روى الحافظ، محمد بن موسى الشيرازي، من علماء الجمهور، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿فاسألوا أهل الذكر﴾، قال: هم: محمد، وعلي، وفاطمة، والحسن، والحسين. هم أهل الذكر، والعلم، والعقل، والبيان. وهم أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة، والله ما

١ - غاية المرام للسيد هاشم البحراني ص ٣٦٥. مناقب ابن المغازلي ص ٣١٧.

٢ - النحل / ٤٣.

سُمِّيَ الْمُؤْمِنُ مُؤْمِنًا إِلَّا كِرَامَةً لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ^(١).

وجه الاستدلال:

إكتفى العلامة بنسبة الحديث إلى ابن عباس عن طريق علماء الجمهور لأنه حُجَّةٌ عَلَى الْقَوْمِ.

والمقصود: صدور الحديث عن النبي ﷺ و قد حكاها ابن عباس .
وجاء عن طريق أهل البيت عليه السلام عن أبي جعفر الباقر عليه السلام في قول الله (عزَّ وجلَّ): ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ قال: رسول الله ﷺ: (الذكر أنا، والأئمة عليه السلام أهل الذكر)^(٢).

و وجه الاستدلال في ذلك: هو أن الله تعالى أمرنا بالرجوع إلى أهل البيت عليه السلام في مطلق السؤال، ممَّا يعني مقدرتهم عليه السلام على إجابتنا على مطلق السؤال وفي كل شيء.

ويدلُّ ذلك على أعلميتهم المطلقة على الخلق، ممَّا يعني لزوم الرجوع إليهم والقول بإمامتهم، فهم الذين ورثوا العلم من جدِّهم رسول الله ﷺ .

١٩. قوله تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ * عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ^(٣).

قال العلامة الحلبي: عن الحافظ في قوله تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ عن النبأ

١ - نهج الحق وكشف الصدق للحلبي ص ٢١٠ وتفسير روح المعاني للألوسي ج ١٤ ص ١٣٤.

وتفسير الطبري ج ١٤ ص ٤٩، وينابيع المودة للقندوزي ص ١١٩ وشواهد التنزيل للمسكاني

ج ١ ص ٣٢٤ في روايات عديدة.

٢ - تفسير نور الثقلين للشيخ الحويزي - ج ٣ - ص ٥٥.

٣ - النبأ / ١-٢.

العظيم ﷺ، بإسناده عن السدي عن رسول الله ﷺ أنه قال: (ولاية عليٍّ، يتساءلون عنها في قبورهم، فلا يبقى ميّت في شرق ولا في غرب، ولا في برّ ولا في بحر، إلاّ ومُنكرٌ ونكيرٌ يسألانه عن ولاية أمير المؤمنين بعد الموت، يقولون: مَنْ ربُّك؟، وما دينك؟، ومَنْ نبيّك؟، ومَنْ إمامك؟) (١).

وجه الاستدلال:

إذا كان الميّت يُسأل عن إمامه، ويُرَاد به أمير المؤمنين ﷺ، فمفاد هذا أن الإمام عليّاً ﷺ هو الخليفة وهو الإمام بإشارة الآية الكريمة ونَصّ النبي ﷺ.

٢٠. قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمَلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (٢).

قال العلامة: عن ابن مسعود، قال: وقعت الخلافة من الله تعالى لثلاثة نفر: لآدم في قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (٣).

والخليفة الثاني: داود صلوات الله عليه، لقوله تعالى: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا

١ - نهج الحق وكشف الصدق للعلامة الحلبي - ص ٢١١ .

والحافظ هو أبو بكر بن مؤمن الشيرازي، في رسالته: الاعتقاد، على ما في مناقب الكاشفي (راجع

تعليقه إحقاق الحق للرعشي النجفي ج ٣ ص ٤٨٤، وشواهد التنزيل للحاكم الحسكاني ج ٢

ص ٣١٨ .

٢ - النور / ٥٥ .

٣ - البقرة / ٣٠ .

جَعَلْنَاكَ حَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ ﴿١﴾.

والخليفة الثالث: علي بن أبي طالب، لقوله تعالى: ﴿لِيَسْتَخْلَفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ ﴿كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾، يعني: آدم وداود ﴿وَلِيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ﴾ ، يعني: الإسلام، ﴿وَلِيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ﴾، يعني: من أهل مكة: (أمناء)، يعني: من أهل المدينة: ﴿يَعْبُدُونَنِي، لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ يعني: يوحّدونني، ﴿وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ بِوَلَايَةِ عَلِيٍّ، فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾، يعني: العاصين لله ولرسوله (٢).

وجه الاستدلال:

ذكر العلامة الحديث عن ابن مسعود، لما هو واضح من أنه ينقله عن النبي ﷺ، وهو حديث عن طريق الفريق الآخر. وأما الأحاديث عن طريق أهل البيت عليهم السلام: فقد جاء منها عن عبد الله بن سنان قال: (سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله جلّ جلاله: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾؟ قال: (هم الأئمة) (٣) ووجه الاستدلال في ذلك أنه قد اتّضح من خلال الروايات من

١ - سورة ص / ٢٦ .

٢ - نهج الحق وكشف الصدق للعلامة المجلسي ص ٢١١ وشواهد التنزيل للحاكم الحسكاني ج ١ ص ٤١٢، ٤١٣، بإسناده، في عدة روايات .

٣ - الكافي للشيخ الكليني ج ١ / ص ١٩٤.

الطريقين بأن المراد من قوله تعالى: (ليستخلفنهم) هو الإمام علي عليه السلام والأئمة من ولده عليهم السلام، فهم الخلفاء الذين استخلفهم الله تعالى في الأرض، فلا بدّ من الإلتزام بخلافتهم وإمامتهم عليهم السلام.

في ختام هذا الفصل

أيها القارئ الكريم: لا بدّ من الإلتباه إلى أن كثرة ما جاء من الآيات والأحاديث في شأن الإمامة لأهل البيت عليهم السلام هو بنفسه يعدّ دليلاً على صحّة هذا الأمر، بغض النظر عن صحّة بعض الأحاديث أو ضعفها، فإن بعضها يعضد بعضاً في تمامية الاستدلال، فربّما يُضعف حديثاً أو تأويل آية عند البعض، إلّا أن المنصف إذا رجع إلى الجميع من حيث الجميع لا يشكّ من القول بصحّة ما تؤول إليه الآيات من الإشارة إلى لزوم اتّخاذ أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام إماماً وخليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله.

لاسيّما إذا ضمّ هذه المجموعة من الآيات إلى تلك الأخرى التي جعلنا لها فصلاً منفصلاً ومستقلّة.

كما لا أنسى أن أذكر أنني لم استوف جميع الآيات القرآنية التي تحدّثت عن الإمامة والخلافة، فلا شكّ من وجود آيات أخرى دلّت على ذلك من قريب أم بعيد، فيمكن لمن يريد التفصيل أكثر فأكثر أن يراجع الكتب الواسعة التفصيل في ذلك.

هذا والحمد لله ربّ العالمين.

الفصل التاسع عشر

إنصاف العقل والضمير لولاية الأمير عليه السلام

الإنصاف لولاية أهل البيت عليهم السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم:

لقد أودع الله تعالى الإنسان ميزاناً يميز به الحقّ عن الباطل والصواب عن الخطأ، وذلك هو العقل، الذي يحتجّ الله تعالى به على الإنسان، لأنه حُجَّتَه الباطنة عليه، كما يحتجّ عليه بالأنبياء عليهم السلام لأنهم حُجَّتَه الظاهرة عليه. لقد عُدَّ العقل الحُجَّةَ الأولى، لأن به تثبت سائر الحُجَجِ الأخرى فبالعقل تُصدَّق آيات الله سبحانه وحُجَجُ أنبيائه عليهم السلام، وبه يُكلَّف الإنسان بالشرعة، ويخاطب بالقانون، و به يُثاب على أداءه الواجب ويُعاقب على المعصية.

إنّ العقل هو الميزان الأوّل الذي يُوزن الإنسان به حقيقته ويُنصف به نفسه، فيعرف حقّها من باطلها وزينها من شينها وجميلها من قبيحها. ثمّ إنّ من أهمّ ما ينبغي إعمال العقل فيه وتأمّله وتعقله بصورة جيّدة ودقيقة هو موضوع العقيدة والدين، والمذهب الذي يذهب إليه الإنسان والمشرب الذي ينهل منه فكره وسلوكه، حتى يكون على بصيرة من أمره

ويفوز في دنياه وآخرته.

ومما ينبغي أن يُقال بعد هذه المقدمة: إننا نجد المسلمين على مذاهب متعدّدة ومدارس كثيرة، تختلف في كثير من فروعها المستقاة من أصولٍ قد اختلف فيها أيضاً، ومن أهمّ وأجلى مصاديق ذلك هو اختلافهم في موضوع الإمامة والخلافة، والقيادة الإسلامية بعد مرحلة النبوة ورسالة النبي ﷺ .

لقد بُحث هذا الموضوع تاريخياً وروائياً وتفسيراً قرآنياً وغير ذلك.

ومن الجهات التي ينبغي أن يُلاحظ ويُبحث هي جهة الرجوع إلى إنصاف النفس والعقل، والاستماع إلى نداء الضمير الحيّ والوجدان، بعيداً عن التطرّف والتعصّب وصمّ الآذان، والرجوع إلى الوقائع وتمحيصها ومقارنتها بمقائيق ووقائع أخرى مفعول عنها ومعتّم عليها وعرضها على إنصاف العقل والنفس .

لقد أردتُ في هذا الفصل دعوة العقل والضمير للإنصاف في موضوع خلافة أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام - الموضوع البالغ في الأهمية - للوقوف على الصواب واجتناب الخطأ الخطير في تحديد مسار وخطى العقيدة للمسلم المنصف، وقد ذكرت بعض النقاط التي ينبغي التأمل وإعمال العقل والضمير فيها، وبعد ذلك ليُنصف الإنسان نفسه، ويكون الأمر بينه وبين ضميره وعقله وبينه وبين ربّه تعالى .

في هذا الفصل نريد أن نحكم العقل والإنصاف في أمور تتعلق بحكمة الله سبحانه وتعالى، وعقلانية رسوله ﷺ ومصالحه الأمتة ومصالحتنا نحن أيضاً، ونراجع عقولنا وضمائرنا ووجداننا لنرى ما هو الإنصاف في ذلك.

إنصافنا والقرآن الكريم

وقبل الوقوف على النقاط التي نريد إنصاف أنفسنا منها، نستعرضُ بعض الآيات القرآنية الداعية الى ضرورة التأمل وإعمال الفكر والعقل وإنصاف النفس والضمير، فيما يتخذه الإنسان من قرارات في حياته اليومية وفي معتقداته. ثم نرى هل أنصفنا القرآن من أنفسنا؟، وهل لبينا نداءه؟ وهل أثرنا العقول؟ وهل..؟ وهل..؟.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾^(١).

فلا شك أن القرآن الكريم هو الكتاب الذي يهدي إلى السبيل الأقوم، وهو الذي يريد أن نستمع القول فننتبع أحسنه، فلننصف أنفسنا ونرى هل حقاً اهتدينا لهذا السبيل الأقوم؟ لنكون من المبشرين ومن الذين يعملون الصالحات وممن لهم الأجر الكبير؟ أم عرضنا عنه وجعلناه وراء ظهورنا؟، كما قال تعالى: ﴿وَأَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٢).

وسوف يشكونا رسول الله ﷺ الى ربنا ويقول: ﴿يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾^(٣).

فلكي نكون ممن اهتدى بالسبيل القرآني الأقوم، وحتى لا نكون ممن

١ - الإسراء / ٩ .

٢ - البقرة / ١٠١ .

٣ - الفرقان / ٣٠ .

نَبَذَ كِتَابَ اللَّهِ تَعَالَى وَرَاءَ ظَهْرِهِ، وَلَا نَكُونُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ اتَّخَذَ كِتَابَ اللَّهِ مَهْجُورًا، لِنَقْفِ عَلَى الْحَقِيقَةِ وَنَعْرِفِ الْوَاقِعَ.

فتعال معي أيها القارئ المنصف: لتتأمل بعض آيات كتاب الله سبحانه وتعالى ونتحاكم إليها، ونُنصف أنفسنا منها، وهذه بعض تلك الآيات:
 قال سبحانه تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾^(١).

أليست هذه الآية تدعونا للسير في الأرض، والتأمل فيما حدث عليها، بقلوب واعية، وآذان صاغية وأبصار نافذة، أم نغلق باب التفكير والتعقل على قلوبنا وأسماعنا فتكون القلوب قد عمّت وعُشيت وهي في الصدور؟!؟

ويقول سبحانه: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾^(٢).

هل تسمح لنا هذه الآية أن نقول: إن آبائنا وأجدادنا ساروا على هذا النهج وسكتوا عما كان فيه، فلا يمكن تخطئتهم في سيرهم؟!.

ألا يمكن أنهم غفلوا عن الحق؟ أو أنهم قالوا في آبائهم ما نقوله الآن فيهم، ثم تهاونوا بالأمر؟ وهل يقبل القرآن الكريم هذا العذر متًا؟!.

وتقول الآية: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ

١ - الحج / ٤٦ .

٢ - البقرة / ١٧٠ .

الفصل التاسع عشر: إنصاف العقل والضمير لولاية الأمير ٢٧٣

لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْعَافِلُونَ ﴿١﴾ .

هل من الإنصاف أن نقول: إن أعيننا أبصرتْ وآذاننا سمعتْ وقلوبنا فقهتْ، فلسنا من العافلين؟، وقد ذكرنا في أحاديثنا في صحاحنا بأن النجاة في سفينة آل محمد ﷺ وفي التمسك بعترته الطاهرة، وأن الضلال في غير ذلك، والحال أننا لا زلنا لا نعتد تفسير العترة للقرآن الكريم ولا نتبع فقهم ودينهم في أحكامهم الشرعية، بل نأخذها من الآخرين؟! !!

ويقول تعالى: ﴿رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ (٢) .

هل حقاً نرضى لأنفسنا أن نتبع جماعة تخلفوا عن ركب آل النبي ﷺ، - سواء تعمّدوا ذلك أم اخطئوا، وسواء حسنت نواياهم أم مكروا - ما لنا و لهم؟ لم لا نعمل بوصية النبي ﷺ ونأخذ الفقه والدين والقوانين القرآنية من العترة التي بيّن النبي ﷺ انه لن يقع افتراق بينها وبين القرآن الكريم.

وإذا وسّوستْ لنا أهوائنا بان النبي ﷺ قال مثل ذلك أو شبيهه في حق أصحابه - بعد فرض إمكانية ذلك - فهل يصحّ أن ندع مثل حديث الثقلين الذي أجمع عليه المسلمون كلهم، وهو باعث لطمانة قلوبنا، ونأخذ بأحاديث صرّح بضعفها أو شكك فيها؟

ويقول تعالى في آيات عديدة:

١ - الأعراف / ١٧٩ .

٢ - التوبة / ٨٧ .

- ١- ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(١).
- ٢- ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾^(٢).
- ٣- ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾^(٣).
- ٤- ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٤).
- ٥- ﴿بَلْ جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾^(٥).
- ٦- ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٦).
- ٧- ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^(٧).
- ٨- ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنَ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾^(٨).
- ٩- ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾^(٩).
- ١٠- ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النَّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ

١- يونس / ٥٥ .

٢- يونس / ٦٠ .

٣- يوسف / ١٠٦ .

٤- النحل / ٧٥ .

٥- المؤمنون / ٧٠ .

٦- النمل / ٦١ .

٧- الشعراء / ٨ - ٦٧ - ١٠٣ - ١٢١ - ١٢٩ - ١٥٨ - ١٧٤ - ١٩٠ .

٨- الحجرات / ٤ .

٩- الفرقان / ٤٤ .

عَظِيمٌ ﴿١﴾ .

هل تكون الأكثرية - بما هي أكثرية- دليلاً على الأحقية، وباعثة
للتعويل عليها والإطمئنان لها وإتباعها دون تحقيق ودون تأمل؟!!

ألا نرى الوحي ينطق بخلاف ذلك؟!!

ألا نرى هذه الآيات وغيرها قد صرّحت أن أكثرهم بسطاء وجُهلاء
يُغْلَفُ عليهم الأمر ولا يعلمون، أو أنهم يعلمون ولكنهم للحق كارهون، بل
إن أكثرهم لا يؤمنون بما ينزل به الوحي، ولا يؤمنون حتى مع وجود الآيات
والدلائل، بل حتى أولئك المؤمنين أيضاً أكثرهم يشركون.

وتؤكد لنا الآيات في سورة الشعراء ثمان مرّات أن أكثرهم ما آمنوا، مع
التأكيد الملّح على وجود الدليل والآية على الحقّ، ومع ذلك كلّ ما كان
أكثرهم مؤمنين .

كيف نعتمد على أكثرهم ونحسبهم ممن يسمعون أو يعقلون، مع أنهم
كالانعام لا يسمعون ولا يعقلون؟!، بل هم أضلّ، لانهم كان بإمكانهم أن
يسمعوا ويعقلوا، ولكنهم عمّوا وصمّوا وطبع على قلوبهم.

كيف يمكن أن ننزّه جميع من كان حول النبي ﷺ ونُحسن الظنّ
الكامل بهم جميعاً، لا، بل نأخذ دين الله وسُنّة رسوله ﷺ من جميعهم؟!
والقرآن يُقرأ علينا ليل نهار: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ
أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ ويصرخ فينا: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ
وَمِنَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النَّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾، وهؤلاء ما

تابوا وما تركوا خداعهم الى أن ماتوا، وذلك لأن الله تعالى قال فيهم:
﴿سُعَدْبُهُمْ مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾.

فمن هؤلاء الذين هم وراء حجرات النبي ﷺ؟ ومن هم أولئك
الذين مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ؟ ومن هم أهل المدينة التي كان يعيش النبي فيما
بينهم؟، وَمَنْ أَوْلَئِكَ الَّذِينَ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ؟.

أيها القارئ المنصف: بعد كل هذا هل يمكن الوثوق بجميعهم؟ وهل
يمكن أن يكونوا كلُّهم كالنجوم بأيِّهم اقتدينا اهتدينا؟! هل نكون مثل أولئك
﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ
بِهَا﴾؟ ونكون مثلهم ﴿كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾!!؟؟

ويقول سبحانه: ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ
يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدَىٰ
فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾^(١)

إنَّ من الفتوة و الشجاعة، بل من الجهاد الأكبر كما يسميه النبي ﷺ
أن يرجع الإنسان إلى نفسه ويأخذ بقيادها وينصفها ويحكم عليها الحق،
وبالتالي يرجع إلى الواقع وينصفها في حكمه، لا أن ينقاد لهوى نفسه ويسلم
تعصياً - من بداية الأمر - لتبريرات النفس الأتارة بالسوء.

فياترى كيف الإنصاف حينئذ في الحكم؟! فلو عرضنا هذه الآية على
أنفسنا وعرضنا أنفسنا عليها لم نكن نحن ممن خوطب بها؟.

لقد أقررنا في تاريخنا رجوع الذين حكموا وتصدوا للخلافة بعد النبي

الفصل التاسع عشر: إنصاف العقل والضمير لولاية الأمير ٣٧٧

ﷺ إلى الإمام علي عليه السلام في كثير من الأمور التي جهلها، من أحكام شرعية أو قضاء أو غير ذلك، إيداناً منهم بجهلهم بقضايا كثيرة، فهداهم الإمام عليه السلام إلى أجوبتها الشافية، ولم نر يوماً رجوعه هو عليه السلام في سؤال أو حكم أو قضية إلى أحد منهم، وذلك لاستغنائه عنهم بما علمه رسول الله ﷺ من العلم الكثير حتى غدا باب مدينة علمه، ونحن مع كل هذا ما اتبعناه بل اتبعنا من لا يهدي إلا أن يهدي !!!

فما لنا، كيف يسوغ لنا ذلك؟ وكيف نحكم، وكيف ننصف أنفسنا بذلك؟!!

ألا نقرأ قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾.

وقوله سبحانه: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجَّهُهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ^(١).

أي الرجلين نحن؟ (الأبكم الذي لا يقدر على شيء) أم (الذي يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم)!!

إذا كنا نتبع دون أن نسمع أو نفقه أو نعقل فلاشك أننا هو الرجل الأول، وإذا كنا قد فكرنا ووعينا وتأملنا بعد أن راجعنا البرهان والدليل، ولم نكن نكره الحق، بل كنا نأمر بالعدل فإنا إن شاء الله على صراط المستقيم.

وفي نهاية المطاف وكما يقول سبحانه : ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾^(١).

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا من أولئك الذين علموا الحق ثم تمسكوا به ولم يعرضوا عنه، وبعد ذلك لا يضرنا أن كنا من اقل الناس ولم نكن من أكثرهم، تمن لا يعلمون الحق ونحن هم عن الحق معرضون.

والآن - بعد ملاحظة هذه الآيات - نطالب الإنصاف لأنفسنا في هذه النقاط الآتية، ونقول متسائلين في أمور:

أولاً: هل نصّ النبيّ على خليفته؟

حينما نرجع إلى تاريخ الأرض منذ أن خلق الله سبحانه وتعالى آدم إلى يومنا هذا، نجد الأنبياء والرسل والأوصياء والملوك والحكام وأولياء الأمور نجدهم يعيّنون لأنفسهم أوصياء وخلفاء ليقوموا مقامهم، فهل من الإنصاف والعقل أن يقال إن رسول الله ﷺ شذَّ عن سائر الأنبياء وسائر العقلاء ومن حكموا في الأرض ولم يعيّن لنفسه من يخلفه في أداء مهامه بعد موته؟!

فهل تكون عائشة أعقل من النبي ﷺ حينما تقول لابن عمر: (يا بنيّ أبلغ عمر سلامي وقل له : لا تدع أمة محمد بلا راع ، استخلف عليهم ولا تدعهم بعدك هملاً فإني أخشى عليهم الفتنة)^(٢)!.

وهل يكون النبي ﷺ أقلّ عقلاً من عبد الله بن عمر حينما يقول لأبيه: (إني سمعتُ الناس يقولون مقالة فآليتُ أن أقولها لك ، زعموا أنك غير

١ - الأنبياء / ٢٤ .

٢ - الإمامة والسياسة لابن قتيبة ج / ١ ص ٢٣ .

الفصل التاسع عشر: إنصاف العقل والضمير لولاية الأمير ٣٧٩

مُستخلف وقد علمت أنه لو كان راعي غنم فجاءك وقد ترك رعايته رأيت أن قد ضيَّع ، فرعاية الناس أشد^(١)؟!.

وهل يكون النبي ﷺ - والعياذ بالله - أقلّ عقلاً من ملوك وأمراء حكوماتنا في زمننا هذا؟ فترى لكل ملك وحاكم وأمير ولياً للعهد.

أما نلاحظ البلاد الإسلامية والعربية؟

أما نرى الملوك والأمراء وضعوا لأنفسهم أولياء للعهد؟

فيا ملوك ويا أمراء: هل طريقتكم هذه من تعيين ولي العهد لكم هي

طريقة عقلانية؟

فإن لم تكن كذلك فأنتم إذن غير عقلاء، وإن كانت عقلانية فكيف رضيتُم لنبيكم أن يترك هذه السيرة ويدع الناس دون نصّ على خليفة له؟! . وحتى تلك الدول التي لا يحكمها الملوك والأمراء ففيها الدستور الذي ينصّ على تعيين الحاكم تلو الحاكم، ولم تُترك الأمة سُدى .

فكيف يكون الدين الإسلامي - الذي تعرّض إلى أصغر الأمور بأحاديث كثيرة - كيف له أن يترك الإمامة والقيادة بعد النبي ﷺ دون أن يشير إليها!!

كيف لهؤلاء أن يدركوا خطورة ترك الأمة بلا تعيين خليفة ولم يدركها النبي ﷺ! مع أن الناس حديثوا عهد بالإسلام، ومع أن إمبراطورية الروم والفرس آنذاك مترصدة بالإسلام والمسلمين أشدّ ترَبُّص، فضلاً عن مخططات الطابور الخامس داخل المجتمع الإسلامي، وهم المنافقون الذين هم أشدّ خطراً

على الدّين من غيرهم.

فهل من الإنصاف بعد ذلك كلّهُ أن يقال إن النبي ﷺ مات ولم يعيّن خليفةً له؟!

هذا... وإذا دققنا فيما حدث يوم الخميس - وكما يسمّيها ابن عباس بالرزية كلّ الرزية - لا يبقى شكّ انه أراد تدوين تعيين الخليفة من بعده.

فقد روى عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس قال: (لما حضر رسول الله ﷺ وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب قال النبي ﷺ: هلموا اكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعده، فقال عمر إن النبي ﷺ قد غلب عليه الوجع، وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله، فاختلف أهل البيت فاختصموا، منهم من يقول قريّوا يكتب لكم النبي ﷺ كتاباً لن تضلّوا بعده، ومنهم من يقول ما قال عمر فلما أكثروا اللغو والاختلاف عند النبي ﷺ قال رسول الله ﷺ: قوموا، قال عبيد الله: وكان ابن عباس يقول: إن الرزية كلّ الرزية ما حال بين رسول الله ﷺ وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولغظهم)^(١).

ومع ملاحظة ما يرويه البخاري من قول الراوي: (ونسيت الثالثة) في رواية ابن عباس قال: (يوم الخميس وما يوم الخميس، اشتدّ برسول الله ﷺ وجعه فقال ائتوني اكتب لكم كتاباً لن تضلّوا بعده أبداً، فتنازعوا ولا ينبغي عند نبيّ تنازع، فقالوا: ما شأنه أهجرك؟ إستفهموه، فذهبوا يردّون عليه، فقال: دعوني فالذي أنا فيه خير ممّا تدعوني إليه وأوصاهم بثلاث، قال: أخرجوا المشركين من جزيرة العرب وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم،

وسكت عن الثالثة أو قال فنسيتها^(١).

فيا ترى أحقاً هو نسي الثالثة أم أنه خاف أو لم يُرد الإفصاح عنها؟! وهي الوصية بالخليفة من بعده؟.

ومع كل هذه الملاحظات هل تقول: إن النبي ﷺ مات ولم يعين خليفة له !!!؟

ثانياً: كيف أحجم الناس أن يسألوا نبيهم عن خليفته؟

إننا نشاهد غالب الأمم وغالب الناس إذا تبين لهم أن قائدهم وإمامهم مشرف على الموت، كما لو كان في مرض أو كبر سن وما شابه، نلاحظهم يتساءلون عمّن سيخلفه في الحكم والقيادة، وهذا شيء متداول، وسؤال متعارف بين الناس في تلك الأثناء، فهل من المعقول والإنصاف أن يكون الناس - الذين سئلوا عمر بن الخطاب وغيره عن خليفته - قد أحجموا عن أن يسألوا النبي ﷺ عمّن سيخلفه عليهم؟ وهم يشاهدونه وهو يودّعهم منذ حجة الوداع إلى حين وفاته ﷺ؟

أما سأله رجل عاقل منهم: من سيكون خليفتك علينا؟ لاسيما هؤلاء الذين كانوا دائماً معه في المسجد وفي الغزوات وفي الحج.

يا ترى هل يعقل أنهم لم يسألوه عن ذلك؟! وإذا كانوا قد سألوه فهل يعقل أنه ما أجاب سؤالهم وتركهم في حيرة؟!.

وإن كانوا قد سألوه وأجابهم فأين السؤال والجواب؟ ومن هو الخليفة الذي عينه لهم بعد موته؟!.

والحقّ أنهم سألوه عن ذلك وقد أجابهم، وعيّن لهم خليفتهم كراراً، كما في مواقف كثيرة، ومنها على سبيل المثال: يوم خصف النعل، وذلك ما ذكرته أم سلمة لعائشة، لما خرجت على أمير المؤمنين عليه السلام.

فقد ذكر ابن أبي الحديد^(١) أنها قالت: وأذكرُك أيضاً كنتُ أنا وأنتِ مع رسول الله صلى الله عليه وآله في سفر له، وكان علي يتعاهد نعلي رسول الله صلى الله عليه وآله فيخصفها، ويتعاهد أثوابه فيغسلها، فنقبت له نعل، فأخذها يومئذ يخصفها، وقعد في ظلّ شجرة، وجاء أبوك ومعه عمر، فاستأذنا عليه، فقمنا إلى الحجاب، ودخلا يحادثانه فيما أراد، ثم قالوا: يا رسول الله، إنا لا ندري قدر ما تصحبنا، فلو أعلمتنا من يُستخلف علينا، ليكون لنا بعدك مفرعاً؟ فقال لهما: أما إني قد أرى مكانه، ولو فعلتُ لتفرقتم عنه، كما تفرقت بنو إسرائيل عن هارون بن عمران، فسكتا ثم خرجا، فلما خرجنا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، قلتُ له، وكنتُ أجراً عليه منّا: من كنتَ يا رسول الله مُستخلفاً عليهم؟ فقال: خاصف النعل، فنظرنا فلم نر أحداً إلّا علياً، فقلتُ: يا رسول الله، ما أرى إلّا علياً، فقال: هو ذاك، فقالت عائشة: نعم أذكر ذلك .

نعم لقد صرّح النبي صلى الله عليه وآله بذلك كراراً .

ثالثاً: هل اخترنا من اختاره النبي لنا؟

لو افترضنا أنه صلى الله عليه وآله شدّ عن سائر الأنبياء والرسل والحكام فلم يعيّن الخليفة، وافترضنا أن الناس سألوه ولكنه أصرّ على عدم تعيينه بالنص .
ولكننا نسأل بعد كلّ تلك المواقف من النبي صلى الله عليه وآله والأقوال في حقّ

الفصل التاسع عشر: إنصاف العقل والضمير لولاية الأمير ٣٨٣

الإمام علي عليه السلام من كونه له بمنزلة هارون من موسى وكونه أحب الخلق له. وكونه أعلم و....

فنسأل ألم يكن في ذلك - على أقل الفروض - ترشيحاً من النبي ﷺ للإمام علي عليه السلام لخلافة الأمة؟.

فهل من العقل والإنصاف أن ندع من رشحه النبي واختاره كفوفاً ومؤملاً للخلافة وتتبع غيره؟!

ألم يكن اختيار النبي ﷺ هو من اختيار الله تعالى؟!

ألم يكن هو ﷺ ﴿مَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾؟!

فكيف يرغب الناس عن اختيار الله ورسوله ويلجأوا لاختيارهم هم لأنفسهم؟! ألم يقل الله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (١)

وسنذكر إن شاء الله رواية الإمام الرضا عليه السلام في حديث يقول فيه: (وإنَّ العبد إذا اختاره الله (عزاً وجل) لأمر عباده شرح صدره لذلك وأودع قلبه ينايب الحكمة وأهله العلم إلهاماً، فلم يعي بعده بجواب ولا يجيد فيه عن الصواب فهو معصوم مؤيد موفق مسدد...).

فكيف يُفضّل اختيار قوم - على فرض اختيارهم - على اختيار الله تعالى ورسوله ﷺ.

رابعاً: أليس الإمام علي هو الأفضل عند النبي ﷺ؟

إذا كان علي عليه السلام هو الأفضل عند رسول الله ﷺ ألا ينبغي أن يكون هو الأفضل عندنا أيضاً؟! وإذا كان هو الأفضل أما يأمر العقل والإنصاف بتقديمه على غيره وأخذ الشريعة منه بعد موت النبي ﷺ؟! أما انه هو الأفضل عند النبي ﷺ فهذا مما لا شك فيه بعد أن قال النبي فيه أنه: (خير البرية)^(١) وانه: (سيد العرب)^(٢) وانه (خير الوصيين)^(٣)، وعشرات الأحاديث من أمثال ذلك.

ومن ذلك حديث الطائر المشوي الذي رواه الترمذي في سننه^(٤) والنسائي في سننه^(٥)، حيث روي عن أنس أنه أتى النبي ﷺ وعنده طائر فقال: اللهم ائتني بأحب خلقك إليك يأكل معي من هذا الطير، فجاء أبو بكر فردّه، ثم جاء عمر فردّه، ثم جاء علي فاذن له.

وقال الحاكم في المستدرک: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وقد رواه عن انس جماعة من أصحابه زيادة على ثلاثين نفساً ثم صحّت الرواية عن علي وأبي سعيد الخدري وسفيينة^(٦).

وهل يكون الإمام علي أحب الخلق إلى الله تعالى دون أن يكون أفضلهم بعد النبي؟ .

١ - المناقب للخوارزمي ص ١١١.

٢ - المناقب لابن المغازلي ص ٢١٣.

٣ - يتابع المودة للقندوزي ص ٤٩٦.

٤ - سنن الترمذي ١٣٦/٥.

٥ - سنن النسائي ١٠٧/٥.

٦ - المستدرک على الصحيحين للحاكم النيسابوري ج ٣ / ص ١٣٠ - ١٣٦.

الفصل التاسع عشر: إنصاف العقل والضمير لولاية الأمير ٢٨٥

و في الرواية لما دخل الإمام عليّ على النبي، قال ﷺ: (وإليّ)، أي أحبّ الخلق إليّ أيضاً، فهو الأفضل عند الله ورسوله.

و أمّا أن الإنصاف والعقل يقدّمان الأفضل فهذا لا يختلف عليه العقلاء وأهل الأنصاف والوجدان والضمير.

خامساً: هل المطهّر من الرجس كغيره؟

هل يُقدّم التائب من الذنب - بعد فرض توبته - على من لم يذنب قط؟.

هل نشرب في إناء تنجّس بالخمير ثم طهّرناه أو توّسخ وتنجّس بالعدرة ثم غُسل؟

هل نفضّله على إناء طاهر ونظيف ولم ينجس قط؟.

هل يُفضّل من قضّى شطراً كبيراً من عمره على الخمرة والسجود للصنم وإتيان النساء بالفاحشة ثم تاب منها، نفضّله على إنسان لم يأت بشيء من تلك المنكرات؟!، فلم تلامس روحه ولا بدنه شيئاً من ذلك؟!.

نعم قد يقول قائل: إن التائب من الذنب كمن لا ذنب له، ولكن يقال أيضاً: إن التوبة ترفع الأثر التكليفي للمعصية وهو العقاب الأخروي فلا يعاقب التائب على ذنوبه، ولكن هل ترفع التوبة الأثر الوضعي لتلك الخبائث على البدن والروح؟!.

وهل تكون تلك الروح التي عشعشت فيها المنكرات كالروح الطاهرة المصقولة من كل ذنب.

هل يكون الدّم الذي أنشأ من أكل اللحم الحرام والخبيث وشرب

الخمر المسكرة، كمثل الدم المتكوّن من أطيب الطعام وأطهره؟!.

فهل من الإنصاف تقديم ذلك على هذا؟!.

ألم يكن الإمام علي عليه السلام قد كرم الله وجهه من السجود لصنم قطّ قبل الإسلام، ولكنّ غيره قد سجد للصنم وشرب الخمر وباشر الزنا طيلة عمر طويل؟!.

سادساً: هل من يستحيل عليه الضلالة كمن يحتملها؟

إذا كانت الضلالة متوقعة فيمن ترك عترة النبي ﷺ كما إن الهدى ملازم لمن تابع عترة النبي ﷺ، فهل من الإنصاف والعقل أن نترك العترة كطريق نزيه لشرع الله دون أن نعتمدها ديناً لنا ونعتمد شريعة غيرهم؟.

وهل من الإنصاف أن نترك إمامتهم ونأخذ بإمامة جماعة ضالّة؟!.

والأمر واضح، فقد ضلّ من ترك عترة النبي ﷺ، وذلك لما يستبطنه حديث التمسك بالقرآن و العترة، ففي الخبر الصحيح أن النبي ﷺ قال: (إني تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلّوا بعدي ... كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي، ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما)^(١).

فهذا حديث واضح فيما يتضمنه، من أن الضلالة تكون في ترك العترة. وفيما ينقله الحاكم في المستدرک^(٢) وابن حجر في الصواعق^(٣) صراحة

١ - ينابيع المودة للقندوزي الحنفي ص ٣٠.

٢ - المستدرک علی الصحیحین للحاکم النیسابوری ج ٣/ ص ١١٠.

٣ - الصواعق المحرقة لابن حجر الهيتمي ص ١٥٠.

الفصل التاسع عشر: إنصاف العقل والضمير لولاية الأمير ٣٨٧

بضلالة من لم يتبع العترة، حيث روي عنه عليه السلام قوله: (إني تارك فيكم أمرين لن تضلّوا إن اتبعتموهما).

فقد اشترط النبي عدم الضلالة بشرط إتباعهما، ممّا يعني أن الضلالة متحتّمة في إتباع غيرهما وذلك لوجود إن الشرطية، ومفهومها الواضح بذلك، وحديث التمسك بالعترة هو من الأحاديث الصحيحة لدى الفريقين معاً.

يقول ابن حجر بعد نقل الحديث: ثم اعلم إن لحديث التمسك بهما طرقاً كثيرة وردت عن نيّف وعشرين صحابياً.

فالحديث يدلّ بمفهومه على ضلالة إتباع غير العترة، كما يدلّ بمنطوقه على عظمة العترة عليهم السلام، ولا شك أن الإمام علياً عليه السلام هو سيّد عترة النبي صلى الله عليه وآله فكيف يُقدّم من يُحتمل الضلالة على من اشترطت الهداية بإتباعه لأنه لن يفترق عن القرآن الذي حفظه الله تعالى من أن يأتيه الباطل؟!.

سابعاً: ألا نأخذ سنّة النبي صلى الله عليه وآله من قرين القرآن؟

لو اعتمدنا الحديث الآخر^(١) والقائل: (تركت فيكم شيئين كتاب الله

١ - نقل حديث الثقلين بطريقين منها كتاب الله وعترتي أو أهل بيتي وقد ذكرها الحاكم في المستدرک في حديث رقم ٤٥٥٣ ورقم ٤٦٩٤، عن زيد بن أرقم عنه صلى الله عليه وآله: (إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وأهل بيتي وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض) أي الكوثر وقال (هذا حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه) كما ذكر الترمذي في سننه شبيه ذلك، سنن الترمذي ٢٥٦/١٢ حديث رقم ٣٧١٨ ومسنّد أحمد ١٨٠/٢٣ حديث رقم ١١١٣٥، وأيضاً روي (كتاب الله وسنة نبيّه) ولكن الحاكم في المستدرک يقول (وذكر الا اعصام بالسنة في هذه الخطبة غريب) ويقصد خطبة حجة الوداع، وعلى فرض صحته يكون الجمع بينهما هو اعتبار العترة وأهل البيت هم الجسدون لسنة النبي وهم أصحّ وأسلم طريق لنقلها وتفسيرها - المستدرک ٣٠٧/١ حديث ٢٩٠.

وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ، - على فرض صحته - أليس ينبغي أن نأخذ سنة النبي ﷺ من الإمام علي عليه السلام ونفضله على سائر الصحابة؟ - لاسيما في هذا المجال؛ أخذ السنة -؟! وذلك للأحاديث الكثيرة والصحيحة التي قرنت بينه عليه السلام وبين القرآن الكريم. منها ما نقله الحاكم في المستدرک على الصحيحين في سند صحيح حيث نقل سندا ينتهي إلى أبي ثابت وهو مولى أبي ذر قال: (كنت مع علي رضي الله عنه يوم الجمل فلما رأيت عائشة واقفة دخلني بعض ما يدخل الناس - أي دخلني الشك والريب ولم أعرف الحق؟ فهل هو مع الإمام علي عليه السلام أم مع عائشة -؟ فكشف الله عني ذلك عند صلاة الظهر، فقاتلت مع أمير المؤمنين فلما فرغ ذهبتُ إلى المدينة فأتيت أم سلمة فقلت: إني والله ما جئتُ أسأل طعاماً ولا شراباً ولكني مولى لأبي ذر فقالت: مرحباً فقصصت عليها قصتي فقالت: أين كنتَ حيث طارت القلوب مطائرهما؟ قلت: إلى حيث كشف الله ذلك عني عند زوال الشمس، قالت: أحسنت، سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: (علي مع القرآن والقرآن مع علي لن يترقا حتى يردا علي الحوض). قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد^(١).

فهذا الحديث وأمثاله يثبت عصمة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، حيث هو مع القرآن والقرآن معه ولن يقع افتراق بينهما، ونحن نعلم أن القرآن لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهو الذي قد تعهد الله سبحانه وتعالى بحفظه فقال: ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^(٢)، فكذاك الإمام علي عليه السلام الذي (لن) - اي نفياً مؤبداً - لن يفترق عن القرآن إلى قيام الساعة و حتى وروده على

١ - المستدرک على الصحيحين للحاكم النيسابوري حديث رقم ٤٦٠٤.

٢ - سورة الحجر / ٩.

الحوض أي حوض الكوثر.

فنقول أليس من الإنصاف أن نأخذ السُّنة وتفسير القرآن ممّن هو قرآن ناطق ونأخذ الشريعة ودستور الإسلام ممّن هو لا يفترق عن القرآن أبداً؟.

ثامناً: أناخذ ديننا من أهل الرّدة؟

هل من الإنصاف أن نأخذ ديننا من أناس لا يبعد أن يكونوا من أهل النار، ونترك الصفوة الذين أكدّ النبي ﷺ أن الهدى معهم وأن الضلالة مع غيرهم؟!.

أمّا عدم استبعاد كون أولئك من أهل النار فلأحاديث الرّدة التي جاءت عن النبي ﷺ وذكرها الفريقان، ومنها ما في البخاري عن النبي ﷺ قال: (بينا أنا قائم فإذا زُمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم، فقال: هلمّ... فقلت أين؟ قال: إلى النار والله، قلت وما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدّوا بعدك على أدبارهم القهقري، فلا أراه يخلص منهم إلّا مثل همل النعم)^(١).

هذه الرواية وأمثالها تدلّ على ارتداد الأكتريّة إلّا القليل الذين هم في قلّتهم كالنعم المهملة والمتروكة سدى.

وكما في أحاديث أخرى ذكرت لفظ (أصحابي)، ففي البخاري عن ابن عباس قال: قام فينا النبي ﷺ يخطب فقال: (إنكم تحشرون حفاة عراة... وإنه سيُجاء برجال من أمّتي فيؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول: يا ربّ أصحابي، فيقول: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول كما قال العبد

٣٩٠.....أربعون آية

الصالح: ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ، إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبْدُكَ وَإِنْ تُغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(١) قال: فيقال: إنهم لم يزلوا مرتدين على أعقابهم)^(٢).

وأمثال هذا الحديث كثير، ولا يُعبأ بقول البعض: بأن المراد من أمثال هذه الأحاديث هم مالك بن نويرة وأصحابه الذين رفضوا إعطاء الزكاة لأبي بكر فاتهموهم بالردة وقتلهم خالد بن الوليد غيلة وغدره، فإن انطباق كلمة (أصحابي) على من كان حول النبي وعنده أولى من انطباقها على قوم قليلين سكنوا البادية، ولم يكونوا ممن لزم صحبة النبي ﷺ.

ويشهد على هذا قول البراء بن عازب لما لقيه المسيب فقال له: (طوبى لك صحبت النبي ﷺ وبابعتته تحت الشجرة، فقال له البراء: يا ابن أخي إنك لا تدري ما أحدثنا بعده)^(٣).

فهل مع هذا يُستبعد كون الكثير ممن نقلوا لنا الدين والسنة هم من أهل النار؟ وحتى لو استبعدنا ذلك، أليس هذا باعثاً للشك والارتياب؟
فهل يصح أن نتمسك بهؤلاء وندع من جاء التصريح بأنهم مع القرآن وأن الهداية ملازمة لهم، كما روي ذلك في المستدرک عن النبي ﷺ قال: (من أحب أن يحيا حياتي ويموت موتي ويسكن جنّة الخلد التي وعدني ربي ... فليتول علي بن أبي طالب ، فإنه لن يُخرجكم من هديي ولن يدخلكم في

١ - سورة المائدة / ١١٧ - ١١٨ .

٢ - صحيح البخاري ج ٢٠ / ص ١٨٨ حديث ٦٠٤٥ .

٣ - صحيح البخاري ج ١٣ / ص ٧١ حديث ٢٨٥٢ .

ضلالة^(١). كما قال ﷺ في حديث آخر: (فليتولّ علياً وذريته أئمة الهدى ومصاييح الدجى من بعده، فإنهم لن يخرجوكم من باب الهدى إلى باب الضلالة.^(٢)!!)

تاسعاً: هل نموت ميتة جاهلية؟

لقد أخبرت الأحاديث أن من يموت دون أن تكون له بيعة لإمام أو دون أن يعرفه فقد مات ميتة جاهلية - يعني مات ميتة إنسان غير مسلم أي على ما كان عليه من الجاهلية قبل الإسلام - ، وقد وردت هذه الأحاديث عند الفريقين بكثرة^(٣) وفي البخاري عن النبي ﷺ: (من خرج من السلطان شبراً مات ميتة جاهلية)^(٤) وفي صحيح مسلم (من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية)^(٥) . وجاء في مسند أحمد (من مات بغير إمام مات ميتة جاهلية)^(٦) .

فيا ترى من هو هذا الإمام الذي بترك بيعته أو بعدم المعرفة به ينتهي الأمر إلى الميتة الجاهلية للإنسان المسلم ؟ .

فهل من الإنصاف أن نقول: إن المراد من الإمام في الحديث هو مطلق

-
- ١ - المعجم الكبير للطبراني ج ٥ / ص ١٩٤ و المستدرک علی الصحیحین ج ٣ / ص ١٢٨ مع اختلاف يسير .
 - ٢ - المناقب للخوارزمي ص ٧٥ .
 - ٣ - منها بهذا اللفظ كما في جامع المقاصد للفتناني ج ٢ ص ٢٧٥ وكما في مسند أبي داود (سليمان ابن داود الطيالسي المتوفى سنة ٢٠٤ هجري في ص ٢٥٩) وغيرهم .
 - ٤ - صحيح البخاري ج ٨ / ص ٨٧ .
 - ٥ - صحيح مسلم ج ٦ / ص ٢٢ .
 - ٦ - مسند أحمد بن حنبل ج ٤ / ص ٩٦ .

الحاكم وإن كان فاسقاً فاجراً، فهل إذا مات المؤمن وهو لا يعترف بحكومة الظالم يكون قد مات ميتة جاهلية؟! أم أن الإنصاف أن يقال: إن المراد من هذا الإمام هو الإمام الحق الذي نصبه رسول الله ﷺ .

وقد يقال: إننا لا نقصد بذلك الإمام ما يشمل الحاكم الفاسق والفاجر، بل المراد هو الحاكم الصالح والعاقل من سائر المسلمين.

فنتساءل حينئذ ونقول: ألا نعتقد أن فترة من فترات التاريخ من بعد النبي ﷺ قد مرت وقد حكمها حاكم فاسق ظالم من المسلمين؟! فلا يمكن إنكار ذلك ولا لطائفة من المسلمين لاسيما من أجمعت الأمة على فسقه وفجوره مثل بعض حكام الأمويين والعباسيين بل بعض حكام عصرنا هذا، فيا ترى في مثل هكذا فترة، من هو الإمام الذي يلزم معرفته وبيعته بحيث لو لم يتم ذلك مات المؤمن ميتة جاهلية؟! فليس لنا إلا أن نقول: إن ذلك الحاكم الفاسق هو الإمام بالفعل، وحينئذ يكون النبي ﷺ أراد للمؤمن التقي أن يعترف ويطيع حتى للفاسق الفاجر بل الكافر من الحكام وإلا خرج من الدين على غير الإسلام!!! وهذا لا يقبله عاقل ولا منصف. أم نقول: إن الإمام شخص آخر، وهذا ما نقوله من أنه هو الإمام الحق المعصوم والذي هو مقرون بالقرآن ولن يفترق عنه والذي هو موجود دائماً - إماماً بعد إمام - كما هو مذهب أهل البيت عليه السلام.

هل ماتت الزهراء عليها السلام غاضبة على إمام زمانها؟

وهنا سؤال ينبغي أن يلتفت إليه كل عاقل ومتأمل ومتدبر للتاريخ ولما حدث بعد رحيل النبي ﷺ، وهو أن السيدة الزهراء عليها السلام ماتت وهي

الفصل التاسع عشر: إنصاف العقل والضمير لولاية الأمير ٣٩٣

غاضبة على أبي بكر، فقد قال في البخاري: (أبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة منها - أي من فذك - شيئاً فوجدت فاطمة على أبي بكر في ذلك فهجرتة فلم تكلمه حتى تُوفيت وعاشت بعد النبي ﷺ ستة أشهر فلما توفيت دفنها زوجها عليُّ ليلاً ولم يؤذن بها أبا بكر)^(١) .

فيا ترى من كان إمام زمانها؟ والذي إذا ماتت وهي متنكرة له فقد ماتت ميتة جاهلية؟ . فهل هو أبو بكر؟ فكيف يكون لمثل سيدة نساء العالمين الطاهرة التي أذهب الله عنها الرجس في آية التطهير والتي يرضى الله لرضاها أن تموت ميتة جاهلية؟! .

أم الصحيح أن تقول: إن إمامها هو علي بن أبي طالب عليه السلام وهي ماتت عارفة بإمامها وغاضبة على غاصبه حقّه وغاصبها حقّها . ولا أعتقد لمسلم غيور مؤمن عاقل يرمي سيدة نساء العالمين بالميتة الجاهلية لكي يشتم الإمامة الشرعية لأبي بكر ، وهل مثل فاطمة عليها السلام ما تعرف إمام زمانها؟! .

عاشراً: هل ركبنا سفينة النجاة ؟

لقد جاءت أحاديث كثيرة عن النبي ﷺ مشيرة إلى أن الإمام علياً وأهل البيت عليهم السلام هم الأكفأ وهم الأعلّمون وهم سفينة النجاة من الغرق ، فهل من الإنصاف ترك سفينتهم المنجية وأخذ الدّين من غيرهم؟! .

فلنلاحظ هذه الأحاديث :

١- قول النبي ﷺ: (ألا إن مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من

قومه من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق) ^(١)، وجاء هذا الحديث بأشكال متعددة مثل: (إنما مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح) وغير ذلك ويُعدُّ هذا الحديث من الأحاديث المتواترة لكثرة الطرق في إسناده .

ألا ينبغي أن يتساءل من ترك مذهب أهل البيت عليهم السلام ولم يأخذ فقهه ودينه عن طريقهم عليهم السلام . ألا يتساءل أمثال هؤلاء هل إنهم ممن ركبوا هذه السفينة التي هي الوحيدة التي نجت في طوفان النبي نوح عليه السلام، وألا يخشى هؤلاء أن يكونوا من أولئك الغرقى الذين تخلفوا عن الركوب فيها .

٢- عن النبي صلى الله عليه وآله (إنما مثل أهل بيتي فيكم مثل باب حطة في بني إسرائيل من دخله عُفِّر له) ^(٢)، وهو حديث موجود في مصادر متعددة .

لقد أمروا بنو إسرائيل أن يدخلوا باباً خاصّة، ويقولوا حطة حتى تحطّ ذنوبهم ويُعفّر لهم، فمن أراد من المسلمين أن تُعفّر ذنوبه ويضمن غفران الرب سبحانه وانه قد امتثل للدخول من الباب الصحيح والباب المأمور بالدخول بها يلزم أن يأت الإسلام ويأت رسول الله صلى الله عليه وآله من باب أهل البيت عليهم السلام .

فهل من الإنصاف أن نترك باب أهل البيت عليهم السلام والتي هي بمثابة باب حطة في بني إسرائيل ونذهب إلى أبواب أخرى؟!

٣- حديث النبي صلى الله عليه وآله: (النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق، وأهل بيتي أمان لأمتي من الاختلاف، فإذا خالفتها قبيلة من العرب، اختلفوا فصاروا حزب إبليس) ^(٣) وقد جاء في مصادر متعددة .

١- الصواعق المحرقة لابن حجر ص ١٨٤ و ص ٢٣٤ .

٢- كفاية الطالب للكنجي الشافعي ص ٣٧٨ .

٣- الصواعق المحرقة لابن حجر الشافعي ص ٩١ و ص ١٤٠ .

الفصل التاسع عشر: إنصاف العقل والضمير لولاية الأمير ٣٩٥

أليس من الإنصاف أن يتجنب المسلم مخالفة أهل البيت عليهم السلام لئلاً يكون من حزب إبليس، ولئلاً يكون فيمن تركوا أهل البيت ووقعوا في الاختلاف والفرق المتعددة؟! .

ويذكرنا هذا الحديث بقول الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام في ضمن خطابها: (جعل الله .. وطاعتنا نظاماً للملّة ، وإمامتنا أماناً من الفرقة)^(١) .
٤- قوله عليه السلام: (النجوم أمان لأهل السماء وأهل بيتي أمان لأمتي)^(٢) .
وقد ورد في مصادر عدّة .

أليس الإنصاف الإنصاف الإنصواء تحت ولاية أهل البيت عليهم السلام للفوز بالأمان دنيوياً وأخروياً. لأنهم هم النبع الصافي والمسلك الطاهر لشريعة جدّهم الرسول صلى الله عليه وآله .
٥- قول النبي صلى الله عليه وآله: (من أحبّ أن يحيا حياتي ويموت ميتتي ويدخل الجنة التي وعدني ربي وهي جنة الخلد فليتولّ علياً وذريته من بعده فإنهم لن يخرجوكم باب هدى ولن يدخلوكم باب ضلالة)^(٣) .

وهل أكثر من هذا التصريح في كون الهداية ملازمة لعلي عليه السلام وأولاده من الأئمة الطاهرين ، وهل بعد كل هذا يُعدُّ من الإنصاف خذلان مدرسة أهل البيت وترك الركون إليهم؟! .

وهنالك الكثير الكثير من الأحاديث المشابهة لهذه الأحاديث الشريفة ومن صنفها لا يحتمل المجال لإيرادها .

١ - بلاغات النساء لابن أبي طيفور التتوفى سنة ٢٨٠ ص ١٢ وشرح النهج لابن أبي الحديد ج ١٦ ص ٢٣٣ .

٢ - الجامع الصغير للسيوطي ج ٢ / ص ١٦١ ط الميمنية .

٣ - الإصابة لابن حجر العسقلاني الشافعي ج ١ / ص ٥٩٩ ط السعادة .

حادي عشر: أيرمى النبي ﷺ بالهجر دون غيره؟

أين الإنصاف متاً لرسول الله ﷺ وهو يودّع أمته ويوصيها فهو الذي لا ينطق عن الهوى وهو الذي ما زاغ بصره ولا كذب فؤاده أو غوى وهو الذي قوله قول رسول كريم وما هو بقول شاعر أو كاهن أو مجنون ، فهل مثل النبي ﷺ يُرمى بالهجر والقول بالخرافة - نعوذ بالله - وهو يوصي رجالات أمته إذ يأمرهم أن يُحضروا له كتاباً ليكتبه لهم لن يضلّوا من بعده أبداً إلا أن عمر بن الخطاب ينبري ليقول إنه يهجر أو غلب عليه الوجع ويحول هو وحزبه من كتابة الكتاب بقوله ذلك أو قوله حسبنا كتاب الله ^(١)، أفانصاف هذا أن يُنسب الهجر والخرف إلى النبي و لم يُنسب ذلك إلى أبي بكر حينما أغمي عليه في مرضه ثم أفاق وقد كتب عثمان بن عفان عنه وصية بالخلافة إلى عمر بن الخطاب، كما لم ينسب احدٌ إلى عمر نفسه الهجر أو غلبة الوجع وهو مطعون بخنجر في بطنه وهو يشدد على تعيين الخليفة من

١ - صحيح البخاري - ج ٧ - ص ٩ باب قول المريض قوموا عني حدثنا إبراهيم بن موسى حدثنا هشام عن معمر ح وحدثني عبد الله بن محمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب قال النبي صلى الله عليه وسلم هلمّ اكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعده فقال عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قد غلب عليه الوجع وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله، فاختلف أهل البيت فاخصموا منهم من يقول قرّبوا يكتب لكم النبي صلى الله عليه وسلم كتاباً لن تضلّوا بعده ومنهم من يقول ما قال عمر فلما أكثروا اللغو والاختلاف عند النبي صلى الله عليه وسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قوموا قال عبيد الله وكان ابن عباس يقول: إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين ان يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافه.

بعده في ضمن شورى مزعومة ومُخطَّط لها أن تخرج بالخلافة إلى عثمان .
 فهل يا ترى من الإنصاف أن نجاري عمر برأيه ونمضي تصرفه ونؤيد موقفه ونسدّد له بالقول إن النبي ﷺ ما أوصى بالخلافة إلى أحد ما، ثم إننا نقدس وصيّة أبي بكر إلى عمر ونمضيها قانوناً وشرعاً وهو في مرض شديد بل في إغماء، وأيضاً نؤيد الشورى المزعومة والتي ما كانت على أساس من كتاب الله ولا من سُنّة رسوله ولا سيرة لأبي بكر، ونعتبر خلافة عثمان خلافة شرعية بسبب ذلك؟! .

اعتقد أن من يرضى بهذا كلّه يرضى أن يكون من أولئك الذين حضروا وصيّة رسول الله ﷺ وتجرؤا عليه، ثم قالوا إنه يهجر أو غلب عليه الوجد أو حسبنا كتاب الله ، واعتقد على مثل هذا أن يرضى لنفسه أن يكون من أولئك الذين أخرجهم النبي من مجلسه وطردهم وقال لهم قوموا عني ، بعد أن امتعض منهم وتأذى من كلامهم^(١) .

١ - قال الأستاذ أحمد حسين يعقوب الحامي الأردني تحت عنوان: أسوأ وداع لأعظم إمام عرفته البشرية: لم يصدف طوال التاريخ البشري أن يدعوا وليّ الأمر سواء كان خليفة، أو ملكاً وهو مريض بالفسوة، والخلافة التي عومل بها رسول الله. ولم يصدف أن اعتراض السلمون خليفة إذا أراد أن يكتب توجيهاته النهائية، أو يستخلف من بعده بل على العكس . قال ابن خلدون في مقدمته: إن الخليفة ينظر للناس حال حياته ويتبع ذلك أن ينظر لهم بعد وفاته، ويقم لهم من يتولى أمورهم مقدمة ابن خلدون: ص ١٧٧ لقد مرض أبو بكر مرضاً شديداً قبل أن يموت، وقبل وفاته بقليل دعا عثمان ليكتب له توجيهاته النهائية، وأصغى السلمون لأبي بكر، ونفذوا له توجيهاته النهائية بدقة، وعاملوه بكل احترام، وتوقير، ولم يقل أحد منهم: إن أبا بكر قد هجر، ولا قالوا: إن الممرض قد اشتد به، ولا قالوا: حسبنا كتاب الله راجع تاريخ الطبري: ٣ / ٤٢٩ وسيرة عمر لابن الجوزي: ص ٣٧، وتاريخ ابن خلدون: ٢ / ٧٥، وعندما كتب أبو بكر توجيهاته النهائية كان عمر يقول: أيها الناس: إسمعوا وأطيعوا قول خليفة رسول الله، راجع تاريخ الطبري: ١ / ١٢٨، فهل لأبي بكر قيمة وقداسة عند عمر وحزبه أكثر من قيمة الرسول وقداسته!!

ولا يتردد من له أدنى معرفة بالتاريخ وبما دار حول الرسول ﷺ من أقوال وأفعال من بعض الذين كانوا حوله من قبل مرضه ﷺ وحين مرضه وبعد ارتحاله لا يتردد من أن هذه الأمور إنما كانت لإبعاد شخص الإمام علي عليه السلام عن التصدي للخلافة عملياً بعد النبي ﷺ ولكسي يتقمصها فلان وفلان طمعاً منهم بالخلافة وما فيها من امتيازات وبغضاً منهم لصاحبها.

اعتراف عمر بمنعه من وصية النبي ﷺ

وقد صرح بذلك عمر بن الخطاب - في فلتة من فلتات لسانه - لما قال لعبد الله بن عباس محاوراً إياه في أيام خلافته:

كيف خلفت ابن عمك، قال ابن عباس: فظننته يعني عبد الله بن جعفر، فقلت: خلفته مع أتراه، قال: لم أعن ذلك إنما عنيت عظيمكم أهل

← أجب كما يحلو لك فإنه الواقع المر. ثم انظر إلى موقف المسلمين عند طعن عمر، وأراد أن يكتب (صفحة ١٥٥) توجيهاته النهائية وقد اشتد به المرض أكثر مما اشتد برسول الله، راجع: الإمامة والسياسة لابن قتيبة: ١ / ٢١، والطبقات لابن سعد: ٢ / ٣٦٤ ومع هذا كتب عمر توجيهاته، وعهد للسنة نظرياً، وعهد لعثمان عملياً، وأمر بضرب عنق من يخالف تعليماته النهائية راجع: الطبقات لابن سعد: ٣ / ٢٤٧، وأنساب الأشراف: ٥ / ١٨، وتاريخ الطبري: ٥ / ٣٣ وصارت توجيهات أبي بكر وعمر شرعاً سياسياً نافذاً لم يقل أحد: إن عمر قد هجر!! ولم يقل أحد: حسينا كتاب الله. إنما عومل عمر بكل تقديس واحترام وقلت توجيهاته النهائية حرفياً كأنها كتاب منزل من عند الله وأكثر. فهل لأي بكر وعمر قداسة عند المسلمين أكثر من رسول الله، وبأي كتاب قد أنزل بأنها أولى بالاحترام والطاعة من رسول الله!! أجب كما يحلو لك فإني لن تغير الحقيقة المرة، كتاب (من حياة الخليفة عمر بن الخطاب لعبد الرحمن احمد البكري) نقلاً عن كتاب الوجيز في الامامة والولاية ص ١٧٠.

البيت، قال: قلت: خلفته يمتح بالغرب (اي يسقي بالدلو) وهو يقرأ القرآن. قال: يا عبد الله عليك دماء البدن إن كتمتنيها، هل بقي في نفسه شيء من أمر الخلافة؟ قال: قلت: نعم. قال: أيزعم أن رسول الله نصّ عليه؟ قال ابن عباس: قلت: وأزيدك سألت أبي عما يدّعي - من نصّ رسول الله عليه بالخلافة - فقال: صدق، فقال عمر: كان من رسول الله في أمره ذرو^(١) من قول لا يثبت حُجّة، ولا يقطع عذراً، ولقد كان يربع^(٢) في أمره وقتاً ما ولقد أراد في مرضه أن يصرّح باسمه فمنعته من ذلك إشفاقاً وحِيطَةً على الإسلام، لا وربّ هذه البنيّة لا تجتمع عليه قريش أبداً ولو وليها لانتقضت عليه العرب من أقطارها، فعلم رسول الله ﷺ أني علمتُ ما في نفسه، فامسك وأبى الله إلا إمضاء ما حتم^(٣).

لا أدري كيف يكون ذلك عذراً لعمر ومن يتبعه؟! أليس معنى هذا هو الإقرار بأن عمر بن الخطاب هو أعرف بمصلحة المسلمين من الله ورسوله - أعوذ بالله من ذلك - لأنه لا شك أن النبي ﷺ كان يريد تدوين أمرٍ هو من الله تعالى وليس من نفسه، لأنه لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى!!!!

هذا وقد قال البعض شعراً:

١ - النرو - بالكسر والضم - : المكان المرتفع والعلو مطلقاً، والمعنى أنه كان من رسول الله في أمر علي علو من القول في الثناء عليه، وقيل معناه الطرف .

٢ - سأخوذ من قولهم ربع الرجل في هذا الحجر إذا رفعه بيده امتحاناً لقوته، يريد أن النبي كان في ثنائه على علي بتلك الكلمات البليغة، يمتحن الأمة في أنها هل تقبله خليفة أم لا .

٣ - نقل في تاريخ بغداد بسند معتبر وأيضاً شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد - ج ١٢ - ص ٢١.

أوصى النبي فقال قائلهم قد راح يهجر سيّد البشر
 لكن أبا بكر أصاب ولم يهجر وقد أوصى إلى عمر
 بعد كلّ هذا هل من الإنصاف أن نتغافل عن كلّ ذلك ولا نعطي علياً عليه السلام
 حقه ونقرّ له بخلافته المنصوص عليها من النبي ﷺ !!؟

ماذا عن أحاديث الفضل في بعض الصحابة؟

قد يقول قائل: إنه كما وردت أحاديث في فضل أهل البيت عليهم السلام وضرورة التمسك بهم، كذلك وردت أحاديث من هذا القبيل في الجانب الآخر أعني عموم الصحابة أيضاً، مثل الأحاديث التي نزلت الصحابة كلّهم بمنزلة النجوم وأنه بأيّهم اقتدينا اهتدينا أو الأحاديث التي جاءت في فضل عائشة من مثل لزوم اخذ نصف الدين من عائشة وغير ذلك، فضلاً عن أنه ليس كل ما ورد من الروايات في شأن الإمام علي وأهل بيته عليهم السلام صحيحاً ففيها الضعيف الذي لا اعتبار به، وعلى هذا فلا مانع ولا ضير على من اعتمد على بعض الصحابة في دينه وجعلهم الوسيلة في اخذ الشريعة، ولا يضره تخلفه عن الركوب في سفينة أهل البيت عليهم السلام وترك مدرستهم .
 فنقول أيضاً: من الإنصاف أن يلتفت إلى الجواب على هذا الادّعاء وذلك بالقول:

أولاً: إن ما ذكر من أحاديث فضل لأهل البيت عليهم السلام ولزوم إتباعهم هو أمر مجمع عليه لدى كافّة المسلمين، وقد وردت تلك الروايات في كتب المسلمين جميعاً، ومن يعظّم أهل البيت فقد أخذ بأحاديث تعظيم الصحابة لأنهم سادة الصحابة، فالإمام علي وولده الحسنان وأمّهما فاطمة عليهم السلام هم

سادة من صحب النبي فمن يتمسك بهم فقد أخذ أيضاً بما يفترض من أحاديث تبجيل الصحابة وليس العكس بصحيح .

ثم إن ما ذكر من أحاديث في التفضيل والتعظيم لكثير من رجال الصحبة اختصر ذكرها في كتب أتباعهم فقط دون ذكر أو تأييد من الطرف الآخر، بل جاء ردّها ورفضها ومناقضتها للواقع عند الطرف الآخر، وعلى العاقل والمنصف في اخذ دينه أن يُفضّل ما أجمعت عليه الأمة على ما اختلفت فيه فيما لا يمكن الجمع فيه، ومن يأخذ دين نبيّه وسُنّته من أهل بيته يكون قد عمل بما جاء في كتب جميع المسلمين من مختلف مذاهبهم، ولكن من يأخذ ذلك من غيرهم يكون قد اعتمد مشرباً خاصاً مقبولاً عند أتباعه فقط، دون سائر المسلمين ولا شكّ حينئذ يكون الرجوع إلى أهل البيت عليهم السلام هو الباعث للطمانينة على صحة النهج الذي هو عليه دون غيرهم .

ثانياً: إن ما ادّعي من ضعف في بعض أحاديث الفضل للإمام علي وأهل بيته عليهم السلام فقد ادّعي أيضاً من الضعف والوضع في الأحاديث المقابلة لذلك في فضل مناوئهم، ولكن هناك فرق بين الإدّعاءين فإن الإدّعاء الثاني جاء في كتب نفس الفريق التابع له، فلما تراجع كتب القوم نراهم أنفسهم قد ضعّفوا كثيراً من الأحاديث كالتّي تحدّثت عن فضل معاوية مثلاً ورموها بالوضع، وتحدّثوا عن تكذيب بعض رواياتها، كما إنها ضعّفت أيضاً لدى المدرسة الأخرى، ولكن من رمى أحاديث الفضل لأهل البيت بالضعف والوضع فهو ليس من أتباع المدرسة نفسها بل من التاركين لها ومن أتباع المدرسة الأخرى، ولذلك نرى أن أتباع أهل البيت غالباً ما يهجون قاعدة

(من فمك أدينك) في مناقشاتهم للمدرسة الأخرى، وهذا الأمر يُنبأ عن أن ما ذُكر من ضعف في أحاديث الفضل لناوئي أهل البيت هي اقرب للضعف والوضع، لأنها ضُعفت حتى عند أصحاب نفس المدرسة فهي اقرب للضعف من الأحاديث المقابلة لذلك والتي بيّنت بعض مقامات أهل البيت عليهم السلام.

ثالثاً: إن المتأمل في بعض أحاديث التفاضل بين أهل البيت عليهم السلام وبين خصومهم يجد أن بعض الرواة تُسب أيهم كلا الحديثين المتقابلين، كأن يكون هو في سلسلة سند لحديث يبيّن مكانة عظيمة للإمام علي عليه السلام أو للزوم الأخذ بنهجه بعد النبي صلى الله عليه وآله ويكون هو نفسه في سلسلة حديث آخر يمتدح خصماً من خصوم الإمام علي عليه السلام أو شبيهه ذلك، ثم ترى إن الرجل يُعدّ ضعيفاً عند المدرسة الأخرى في الحديث الذي نسب فيه فضيلة للإمام علي عليه السلام بينما نفسه لا يُعدّ ضعيفاً عند نفس المدرسة في الحديث الآخر والذي نسب فيه أمراً يعظّم من شخصية خصوم لأهل البيت عليهم السلام، وقد أشار العلامة السيد عبد الحسين شرف الدين في كتابه الخالد (المراجعات) إلى هذه الحقيقة. والإنصاف في هذا الأمر يدعو إلى التشكيك في رمي كثير من الأحاديث الصحيحة في شأن أهل البيت عليهم السلام رميها بالضعف والوضع، وإلى التشكيك أيضاً في الاعتماد على أحاديث زعمت صحيحة في امتداح رجال كانوا مناوئين لأهل البيت عليهم السلام.

رابعاً: إن كثيراً من الأحاديث التي وردت عن النبي صلى الله عليه وآله في شأن الإمام علي عليه السلام وأتباعه كان لها شأن وسبب موجود في الواقع وعلى الأرض ممّا يدعم صحّة ورودها وحقيقة صدورها، فمثلاً أنه صلى الله عليه وآله قال في

الفصل التاسع عشر: إنصاف العقل والضمير لولاية الأمير ٤٠٣

حق علي عليه السلام (أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي) قال ذلك حينما خلفه على المدينة في خروجه إلى تبوك وحين المؤاخاة وغيرها من المواقف وهكذا كثير من الأحاديث الأخرى، ولكننا لا نجد لكثير من الأحاديث في فضل المناوئين لعلي عليه السلام أسباباً تُذكر أو وقائع حدثت وعلى ضوءها جاءت تلك الأحاديث! بل نسبت الأحاديث من التعظيم للبعض دون ذكر لشأن في إيرادها، وهذا الأمر يبعث على التشكيك في صحة صدورها ويؤيد وضعها على النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد رحيله ووفاته.

خامساً: وآخرأ وليس أخيراً، لا بدّ من القول إن التاريخ وكثيراً من الحديث الذي يُنسب إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم دوتته أقلام مناوئة للإمام علي وولده عليه السلام ولأتباعه وأصحابه، ومواليه لمعاوية وبني أمية من أعداء أهل البيت عليهم السلام، والإنصاف والعقل يدعوان إلى التشكيك في كل ما ذكر في هذا التاريخ من فضل لخصوم أهل البيت عليهم السلام لأن الأقلام حين ذاك غالباً ما كانت مأجورة، والألسن متملقة لصالح الأنظمة الحاكمة والمستبدّة والظالمة والتي تقطع أي يد تكتب في فضل الإمام علي عليه السلام وأي لسان ينطق في منقبة وفضيلة لعلي وأهل بيته عليهم السلام، وفي قبال ذلك تُغدق الأموال والثروات على كل من يبتدع ويقول ما من شأنه التنقيص من مكانة الإمام علي عليه السلام والتعظيم في عدوه، فمن الإنصاف أيضاً التسليم لهذا الواقع الذي كان في سلطان بني أمية، وقبول هذه الحقيقة في هذه الملاحظة الخامسة.

وبعد هذه الملاحظات و النقاط في هذا الفصل لا ينبغي للمسلم المنصف أن يطمأن - أيأ كان - إلى صحة ما يأخذه من شرع يُنسب إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم

٤٠٤ أربعون آية

كاظمئنان المسلم الشيوعي الإثني عشري، لأنه أخذ دينه ممن تسالم المسلمون
جميعاً على أنهم هم الأنزه والأطهر والأزكى ممن نقل الشريعة من دين
جدّهم المصطفى ﷺ وهم الأئمة الأطهار أهل بيته الأبرار عليهم السلام .
والحمد لله رب العالمين.

الفصل العشرون

مسك الختام

حديث الإمام الرضا عليه السلام في مقام الإمام

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مسك الختام

لكي اختتم هذه الصفحات و البحوث بمسك الختام، عددتُ حديث الإمام الرضا عليه السلام في موضوع الإمامة والإمام، فصلاً خاصاً في خاتمة هذه الفصول.

وهذا الحديث عظيم في محتواه، ويدلّ على المنزلة العظيمة التي جعلها الله تعالى للإمام المعصوم، حيث بيّن عليه السلام أن منزلة الإمامة هي أعظم من منزلة النبوة، لأن الله تعالى قد جعل النبي إبراهيم الخليل عليه السلام إماماً بعد أن كان نبياً وخليلاً، وهو أمر واضح، لأنه عليه السلام جعل إماماً في كبر سنّه، بعد أن رُزِقَ الذرية، وقد رزقه الله ذلك في كبر سنّه.

فبيّن الإمام الرضا عليه السلام هذه المنزلة العالية والعظيمة لمقام الإمامة والإمام، وأنه لا يمكن للناس اختيار الإمام، لأنهم لا يحيطون بمنزلته ولا يُدركون شخصه، لولا أن يدلّهم الله تعالى عليه بنصٍّ من رسوله صلى الله عليه وآله. كما بيّن عليه السلام أن للإمام وظائف لا يقدر عليها غيره، لأن الله تعالى

أهمه وعلمه وآتاه ما لم يؤت أحداً غيره، فكيف تكون الإمامة لمن لم ينصَّ الله تعالى عليه.

كذلك أشار عليه السلام إلى أن الدين كُمل بالإمامة، ولم يكن النبي صلى الله عليه وآله ليرحل عن الدنيا دون أن ينصَّ على الإمام من بعده، لأن في ذلك نقصاً للدين، وقد صرَّح القرآن بإكماله.

أيها القارئ الكريم: فلنقرأ هذا الحديث، ونتأمل ما فيه من استدلال بالغ بالعقل والآيات القرآنية على إمامة أهل البيت عليهم السلام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، ولنتشرف جميعاً بهذا الكلام العظيم الذي يتفوه به إمام معصوم، وهو إمامنا وسيدنا أبو الحسن علي بن موسى الرضا صلوات الله وسلامه عليه.

حديث الإمام الرضا عليه السلام في الإمامة:

بسم الله الرحمن الرحيم

روى الشيخ الكليني في الكافي بسنده إلى عبد العزيز بن مسلم قال: كنّا مع الرضا عليه السلام بمرو^(١)، فاجتمعنا في الجامع يوم الجمعة في بدء مقدّمنا، فأداروا أمر الإمامة وذكروا كثرة اختلاف الناس فيها، فدخلتُ على سيدي عليه السلام فأعلمته خوض الناس فيه، فتبسّم عليه السلام^(٢).

ثم قال: يا عبد العزيز جهل القوم وخُدعوا عن آرائهم، إن الله عز وجل لم يقبض نبيه صلى الله عليه وآله حتى أكمل له الدين، وأنزل عليه القرآن فيه تبيان

١ - مرو: مدينة في شرق إيران واليوم تسمى مشهد المقدسة وفيها قبر الإمام الرضا عليه السلام.

٢ - لعل تبسّمه عليه السلام تعجباً منه من غفلة الناس عن امر الإمامة أو من خوضهم في حديث لا يدركون مقامه.

الفصل العشرون: حديث الإمام الرضا في مقام الإمام ٤٠٩

كل شيء، بيّن فيه الحلال والحرام، والحدود والأحكام، وجميع ما يحتاج إليه الناس كمالاً^(١).

فقال (عزّ وجل): ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾^(٢).

وأنزل في حجة الوداع وهي آخر عمره ﷺ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^(٣)، وأمر الإمامة من تمام الدين، ولم يمض ﷺ حتى بيّن لأُمَّته معالم دينهم وأوضح لهم سبيلهم وتركهم على قصد^(٤) سبيل الحق، وأقام لهم علياً عليه السلام علماً وإماماً، وما ترك لهم شيئاً يحتاج إليه الأُمَّة إلا بيّنه، فمن زعم أن الله (عزّ وجل) لم يكمل دينه فقد ردّ كتاب الله، ومن ردّ كتاب الله فهو كافر به.

هل^(٥) يعرفون قدر الإمامة ومحلّها من الأُمَّة فيجوز فيها اختيارهم؟! إن الإمامة أجلّ قدراً وأعظم شأناً وأعلى مكاناً وأمنع جانباً وأبعد غوراً^(٦) من أن يبلغها الناس بعقولهم، أو ينالوها بأرائهم، أو يقيموا إماماً باختيارهم.

١ - كمالاً أو كَمَلًا: أي كل ما يحتاجون إليه، في الصحاح: يقال أعطه هذا المال كَمَلًا أي كلّه.
٢ - الأنعام / ٣٨.
٣ - المائدة / ٣.
٤ - القصد: من الإقتصاد والتوسط والاعتدال في الأمور، والسبيل: هو الطريق وفي القرآن (وعلى الله قصد السبيل ومنها جائز).
٥ - هذا الاستفهام إنكاري أي إنهم لا يعرفون قدر الإمامة حتى يتمكنوا من اختيار الإمام.
٦ - الجانب هو الطريق، فإنهم لا يمكنهم أن يصلوا إلى حقيقة معنى الإمامة أو أن يتعمقوا ويفغوروا فيها.

إن الإمامة خصّ الله (عزّ وجل) بها إبراهيم الخليل عليه السلام بعد النبوة والخلة مرتبة ثالثة^(١)، وفضيلة شرفه بها وأشاد بها ذكره، فقال: ﴿إني جاعلك للناس إماماً﴾ فقال الخليل عليه السلام سروراً بها: ﴿ومن ذريتي﴾ قال الله تبارك وتعالى: ﴿لا ينال عهدي الظالمين﴾^(٢).

فأبطلت هذه الآية إمامة كلّ ظالم إلى يوم القيامة، وصارت في الصفة. ثم أكرمه الله تعالى بأن جعلها في ذريته - أهل الصفة والطهارة - قال: ﴿ووهبنا له إسحق ويعقوب نافلةً وكلاً جعلنا صالحين، وجعلناهم أئمةً يهتدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين﴾^(٣). فلم تزل في ذريته يرثها بعض عن بعض قرناً فقرناً، حتى ورثها الله تعالى النبي صلى الله عليه وآله، فقال جلّ وتعالى: ﴿إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبيّ والذين آمنوا والله وليّ المؤمنين﴾^(٤) فكانت له خاصة، فهداها صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام بأمر الله تعالى على رسم ما فرض الله، فصارت في ذريته الأصفياء الذين آتاهم الله العلم والإيمان، بقوله تعالى: ﴿وقال الذين أوتوا العلم والإيمان لقد لبئتم في كتاب الله إلى يوم البعث﴾^(٥) فهي في ولد علي عليه السلام

١ - أي إن الله تعالى خصّ إبراهيم بالإمامة بالنسبة لمن سبقه من الأنبياء. ففي الرتبة الأولى جعله نبياً وفي الرتبة الثانية جعله خليلاً وفي الرتبة الثالثة جعله إماماً.

٢ - البقرة ١٢٤ ﴿وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فاتمهن قال إني جاعلك للناس إماماً قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين﴾.

٣ - الأنبياء / ٧٣.

٤ - آل عمران / ٦٨.

٥ - الروم / ٥٦.

خاصة إلى يوم القيامة، إذ لا نبي بعد محمد ﷺ فمن أين يختار هؤلاء الجهال.
إن الإمامة هي منزلة الأنبياء، وإرث الأوصياء.

إن الإمامة خلافة الله وخلافة الرسول ﷺ ومقام أمير المؤمنين عليه السلام
وميراث الحسن والحسين عليهما السلام

إن الإمامة زمام الدين، ونظام المسلمين، وصلاح الدنيا وعز المؤمنين.
إن الإمامة أس الإسلام^(١) النامي، وفرعه السامي.

بالإمام تمام الصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد، وتوفير الفيء
والصدقات^(٢)، وإمضاء الحدود والأحكام، ومنع الثغور والأطراف.

الإمام يُحِلُّ حلالَ الله، ويُحرِّم حرامَ الله، ويُقيم حدودَ الله، ويذُبُّ عن
دينِ الله، ويدعو إلى سبيلِ ربِّه بالحكمة والموعظة الحسنة، والحجة البالغة.

الإمام كالشمس الطالعة المجلَّة بنورها للعالم^(٣) وهي في الأفق بحيث
لا تنالها الأيدي والأبصار.

الإمام البدر المنير، والسراج الزاهر، والنور الساطع، والنجم الهادي في
غياهب الدجى^(٤) وأجواز البلدان والقفار^(٥)، ولُجج البحار.

١ - أي أساس الإسلام فكما إن الأسس يحفظ البناء كذلك الإمامة يعتمد عليها الإسلام ويحفظ بها.

٢ - أي تجميع العنائم، واعتبرت فينا لأنها قانت ورجعت للمسلمين بعد أن كانت عند الكفار وقد
خلقها الله أساساً للمؤمنين .

٣ - أي التي تَمُّ بنورها العالم كله .

٤ - الدجى يعني الظلمات والغياهب جمع غَيْهَب وهي شدة السواد والظلام .

٥ - الاجواز جمع جوز وهو من كل شيء وسطه، والقفار جمع الأرض القفرة وهي الخالية من الماء
والكلاء، فيسمَّن الإمام عليه السلام دور الإمام في هداية الأمة حيث هو كالشمس والبدر والنجم المضيء.
وسط تلك الظلمات.

الإمام الماء العذب على الظماء والدالّ على الهدى، والمنجي من الردى.
الإمام النار على اليفاع، الحارّ لمن اصطلى به^(١) والدليل في المهالك،
من فارقه فهالك.

الإمام السحاب الماطر، والغيث الهاطل والشمس المضيئة، والسماء
الظليلة، والأرض البسيطة، والعين الغزيرة، والغدير والروضة^(٢).
الإمام الأنيس الرفيق، والوالد الشفيق، والأخ الشقيق، والأم البرّة
بالولد الصغير، ومفرّج العباد في الداهية النّاد^(٣).

الإمام أمين الله في خلقه، وحجّته على عباده، وخليفته في بلاده،
والداعي إلى الله، والذابُّ عن حرم الله.

الإمام المطهّر من الذنوب والمبرّأ عن العيوب، المخصوص بالعلم،
المرسوم بالحلم، نظام الدّين، وعزّ المسلمين وغيظ المنافقين، وبوار^(٤) الكافرين.
الإمام واحد دهره، لا يُدانيه أحد، ولا يعادله عالم، ولا يوجد منه بّدك
ولا له مثل ولا نظير، مخصوص بالفضل كلّه من غير طلب منه له ولا
اكتساب، بل اختصاص من المفضل الوهاب.

فمن ذا الذي يبلغ معرفة الإمام، أو يمكنه اختياره؟! هيهات هيهات.

١ - اليفاع : هو ما ارتفع من الأرض. والاصطلاء طلب النفع كما في الآية: (لعلكم تصطلون) النمل ٧.

٢ - فالإمام كالسما وكالسقف الذي يظلل للإنسان ويحميه من البرد أو الحرّ، كما هو من جهة أخرى
كالأرض المستوية التي يستقرّ عليها الإنسان، وأيضاً هو كالعين الغزيرة التي لا تنضب، وهكذا بيّن
الإمام عليه السلام عظمة الإمام المعصوم المجهول من قبل الله تعالى .

٣ - السناد أو السناد: هو مصدر يقال ناده الداهية إذا فدحته ودهمته . فإذا فدحت الأمة بداهية فزعت
إلى الإمام عليه السلام وكان هو المفزع لها.

٤ - بوار : يعني هلاك .

ضَلَّتْ العقول وتاهت الحُلُوم وحارت الألباب وخسنت العيون
وتصاغرت العظماء وتحيرت الحكماء وتقاصرت الحلماء وحصرت الخطباء
وجهلت الألباء^(١) وكَلَّتْ الشعراء وعجزت الأدباء وعييت البلغاء عن وصف
شأن من شأنه، أو فضيلة من فضائله، وأقرت بالعجز والتقصير.

وكيف يُوصف بكُلِّه، أو يُنعت بكنهه، أو يُفهم شيء من أمره، أو يُوجد مَنْ
يقوم مقامه ويُغني غناه، لا، كيف، وأنى؟

وهو بحيث النجم من يد المتناولين، ووصف الواصفين!!
فأين الاختيار من هذا؟ وأين العقول عن هذا؟ وأين يُوجد مثل هذا؟!
أتظنون أن ذلك يُوجد في غير آل الرسول محمد ﷺ؟!
كذبتهم والله أنفسهم، ومثنتهم الأباطيل، فارتقوا مرتقاً صعباً دحضاً، رَلَّ
عنه إلى الحضيض أقدامهم.

راموا إقامة الإمام بعقول حائرة باثرة^(٢) ناقصة، وآراء مضلّة، فلم
يزدادوا منه إلا بُعداً، ﴿قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَتَى يُؤْفَكُونَ﴾^(٣) ولقد راموا صعباً،
وقالوا إفكاً^(٤)، وضلّوا ضلالاً بعيداً، ووقعوا في الحيرة، إذ تركوا الإمام عن
بصيرة، وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين.
رغبوا عن اختيار الله واختيار رسول الله ﷺ وأهل بيته إلى اختيارهم
والقرآن يناديهم: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ سُبْحَانَ

١ - الألباء: أي اصحاب الألباب أي العقول.

٢ - يقال رجل جائر باثر أي لم يتجه لشيء ولا يؤقر رشداً ولا يطبع مرشداً.

٣ - المناقون / ٤.

٤ - الأفك : هو الكذب .

اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾.

وقال (عزاً وجل): ﴿مَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ (٢).

وقال: ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ * أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ * إِنْ لَكُمْ فِيهِ لَمَّا يَتَّخِرُونَ * أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بِاللِّغَةِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنْ لَكُمْ لَمَّا تَحْكُمُونَ * سَلِّمُوا إِلَيْهِمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ * أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾ (٣).

وقال (عزاً وجل): ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ (٤).

أم طبع الله على قلوبهم فهم لا يفقهون، أم قالوا سمعنا وهم لا يسمعون (٥) ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصَّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يُعْقِلُونَ، وَكَلِمَ اللَّيْلِ فِيهِمْ خَيْرٌ لَأَسْمَعَهُمْ وَكَلِمَ النَّهْرِ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ (٦)، أم قالوا سمعنا وعصينا (٧)، بل هو فضل الله يؤتیه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم. فكيف لهم باختيار الإمام؟! والإمام عالم لا يجهل، وراع لا ينكل (٨).

١ - القصص / ٦٨ .

٢ - الاحزاب / ٣٦ .

٣ - القلم / ٣٧ - ٤٢ .

٤ - محمد ﷺ / ٢٤ .

٥ - هذا من كلام الإمام عليه السلام .

٦ - الأتقال / ٢٢ - ٢٣ .

٧ - هذا أيضاً من كلام الإمام عليه السلام مقتبس من القرآن الكريم .

٨ - لا ينكل: أي حافظ لا يضعف .

معدن القدس والطهارة، والنسك والزهادة، والعلم والعبادة، مخصوص بدعوة الرسول ﷺ ونسل المُطَهَّرَة البتول، لا مغمز^(١) فيه في نسب، ولا يُدانيه ذو حسب، في البيت من قريش والذروة من هاشم، والعترة من الرسول ﷺ والرضا من الله (عزَّ وجل)، شرف الأشراف، والفرع من عبد مناف، نامي العلم، كامل الحلم، مضطلع بالإمامة، عالم بالسياسة، مفروض الطاعة، قائم بأمر الله (عزَّ وجل)، ناصح لعباد الله، حافظ لدين الله.

إن الأنبياء والأئمة صلوات الله عليهم يوقَّعهم الله ويؤتيهم من مخزون علمه و حكمه ما لا يؤتبه غيرهم، فيكون علمهم فوق علم أهل الزمان في قوله تعالى^(٢): ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾^(٣) وقوله تبارك وتعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾^(٤) وقوله في طالوت: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلَكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾^(٥) وقال لنبيه ﷺ: ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾^(٦) وقال في الأئمة من أهل بيت نبيه وعترته وذريته صلوات الله عليهم: ﴿أُمَّ يَخْسُدُونَ النَّاسَ

١ - أي لا يظمن بنسب الإمام أحد.

٢ - قال الشيخ المجلسي في كتابه مرآة العقول موضحاً لذكر الآية (هذا الأمر مذكور في قوله سبحانه).

٣ - يونس / ٢٥

٤ - البقرة / ٢٦٩

٥ - البقرة / ٢٤٧

٦ - النساء / ١١٣

٤١٦ أربعون آية

عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ
وَأَتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا * فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَى
بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿١﴾ .

وإن العبد إذا اختاره الله (عزاً وجل) لأمر عباده، شرح صدره لذلك،
وأودع قلبه ينابيع الحكمة، وألهمه العلم إلهاماً، فلم يعي^(٢) بعده بجواب، ولا
يحير فيه عن الصواب، فهو معصوم مؤيد، موفق مُسَدِّد، قد آمن من الخطايا
والزلل والعشائر، يخصه الله بذلك ليكون حجته على عباده، وشاهده على
خلقه، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.
فهل يقدر على مثل هذا فيختارونه أو يكون مختارهم بهذه الصفة
فيقدمونه؟! .

تعدّوا - وبيت الله - الحقّ ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم، كأنهم لا يعلمون.
وفي كتاب الله الهدى والشفاء، فنبدوه واتبعوا أهواءهم، فذمّهم الله
ومقتّهم وأتعتهم.

فقال جلّ وتعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ
اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾^(٣) .

وقال: ﴿فَتَعَسَّأَ لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾^(٤) .

١ - النساء / ٥٤ - ٥٥ .

٢ - من العي: أي العجز في الجواب عن السؤال .

٣ - القصص / ٥٠ .

٤ - محمد ﷺ / ٨ .

وقال: ﴿كَبِيرٌ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾^(١)

وصلّى الله على النبي محمّد وآله وسلّم تسليماً كثيراً^(٢). انتهى.

وبهذا الحديث المبارك والعظيم في محتواه أختتم كتابي هذا.

وأشكر الله سبحانه وتعالى على توفيقه ومنّه ولطفه في إخراج هذا

العمل المتواضع.

وأسأله سبحانه وتعالى القبول و الثبات وحسن العاقبة لي و لك -

أيها القارئ الكريم - ولجميع المؤمنين.

كما أشكر كلّ من ساهم وأعان على إخراج هذا الجهد الى النور.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمّد وآله الطاهرين واللعنة

الدائمة على أعدائهم أجمعين إلى يوم الدين.

١ - غافر / ٣٥ .

٢ - انتهى الحديث، تجده مع بعض الشرح والتعليق في كتاب مرآة العقول للعلامة المجلسي ج ٢

ص ٣٧٦ - ٣٩٩ .

من أهمّ مصادر الكتاب:

- ١ - القرآن الكريم
- ٢ - نهج البلاغة مما جمعه الشريف الرضي عن أمير المؤمنين عليه السلام
- ٣ - الكافي للشيخ الكليني
- ٤ - صحيح البخاري
- ٥ - صحيح مسلم
- ٦ - صحيح الترمذي
- ٧ - عمدة القاري في شرح صحيح البخاري لبدر الدين محمود العيني
- ٨ - كنز العمال للمتقي الهندي
- ٩ - ينابيع المودة لذوي القربى للقندوزي الحنفي
- ١٠ - فتح الباري في شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني
- ١١ - المستدرک علی الصحیحین للحاکم النیسابوری
- ١٢ - الاستيعاب للحافظ ابن عبد البر
- ١٣ - السنن الكبرى للنسائي
- ١٤ - خصائص الوحي المبين للحافظ ابن البطريق

- ١٥- شرح الأخبار للقاضي النعمان المغربي
- ١٦- أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن أثير
- ١٧- سنن الترمذي
- ١٨- الاحاديث الصحيحة للالباني
- ١٩- سنن ابن ماجه
- ٢٠- مسند احمد للإمام احمد بن حنبل
- ٢١- التفسير الكبير للرازي
- ٢٢- تفسير الدر المنثور لجلال الدين السيوطي
- ٢٣- تفسير الطبري لابن جرير
- ٢٤- تفسير روح المعاني لشهاب الدين الآلوسي الشافعي
- ٢٥- تفسير أبي الفتوح الرازي
- ٢٦- تفسير الجامع لأحكام القرآن للقرطبي
- ٢٧- تفسير الكشاف للزمخشري
- ٢٨- تفسير ابن كثير
- ٢٩- تفسير السمرقندي لأبي الليث السمرقندي
- ٣٠- تفسير المنار للشيخ محمد عبده
- ٣١- تفسير الثعلبي للثعلبي
- ٣٢- التفسير المنير لمعالم التنزيل للجاوي
- ٣٣- تفسير مجمع البيان للشيخ الطبرسي
- ٣٤- تفسير التبيان للشيخ الطوسي
- ٣٥- تفسير نور الثقلين للشيخ الحويزي

- ٣٦ - تفسير العياشي
٣٧ - تفسير الميزان لمحمد حسين الطباطبائي
٣٨ - تفسير القمي لعلي بن إبراهيم القمي
٣٩ - الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي
٤٠ - أنساب الأشراف للبلاذري
٤١ - الملل والنحل للشهرستاني الشافعي
٤٢ - روضة الواعظين للفتال النيسابوري
٤٣ - بحار الأنوار للعلامة محمد باقر المجلسي
٤٤ - نسيم الرياض شرح الشفاء للقاضي عياض
٤٥ - حياة محمد محمد حسين هيكل
٤٦ - مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب
٤٧ - جواهر العقدين للسمهودي الشافعي
٤٨ - الرياض النضرة لمحّب الدين الطبري
٤٩ - أسباب النزول لأبي الحسن الواحدي النيسابوري
٥٠ - الجامع الصغير للسيوطي
٥١ - كتاب المهذب للقاضي ابن البراج
٥٢ - الصواعق المحرقة لابن حجر الهيتمي
٥٣ - ذخائر العقبى للطبري
٥٤ - مسألتان في النص على الإمام علي عليه السلام للشيخ المفيد
٥٥ - تاريخ الطبري
٥٦ - تاريخ مروج الذهب للمسعودي

- ٥٧ - الكامل في التاريخ لابن الأثير
٥٨ - تاريخ الخلفاء للسيوطي
٥٩ - تاريخ بغداد للخطيب البغدادي
٦٠ - تاريخ دمشق لابن عساكر
٦١ - تاريخ ابن خلدون
٦٢ - كنز الفوائد لأبي الفتح الكراكي
٦٣ - الطبقات الكبرى لابن سعد
٦٤ - كفاية الطالب للكنجي الشافعي
٦٥ - بشارة المصطفى محمد بن علي الطبري
٦٦ - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي
٦٧ - الولاية في طرق حديث الغدير للطبري
٦٨ - شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني
٦٩ - الإمامة والسياسة لابن قتيبة
٧٠ - معرفة الصحابة لابي نعيم الاصبهاني
٧١ - مرآة العقول للعلامة المجلسي
٧٢ - معاني الأخبار للشيخ الصدوق
٧٣ - غاية المرام للسيد هاشم البحراني
٧٤ - دلائل الإمامة لمحمد بن جرير بن رستم الطبري
٧٥ - الإصابة لابن حجر العسقلاني الشافعي
٧٦ - تذكرة الخواص للسيط بن الجوزي الحنفي
٧٧ - المراجعات للسيد شرف الدين

- ٧٨ - نهج الحق وكشف الصدق للعلامة الحلبي
٧٩ - الخاتم لوصي الخاتم للشيخ محمد رضا مولانا
٨٠ - جامع المقاصد للتفتازاني
٨١ - كشف الغمة لابن أبي الفتح الإربلي
٨٢ - اقبال الأعمال لابن طاوس
٨٣ - دعائم الإسلام للقاضي النعمان المغربي
٨٤ - مناقب علي بن أبي طالب لابن المغازلي الشافعي
٨٥ - كفاية الطالب للكنجي الشافعي
٨٦ - فرائد السمطين للشيخ الحموي
٨٧ - تنزيه الشيعة الإثني عشرية عن الشبهات الواهية لأبي طالب التجليل
التبريزي
٨٨ - شرح إحقاق الحق للسيد المرعشي
٨٩ - غاية المرام للسيد هاشم البحراني
٩٠ - النص والاجتهاد للسيد شرف الدين
٩١ - خصائص أمير المؤمنين للنسائي
٩٢ - المناقب للخوارزمي الحنفي
٩٣ - اسمى المناقب في تهذيب أسنى المطالب لشمس الدين محمد الجزري
الدمشقي
٩٤ - علل الشرائع للشيخ الصدوق
٩٥ - التوحيد للشيخ الصدوق
٩٦ - وسائل الشيعة للحر العاملي

- ٩٧ - الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف للسيد ابن طاووس
- ٩٨ - الغدير للشيخ الأميني
- ٩٩ - كمال الدين وتمام النعمة للشيخ الصدوق
- ١٠٠ - مجمع الزوائد للحافظ الهيثمي
- ١٠١ - المناقب المرتضوية للمولى محمد صالح الكشفي الحنفي
- ١٠٢ - السيرة الحلبية للحلي الشافعي
- ١٠٣ - نظم درر السمطين للزرندي الحنفي
- ١٠٤ - سير أعلام النبلاء للذهبي
- ١٠٥ - نظم درر السمطين للزرندي الحنفي
- ١٠٦ - كمال الدين وتمام النعمة للشيخ الصدوق
- ١٠٧ - ذخائر العقبى لمحب الدين الطبري
- ١٠٨ - كتاب السنّة لعمر بن أبي عاصم
- ١٠٩ - نفحات الازهار للميلاني
- ١١٠ - الاحتجاج للشيخ الطبرسي
- ١١١ - تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأحاديث الشنيعة الموضوعة، لعلي بن محمد بن عراق
- ١١٢ - نهج البلاغة - خطب الإمام علي تحقيق الشيخ محمد عبده .
- ١١٣ - كتاب المزار محمد بن المشهدي .
- ١١٤ - الكلمة الغراء لشرف الدين
- ١١٥ - السقيفة للشيخ محمد رضا المظفر
- ١١٦ - بلاغات النساء لابن أبي طيفور

١١٧ - منهاج السنّة لابن تيمية

١١٨ - المعجم الكبير للطبراني

١١٩ - مقتل الإمام الحسين للخوارزمي

١٢٠ - فتح القدير للقاضي الشوكاني

فهرس المحتويات

٥.....	الإهداء
٧.....	المقدمة
١٣.....	الفصل الأول: آية الابللاء
١٥.....	كيفية الاستدلال بالآية
١٥.....	الجهة الأولى : قوله تعالى: ﴿إني جاعلك للناس إماماً﴾
١٦.....	الإمامة والجعل الإلهي
١٨.....	إنسجام القول بالنص مع النهج القرآني
٢١.....	الجهة الثانية من الاستدلال بالآية
٢٨.....	تطبيق الآية على ولاية أمير المؤمنين عليه السلام
٣١.....	الفصل الثاني: آية المباهلة
٣٤.....	قصة الآية وشأن النزول
٣٧.....	الاستدلال بالآية على إمامة أمير المؤمنين عليه السلام
٣٩.....	إستفسار
٤٣.....	الفصل الثالث: آية الطاعة
٤٥.....	كيفية الاستدلال بالآية

٤٢٨أربعون آية
٤٦	الجهة الأولى: الاستدلال بالآية، مع ملاحظات خمس
٤٩	١ - هل يمكن أن تكون الطاعة لولي الأمر مقيّدة؟
٥٣	٢ - لماذا لم تشر الآية الى الرجوع الى أولي الأمر؟
٥٧	أقوال أخرى في الآية
٦٠	الجهة الثانية: الاستدلال بالأحاديث
٦٠	أولاً: من مصادر المسلمين غير الشيعة
٦٦	ثانياً: بعض ما جاء في مصادر أهل البيت
٦٨	لماذا لم يُذكر اسم الإمام في القرآن
٧١	الفصل الرابع: آية التبليغ
٧٣	شأن نزول الآية
٧٦	اشتهار قصة حديث الغدير
٧٧	الحديث عند الفريقين
٧٨	الرواية من طريق الإمامية
٨٥	الرواية من طريق غير الإمامية
٨٩	ما معنى خوف النبي؟
٩١	بعض الاستفسارات
٩٣	دلالة القرائن المتعددة
٩٣	أولاً: القرائن اللفظية
٩٦	الاهتمام البالغ في الأمر
٩٧	قرينة فهم الخطاب
٩٧	حسنان بن ثابت
٩٨	قيس بن سعد
٩٩	وحتى العَدُو فهم ذلك

٤٢٩	فهرس المحتويات
٩٩	وعمر بن العاص
١٠١	سياق الآية وأهل الكتاب
١٠٤	هل للآية سبب نزول آخر؟
١٠٧	هل يعقل تغافل المسلمين عن موضوع الغدير؟
١٠٨	استنكار الصحابة لذلك الانقلاب
١١٢	لا غرابة في الانقلاب
١١٩	الفصل الخامس: آية إكمال الدين
١٢١	الاستدلال بالآية
١٢٢	دلالة شأن نزول الآية
١٢٣	الروايات عن طريق أهل البيت <small>عليهم السلام</small>
١٢٤	وأما ما روي عند الفريق الآخر
١٢٥	دلالة الآية من خلال تأملها
١٢٩	استدلال الإمام بالآية
١٣٤	توقيت نزول الآية ودلالة أخرى
١٣٤	استفسارات
١٤٥	الفصل السادس: آية التطهير
١٤٨	الأمر الأول: الإرادة التكوينية والتشريعية
١٥١	هل يُجبر المعصومون في طاعتهم لله؟
١٥٣	الأمر الثاني: من هم أهل البيت في الآية؟
١٥٤	رأيان بعيدان عن الواقع
١٥٦	نساء النبي وأهل البيت جميعاً
١٥٧	الرأي الصائب: المراد هم فاطمة وذووها
١٥٨	الروايات من مصادر غير شيعية

٤٣٠..... أربعون آية

١٦٢..... تلاوة النبي للآية عند بيتهم

١٦٤..... أهل البيت عليهم السلام وحقوقهم المنصوبة

١٦٧..... الفصل السابع: آية الميقات

١٦٩..... الاستدلال بالآية

١٧٤..... بعض الاستفسارات

١٧٤..... الأول: هل الحديث في قضية خاصة؟

١٧٥..... حديث المنزلة في موارد عشرة

١٨١..... الثاني: أين خلافة هارون بعد موسى؟

١٨٢..... الثالث: هل يراد الخلافة مباشرة بعد النبي؟

١٨٥..... الفصل الثامن: آية الصادقين

١٨٧..... الجهة الأولى: دلالة الآية نفسها

١٨٨..... الدعوى الأولى: (الصادقون معصومون)

١٩١..... الدعوى الثانية: الصادقون هم أهل البيت عليهم السلام

١٩١..... الجهة الثانية: دلالة الآية بضميمة آيات أخرى

١٩٤..... الجهة الثالثة: دلالة الآية بضميمة الأحاديث

١٩٨..... مناقشة واستفسار

٢٠٣..... الفصل التاسع: آية الولاية

٢٠٦..... أولاً: الاستدلال بالروايات

٢١١..... ثانياً: وأما الاستدلال من جهة الحصر في الآية

٢١٣..... السؤال الأول: تعدد معنى الولي

٢١٨..... السؤال الثاني: ماذا عن صيغة الجمع؟

٢٢١..... السؤال الثالث: هل يتنافى التصلق في الصلاة مع الخشوع؟

٢٢٣..... السؤال الرابع: هل للإمام ولاية مع وجود النبي؟

٤٣١	فهرس المحتويات
٢٢٥	الفصل العاشر: آية الإنذار
٢٢٧	الروايات من مصادر غير الإمامية
٢٣٠	من مصادر الإمامية
٢٣١	نتيجة الأحاديث المروية في الآية
٢٣١	الاستفسار الأول: هل لنزول الآية قصة أخرى؟
٢٣٣	الجواب عن الاستفسار
٢٣٣	مناقشة أسانيدھا
٢٣٥	صحّة حديث الدار
٢٣٨	الاستفسار الثاني: ألم يكن الإمام سيئاً؟
٢٤٠	الاستفسار الثالث: هل الوصية في أهل النبي فقط؟
٢٤٣	الفصل الحادي عشر: آية الإمام المبين
٢٤٥	معنى الآية
٢٤٦	الاستدلال بالآية
٢٤٧	التفسير الروائي للآية
٢٤٩	سؤال: أليس الإمام المبين هو اللوح المحفوظ؟
٢٥١	بعض أحاديث الفريقين أيضاً
٢٥٢	المصادر عند غير الامامية
٢٥٢	واما في مصادر الامامية
٢٥٣	علم الكتاب عند الأئمة أيضاً
٢٥٤	وصي محمد اعظم من وصي سليمان
٢٥٧	الفصل الثاني عشر: آية الإنذار والهداية
٢٥٩	مثال الآية المباركة
٢٦٠	الاستدلال بالآية

٤٣٢	أربعون آية.....
٢٦٢	بعض الروايات في الآية.....
٢٦٧	الاستفسار الأول: الأقوال الأخرى في الآية.....
٢٦٨	الاستفسار الثاني: الآية تشير للمصدق.....
٢٧١	الفصل الثالث عشر: آية الموتة
٢٧٣	الآية وقربى النبي.....
٢٧٤	الاستدلال بالآية من خلال الروايات.....
٢٧٦	استفسار: ألا يراد من الآية قربات سائر الناس؟.....
٢٧٩	الفصل الرابع عشر: آية لسان الصدق
٢٨١	دلالة الآية.....
٢٨٢	مما روي في تفسير الآية عند الفريقين.....
٢٨٥	بعض القرائن المؤيدة.....
٢٩١	الفصل الخامس عشر: آية إسهاد ذرية آدم
٢٩٣	معنى الآية.....
٢٩٦	روايات الولاية في الآية.....
٢٩٧	وأما من مصادر أهل البيت.....
٣٠١	الفصل السادس عشر: آيات الإسهاد والشهادة
٣٠٤	الآية الأولى: آية البيعة.....
٣٠٦	دلائل الآية على الولاية.....
٣٠٧	بعض روايات العامة.....
٣٠٩	ومما جاء في مصادر أهل البيت.....
٣١٢	الآية الثانية: آية علم الكتاب.....
٣١٣	من الروايات في ذلك.....
٣١٤	وأما عن طريق غير الشيعة.....

٤٣٣ فهرس المحتويات
٣١٥ استفسارات
٣١٧ ثلاث آيات أخرى
٣١٧ الأولى: آية الأمة الوسطى
٣١٩ روايات مؤكدة
٣٢١ الثانية: آية الشهيد من كل أمة
٣٢٢ الآية الثالثة: آية رؤية الأعمال
٣٢٣ معرفة المعصوم بأعمال العباد
٣٢٤ آيات أخرى وأخرى
٣٢٧ الفصل السابع عشر: آيات السؤال
٣٢٩ الآية الأولى: آية الوقوف للسؤال
٣٣٢ الآية الثانية: السؤال عن النعيم
٣٣٥ هل النعيم هو الطيب من الأكل؟
٣٣٦ أحاديث المرور على الصراط
٣٣٨ الآية الثالثة: آية نكران النعمة
٣٣٩ الآية الرابعة: آية تبديل نعمة الله
٣٤١ الفصل الثامن عشر: عشرون آية في الولاية
٣٤٣ ١ - قوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾
٣٤٤ ٢ - قوله تعالى: ﴿أَجْعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ...﴾
٣٤٥ ٣ - قوله تعالى: ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا﴾
٣٤٦ ٤ - قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصَّدَقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾
٣٤٧ ٥ - قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ﴾
٣٤٨ هل رضي الله عن كل أصحاب بيعة الشجرة؟
٣٤٩ ٦ - قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾

- ٧ - قوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ ٣٥٠
- ٨ - قوله تعالى: ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا * فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا * فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا﴾ ٣٥١
- ٩ - قوله تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ قَطْعٌ مُّتَجَاوِرَةٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ﴾ ٣٥٢
- ١٠ - قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ ٣٥٤
- ١١ - قوله تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ ٣٥٥
- ١٢ - قوله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ ٣٥٦
- ١٣ - قوله تعالى: ﴿وَاجْعَلْ لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ ٣٥٧
- ١٤ - قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ ٣٥٨
- ١٥ - قوله تعالى: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْتَدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ ٣٥٩
- ١٦ - قوله تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ ٣٥٩
- ١٧ - قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ ٣٦١
- ١٨ - قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ﴾ ٣٦٢
- ١٩ - قوله تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ * عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ﴾ ٣٦٣
- ٢٠ - قوله تعالى: ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ ٣٦٤
- الفصل التاسع عشر: إنصاف العقل والضمير لولاية الأمير عليه السلام ٣٦٧
- الإنصاف لولاية أهل البيت عليهم السلام ٣٦٩
- تقديم ٣٦٩
- إنصافنا والقرآن الكريم ٣٧١
- أولاً: هل نص النبي على خليفته؟ ٣٧٨
- ثانياً: كيف أحجم الناس أن يسألوا نبيهم عن خليفته؟ ٣٨١
- ثالثاً: هل اخترنا من اختاره النبي لنا؟ ٣٨٢
- رابعاً: أليس الإمام علي هو الأفضل عند النبي صلى الله عليه وآله؟ ٣٨٤
- خامساً: هل المطهر من الرجس كغيره؟ ٣٨٥

٤٢٥	فهرس المحتويات
٣٨٦	سادساً: هل من يستحيل عليه الضلالة كمن يحتملها؟
٣٨٧	سابعاً: ألا نأخذ سنة النبي ﷺ من قرين القرآن؟
٣٨٩	ثامناً: أنأخذ ديننا من أهل الردة؟
٣٩١	تاسعاً: هل نموت ميتة جاهلية؟
٣٩٢	هل ماتت الزهراء <small>عليها السلام</small> غاضبة على إمام زمانها؟!
٣٩٣	عاشراً: هل ركنا سفينة النجاة؟
٣٩٦	حادى عشر: أيرمى النبي ﷺ بالهجر دون غيره؟
٣٩٨	اعتراف عمر بمنعه من وصية النبي ﷺ
٤٠٠	ماذا عن أحاديث الفضل في بعض الصحابة؟
٤٠٥	الفصل العشرون: مسك الختام حديث الإمام الرضا <small>عليه السلام</small> في مقام الإمام
٤١٩	من أهم مصادر الكتاب
٤٢٧	فهرس المحتويات